
شرح خطبة الصديقة
فاطمة الزهراء
لسماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى
الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقاني قدس الله سره
مع تقديم وتعليق
نجله محمد كاظم الخاقاني
بمساعي وتنقيح
الشيخ كاظم النوراني
انتشارات انوار الهدى

شرح خطبة الصديقة

فاطمة الزهراء (ع)

لسماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الشيخ محمد طاهر

آل شبير الخاقاني قدس الله سره

مع توضيح وتعليق لنجله محمد كاظم محمد طاهر آل شبير

الخاقاني

بمساعي وتنقيح

الشيخ كاظم النوراني

منشورات انوار الهدى



هوية الكتاب

الكتاب: شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء (س)

المؤلف: آية الله آل شبير الخاقانى

تقديم وتعليق: الشيخ محمد كاظم آل شبير الخاقانى

الناشر: انتشارات انوارالهدى ـ قم

المطبعة: سيد الشهداء عليه السلام ـ قم تليفون ٣٣٧٦٢

عدد المطبوع: ٣٠٠٠ نسخة

سنة الطبع: ١٤١٢ ـ ١٣٧١

الطبعة: الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

اما بعد فالمعروض لحضرات القراء الكرام ان هذه الخطبة العظيمة التى هي بيان روح الاسلام السامى قد شرحها الوالد(قده) ولكن بقي منها بعض الفقرات لم تشرح، فأحببت على قدر الامكان تتميما للفائدة اكمل شرحها، كما وانه اطلب منه تعالى التوفيق لشرح بعض الفقرات من بقية الخطبة وشرح بعض ماورد فيكلمات الوالد (قده) ايضاً وقبل الدخول في شرح الخطبةكتبت مقدمة على اضواء الامامة لعلها تناهز ما يقارب المائة صفحة في الطبع تيمناً بعظيم مقام الامامة.

ومن الجدير بالذكران صاحب الفضيلة الخطيب البارع الشيخ ملاكاظم النورانى له اليد البيضاء في جمع وتنقيح ما ورد منشرح الوالد (قده) لهذه الخطبة الغراء، وفق الله تعالى الجميع لمراضيه.

محمدكاظم محمد طاهر

آل شبير الخاقانى

تمهيد

ان جوهرة الوجود الامكاني التي هي اظهر مظاهر الحق لاسمائه الحسنى حقيقة الانسانية بما تحمل في واقعها من استعداد وقابلية تكون حقيقة العبودية والفناء في ذات الحق تعالى المتبلورة بجامع شتات عالم الامكان فيذروة الرفعة للاعيان مادة وروحاً، الذات المحمدية ثم العلوية قائدة مسيرة السلام نحو غاية الغايات، قيادة بعيدة عن الاوهام الرهبانية ودناءة الحجب المادية لتحقيق السعادة الابدية.

وبحق ان فاطمة وأباها وبعلها وبنيها عليهم افضل الصلاة والسلام هم اعلام الهدى لطلاب الحقيقة والعرفان.

فكم من علة حكم كشفت حجابها ودقيق حكمة حكت صوابها وخطوة باطل انذرت عقابها بايجاز من القول، جامعة بخطبتها معالم التوحيد والنبوة والامامة بأدق المعاني الحكمية تلخيصاً لدعوة الحق وبياناً للمصالح والمفاسد وتحذيراً من اتباع الهوى بأسم الهدى.

فكم من دعوة حق يراد بها باطل، وراية هدى يراد بها ضلال، لايعرفها الا من سمت نفسه بالعلم والزكاة والا فكم من عالم ساقه هواه وجاهل متنسك اخذ به الى حضيض النار شقاءه.

فانا نشكوا اليك يارب ما نحن فيه من الهوان، لا لقلة في العدد

والعدة ولكن لشتات في الرأى وضعف في اليقين. فها نحن نسير في الظلمات، يحمل كل منا الاخر عبىء الاهوال وزلل الاقدام وكل منا على ضرب الاركان لشهيد ولحلول الظمة قائد وعميد وانه تعالى يقول (**لايغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم**) و قال الرسول صلى الله عليه وآله (**كيفما تكونوا يولى عليكم**).

فعلى المسلمين كافة البحث عن اسباب الذل والهوان والتخلف عن قافلة الايمان بدلا من ارضاء النفس بصب اللوم على الاخرين ومشاهدة التخلف بسبب هجمة الجبابرة والمعتدين، من الغربيين والشرقيين، فأن كل عدو لولم يجد للعدوان محلا صالحاً، وعقلا بالجهل والخرافات سابحاً لما توهم بث الجهل والفتنة لسلب الكمال والمال.

فأين النخبة الطاهرة والفتية الثائرة، أين عمار بن ياسر والمقداد وابوذر ومالك بن الحارث وحجر بن عدي وهشام بن الحكم وعلمائنا العاملون الذين جعلهم الله تعالى انواراً الى دعوته، فهم الشهداء على الامم، يحتج بهم يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم، فأنهم لا تخلو منهم الارض ولكنهم الاقلون في كل زمان، وفقنا الله واياكم لمشاهدة الحق لنكون سالكين على الطريق، هادين مهديين بالافعال قبل الاقوال انه ولي التوفيق.

واعلم ان ما تحمل هذه الخطبة من عظيم المعاني ورفيع السبك يغنى عن اقامة البرهان على سندها لذوى البحث والدراية ومن اراد السند فهو موجود في كتب العامة والخاصة، هذا لمن كان مصداقاً لقوله تعالى (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**) والا فمن اراد الدخول في البحث بروح العصبية وانكار كل واقع وصواب، يدب الى موازين الجدل والسباب، فالصمت معه اولى من الكلام.

نسمات من ديار الخالدين

صوت البائسين وأنين المعذبين والدم المسفوك للثائرين ودموع اليتامى والمظلومين وظلمات ديار الجاهلين تذيب قلوب العارفين وترفع اصوات الواعين في ديار السبات والغربة وليالى الوحشة والغفلة التي لايميز فيها الناظر المظلوم بين سيوف المجاهدين الاحرار الذين اوقفوا حياتهم دفاعاً عن حياة الامة ومخالب الماكرين الاشرار الذين ضلوا وأضلوا المجتمع الانسانى.

انه لمشهد رهيب يمر على البشرية في غالب تاريخها المرير الذي انطفات فيه مشاعل العلم وتكدرت فيه سلامة العقل والفطرة وكادت ان تستسلم لخلسة العدم ووحشة ديار الظلمة عند ما أرخت الظلمات سدولها على بلد العرفان ومعقل الايمان مكة المكرمة مهبط الوحى ومشعل التوحيد وعلى غيرها من البلاد، مطفئة يقظة الضمير، مكدرة صفاء العقل بأسم القيم الحقة تارة واخرى تظهرها الفلتات يقدم فيها على الباطل بأسم الباطل، فما كان شعار الحق والباطل الا خدمة للماكرين، فمرت رايات الظلمات هازمة كل وعى وكمال بأسم القيم والنواميس الحقة متترسة بلواء اكبر رواد البشرية ابراهيم الخليل (ع).

فراحت البشرية تعيش ألم الجهل، والحكام يعيشون عيشة الشره والسبعية بأسم الدفاع عن الدين أو الامة أو حفظ النظام يسفكون الدماء وينهبون الاموال، يزدادون في البطش على قدر ما عليه الشعوب من الغفلة والسبات، والعلماء الا ماندر يحرفون الكلم عن مواضعه تلبية لنداء الحاكمين وتخديراً لالم المضطهدين ليعيشوا الرفاه والامن وعدم المسئوولية.

أجل راحت الظلمات تتلوها الظلمات، يستأنس لهدير الاوهام ويستوحش من نسمات صبوح الايام حتى لبى الوجود مرة اخرى صرخة المظلومين وبقايا يقظة ضمير الصالحين، فهبت نسمات الخلد لتعييد للغرباء العاشقين نغم الطرب ونبرات الود ولتهمس في آذان أمم لذيذ عيشها السبات همسات العارفين وتعلن بزوغ فجر الصادقين وتهز اركان الطاغين وتلقي بالجهل والجور الى هوة العدم وتسكت هدير الاوهام، آخذة بأيدى السالكين الى قمم علياء المقربين.

انها لحظات هب فيها نسيم الخلد يحمل انغام الابدية واوتار الصبا والحرية مستعيداً تراثه المنهوب، يعلن بلسان صادق واقع الحرية والسلام ونهاية عروش المكر والخداع التي عاشتها البشرية وتحملت من اجلها حياة الاسى والحرمان.

فكم من ماكر جائر ارتدى رداء الصالحين، تاركاً حسن النية وصالح العمل يجد في اصلاح قوالب الكلمات ليسلب بها عقول الغافلين فضلا عن نهب ثروات وامتصاص دماء الجاهلين والعاجزين.

فهذا يصطاد تحت راية الايمان وآخر تحت الوية الوحدة والحرية والاشتراكية، كل بمقتضى الزمان والمكان، فراحت الوية الالفاظ تزداد مع الزمن تطوراً يقتطف من حدائق الالفاظ أعذبها حتى مرت

القافلة البشرية بسلسلة من الكلمات العذبة الذهبية، فأهدى الى الامة لفظة الشيوعية، فيالها من فرحة امة تجنى ثمار الالفاظ.

بلي لبى الوجود نداء المحرومين ببث نسمات الخلد المحمدية التي مرت على ديار الظلمات كما تمر الاجيال غير انها رأت واقعاً بحسب الانظار مقلوباً وآخر منكوراً، رأت الحقائق في غير محالها من بعد ما أخطأت العقول مواقع الامور فرأت اللعب جداً والجد لعباً والطيش والعدوان شجاعة والحلم والعطف جبناً، والواجب ممتنعاً والممتنع واجباً والصحيح خطأ والخطأ صحيحاً والواضح مشكلا والمشكل واضحاً والنافع ضاراً والضار نافعاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً والذئب راعياً والاب الشفوق متهماً.

فأخذت تتدكدك قيم الاوهام عند ما هب نسيم الخلد، فسرعان ما فرت جيوش الظلمات، فما ترى الا جيوشاً من الجهل منهزمة وأوتاداً من المكر متدكدكة وعروشاً من الجور هاوية.

فأطمأنت لنسيم صباح الخالدين نفوس التائهين والخائفين وهدأت اصوات اليتامى والبائسين والمحرومين والمعذبين وتقطعت قيود الجائرين من رقاب المضطهدين وغنت طيور السعد فوق رؤوس العاملين واستنارت قلوب السالكين في طرق العارفين من بعد صراع مرير بين جيوش الرحمن وجيوش الشيطان ادى الى تطهير كعبة العاشقين.

فبات بيت الله العتيق يشم نسيم الحرية بعيداً عن دنس عبودية الاصنام وراحت الامة المسلمة منتصرة في جهادها الاصغر تكاد ان تنتصر في جهادها الاكبر، جهاد النفس في منازل السالكين ليصبح السلام والكمال واقع الامة، لا قانوناً يقام بواسطة ولاة الامر الصالحين يروى احاديث الغربة في ديار الغفلة كما كان في خلافة

أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فأخذت الامة المسلمة تهز براية قائدها الاعظم عروش الجهل والجائرين وتطفىء محارق المجوس لعقول الاحرار والمستبصرين وتظهر مخالب الروم بأسم روح رب العالمين وتبيد هياكل الشياطين عن مدارج سلم المقربين بيت اله العالمين.

فبينما نعيش طرب الوصال وحنين الود وافراح الملكوت وحرية الصواب، تعانق الارض سماء الانوار، اذ بنا نسمع قبيل عروج رائد السلام هاتف الشقاق وهدير النفاق بأسم الوحدة والدفاع عن الجماعة بدلا عن القانون والخوف من الردة وصوت الاستسلام بأسم السلام يصم الاذان ويعمي الابصار، الا عباد الله المخلصين، فأخذت الهوة بالامة الى حضيض كدر النسيان وطيش مخالب الذئبان، فأصبحت ترى من بعد وعيها الذئب راعياً والصادق الامين متهماً والجاهل عالماً والماكر مصلحاً حتى اذعنت بعدكمالها ورفيع مقامها براية الاشرار ورأت في وجوههم سيرة سيد الابرار (ص) راضية بأحكام المطرودين على لسان رسول رب العالمين. مؤتمرة بأوامر المتخلفين عن اوامر سيد المرسلين، مطلقة اسم اميرالمؤمنين على قادة الطلقاء الذين كانوا من المؤلفين على رغم تأريخهم الاسود الذي طالما بغوافيه على الاسلام والمسلمين، صاغية لاقوال الذين يجتهدون في قبال النص، فباتت تمر على الامة الفلتات وكأنها تعيش محكم الايات.

فيا عجباً لفرسان الامة ومشاعل العلم كيف وصل بهم الامرحتى مثل لهم سبيل الله تعالى والرسول المؤلفة قلوبهم، فراحت العقول تساق الى محارق الجهل بأسم العرفان وتهدر الدماء بأسم العدل والاحسان.

فكأني اسير مع السائرين انظر راية الايمان تهز عروش المبطلين وتهزم جيوش الجائرين وتفند اوهام الملحدين وتبيد هياكل المشركين وتجندل ابطال الطاغين وتخرس حناجر الشياطين وتطفىء لهب الماكرين، اذ بها اسيرة بأيدى العباد الجاهلين، شهيدة عند ابواب المنافقين.

فلما رأيت راية الحق قد صرعت، أوحشت مسامعي كلمات القائلين بأن الزناة الغادرين سيوف اله العالمين التي لايجوز غمدها لولاة المسلمين وان الدفاع عن اعلام الشياطين في وقعة صفين بخمسة صفوف معقلين سلم المقربين لجوار رسول رب العالمين، وان حرق بيت علم الاعلام الذي كان به قوام الاسلام بما فيه من رواسي العفاف والحكمة التي كان يشم منها بمشام اكبر رائد العرفان رائحة الجنة لهو من أعظم الاسس لحفظ وحدة الاسلام وهيبة قائد الامة حتى تجاوزت الكلمات عن طور مجراها، فصار قتل عمار ونظائره من الصالحين بأيدى من أخرجهم الى سيوف المقاتلين وصار زعيم الفئة الباغية على لسان رسول الله (ص) القائل **(يا عمار تقتلك الفئة الباغية)**، أمير المؤمنين وبات هدم الكعبة وحرقها وقتل ريحانة رسول الله(ص) وسيد شباب اهل الجنة وهتك حرم الرسول واباحة نساء المدينة وما شاكل هذه الاعمال من قتل ونهب وتأويل شريعة بما يتنافى مع كل القيم لاقبح فيه. بل اصبح امراً حسناً عند ذوى الابصار المطلين على المصالح والمفاسد الواقعية الذين ينظرون من خلال العناوين الثانوية بمنظار خاص يجوز الاجتهاد في قبال النص، فيرون ان بمثل هذه الاعمال بقاء هيبة أمير المؤمنين التي هي مصلحة لاتضر بها مفسدة ولاتقابلها مصلحة وان تقديم المفضول على الفاضل من اسرار الحكم الخفية

الالهية التي لاتصل اليها عقول العامة، بل تحتاج الى بصيرة اوحدي يعرف لغز لطافة الانغام من ضرب اوتار الملكوت.

أخي المؤمن، لانت اعرف بعالم الاختبار والاختيار من ان هذا لقضاء محتوم وقدر لازم لكنه بعيد عن اوهام المجبرة والمفوضة تتبلور فيه جوهرة الانسانية وتتلالا فيه مشاعل الربوبية في قلوب العارفين وطلاب اليقين ليزدادوا على ايمانهم ايماناً وعلى ثباتهم ثباتاً لايكاد رسمه وكنهه معلوم الا بحق ثابت بيانه، واضحة اعلامه بأيدى رجال بررة من الانبياء والاوصياء والصالحين وحكم بأيدى الطواغيت اركانه، ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب والصالح من الطالح، فانه لولا جور المبطلين ورفع راية الموهمين لما اندفع المؤمنون بكل واقعهم الى سوح النضال، مجاهدين في سبيل الله تعالى في ميادين العلم والعمل ولما وصل عشاق الحقيقة الى مقامات الفناء في ذات المعشوق، والا فمن الممكن ان يقيم الله تعالى سليمان بعد سليمان على وجه الارض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لايتمكن من التخلف عن حكمهم قريب ولابعيد، يطلعهم الله تعالى على ضمائر المخلوقين ولكن تخرج الدنيا بهم عن كونها داراختبار واختيار ولذا اختار الله تعالى بعد تمام البيان والفتح لنبيه (ص) دار الاولياء والصالحين لتعيش البشرية من بعده (ص) كما عاشت الامم من قبل تشق بجهادها في سبيل العلم والعمل طريق الكمال لان الدنيا مختبر العقول.

فأين ايمان الثابتين على عكس مسيرة الطوفان وجريان امواج البحور الذين تأخذبهم الغربة مع كثرة المسلمين ان يتكلموا مع الابار ويشكوا الاسى عند القبور والاحجار كأنهم يرون فيها سلامة فطرة التكوين وتسبيح الخاشعين لنداء رب العالمين.

ففي مثل هذه الظلمات مزال الاقدام و وقوع الرجال صرعى رهن قيود الجهل والشهوات، وأنى للثبات في مثل هذه الظلمات التي ينكر على المؤمن فيها ابناء نحلته فضلا عن الكفار والمنافقين فيرى نفسه وحيداً في ميادين الوغى تترى عليه السهام كشئابيب المطر وتتزلزل من تحته الارض وتطغى عليه امواج البحور ومن فوقه طوفان عاصف لايدرى الي اي ناحية ينحو والى أي ركن يطمئن الا الذين مدهم الله تعالى بألطاف رحمته لما رأى منهم صدق النية فشاهدوا انوار الملكوت، فساروا عشاقاً يتسابقون الى مقامات السالكين، فباتوا يأخذهم الشوق الى مقامات العارفين، عرفوا الحق فأيقنوا بالمخلوق لما تجلى عليهم الله بأسمائه الحسنى فساروا يتباشرون والى الحق ينظرون، ثم في واقع اللانهاية يتصاغرون وبعدم الدراية يعترفون ولفناء ذواتهم يلمسون ولاجل اذا باتوا يعيشون في اوساط هذا الواقع المرير كألجبال الرواسى لاتأخذهم في الله لومة لائم، ينظرون الى رواسب الجهل تتكتل وتستلهم من الغسق اوهاماً ومن الحيف نظاماً وهم يسمعون من خلال كل ذلك تسبيح الكائنات ويذوبون لانين البائسين ونداء المحرومين ورق الاحرار بأيدي الجبارين.

فرحت انظر الى قوافل الاجيال حاضرها وماضيها أطوف في ازقة تأريخ البشرية مع اخوانى الذين قطعوا معى اشواط الوغى فسألت دمائهم ليعيش المترفون في قصور الخلد والسلام على ما يزعمون.

اشاهد من خلال المطاف كيف تتدكدك اضلع البائسين وكيف تتساقط الاجيال على مر التأريخ تحت اقدام الجائرين حيناً بعد حين باسم رب العالمين أو بأسم الدفاع عن الشعب والمحرومين وان كان

المعين على ذلك في الغالب هي انفس المظلومين، فرحت انظر كيف عاشت العقول اسرى بأيدى الماكرين.

فكم من عظيم عاش العزلة والبس ثياب الناكثين وانزل منازل الجاهلين وهو راسم خطى المقربين وآخر من ديار الظلمة البس حلة الناسكين وخوطب بخطاب امير المؤمنين، تطرى عليه الاقلام وترفع تكريماً له الاصوات، اقلام ترسم للاجيال بدموع اليتامى والمضطهدين ودماء الاحرار والصالحين عدل الجائرين وحنان الحاكمين وتحكم على دوى اصوات الاحرار الثائرين بشق عصا المسلمين، مفسرة الصبر بالاستسلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالطغيان.

فشاهدت من خلال المطاف اعلام الامة وصلحائها ضحايا المكر والنفاق، ورأيت كيف تطبق كبريات النور على الظلام، فقلت سبحان ربى الذي قدر الامور لاحسن نظام لتصل فيه كل نفس غاية مطلوبها بجد واختيار.

نعم ان مخالفة الجماعة وشق عصا المسلمين لجرم عظيم، لكنها جماعة الايمان وعصا الرحمن لاجمع الحاكمين ولو بزعامة الشياطين وان القيام على امام الزمان لذنب عظيم لكن الامام من سار سيرة النبيين لاامثال من تردى بالحق لقتل ريحانة سيد المرسلين.

يقظة العارفين

بينما كنت احث السير فى الوديان مع السائرين أروم أن ارتقي بعض التلول رياضة لانال الجد في السير نحو القمم الرواسى، اذ بى اسمع نغم العشاق لنيل عروش الخالدين بعيداً عن زيغ الحاقدين وجري الجهال المقلدين كنسيم صبح يهب بين قوافل السائرين وعذب فرات يروى غليل الضامئين، كيف القول بتخطئة عامة الاصحاب والتابعين والاصغاء لقول اناس قائلين بأمامة على كرم الله وجهه تاركين الوحدة وعموم المسلمين وجمع الكلمة في حين عدم نص كالشمس في رابعة النهار يسكت نقد الناقدين وهجمة المتهجمين ويرد الى الصواب تيه الخاطئين، والحال انه كان من الممكن بل الواجب اتماماً للبيان وتحقيقاً للطف لوكان الامر كما يزعمون لذكر الله تعالى ذلك في كتابه المحكم بما لايبقى معه للتمرد مجال ولا للمفسر والمؤول مقال ككلمة بالنص تقول: ان علياً وصي رسول الله(ص) او بفعل من الرسول(ص) يسد كافة الطرق امام المخالفين بنصب على نصباً عملياً في عهد الرسالة كما يصنع الحكام لولاة عهدهم حتى لايتمكن احد بعد ذلك من الخلاف لتعيش الامة وحدتها وعزها المطلوب تحت راية الموصى اليه.

فسمعتهم ولم يستفز ذلك شعوری ولا بات يجرح خاطری للعلم بأن سير العارفين يمر على منازل السائلين والمترددين، ثم يأخذ بهم نحو ديار الخالدين لان شك المجاهدين خير من يقين المقلدين، فلما وجدت منهم عطفاً لليقين ندبتهم للجد في السير مع السائرين ليبلغوا بصفاء الفطرة والعقل مقام الذاكرين لنداء المرسلين، فراحوا يتفكرون في الغرض من خلق عالم الصراع بين المحقين والمبطلين لينالوا الصواب بعد الخروج من عالم القوة الى الفعل بترك عالمی الحس والخيال بعد الاستعانة بهما نحو عالم العقل والعرفان الذين بهما صار ضعيف الخلق اقواه وبعيد الساحة ادناه والا فعند الهوة كم من محسوس غير مشهود وواقع امر عند الخيال غير مسنود الذي ما تردد فيه غير الشكاكين وما انكره غير الجاحدين وكم من بديهی لشدة جلائه اصبح خفياً على عقول الاوهام لماكدرت صفاء العقل وحشة ديار الظلمة، فراحت العقول بدلا من الانس والاطمئنان بجنب الصرافة الحقة ولاحدية الكمال تتخبط في وديان الظلمات خالدة بجنب حضيض المحسوسات، باصرة الى الدنيا لا مبصرة بها حتى اخذ الشك بالبعض الى الشك في شك انفسهم وسارت طائفة اخرى الى تيقن حتى المحالات تستند لارضاء الضمير لنيل الكمال عند العجز الى كلمات الاسلاف، فهذا ينكر الوجود وذاك يتردد في التوحيد وثالث للعجب أو لمحض الجهل لا يرى الاحتياج الى بعثة الانبياء منكراً لالطاف الحكيم العزيز ورابع بعد الانتصار في تجاوز بعض العقبات ينفي رسالة سيد الكائنات.

فيا اخوة العرفان، دنيا الفناء مختبر العقول ليحل كل انسان طبقاً للنظام الاحسن وحكمة الكمال بعد صراع مرير محله اللائق به بعد المرور على واقع الحكمتين النظرية والعملية مقتطفاً من ثمن

الحكمتين ان كان من طلاب اليقين بقدر حده الوجودى وجده في ساحات المقربين وان اخطأت الابصار مواقع الاقدار فطلبت البقاء فيدار الزوال واطمأنت للظلمة بدلالنور ورفعت الكثير منالدانين ووضعت الكثير من العظماء المقربين حتىأخذت الاخطاء بالبشرية الى وصف اقدس فيض من عالم الامكان بالجنون والسحر، فلا مدح ابناء الدنيا يحكي قيم الرجال ولاذمهميروى منازل الاشرار، فكممن موصوف بالجنون علىالسن اهلالقيم الظاهريةاصبح يتبرك بسؤره اوماء وضوئه بعد فترة من الزمن بواسطة هؤلاء الواصفين بعد ما حل محلا جديداً بانظار المقتبسين للقيم من قوة السلطان ومسيرة الطوفان.

فيا اخ العرفان وقاصد القمم من الوديان ليس اختلاف الاراء في الامامة وعدمها كبرى وصغرى بعد الانبياء او بعد نبينا الاعظم صلى الله عليه وآله اول سئوال يثار بين البشرية بعد الاتفاق بين كافة المسلمين الا من ندر منهم على وجوبها حتى اصبح احتياج الامة الى امام او خليفة بالعقل والنقل منالمسلمات وحتىقالرواة الحديث بأسانيدهم **(من مات ولم يعرف امام زمانه ماتميتةجاهلية)** فيبقى الكلام في الامامة اذنبين المسلمين فيالتطبيق والصغريات لا في اصل كبروية مسئلة الامامة والحال ان البشرية اختلفتفي مسائل اخرىواستمر الخلاف علىممر الزمن بدون انيحصلالاتفاق على كبرى مسلمة في تلك المسائل.

فها هي البشرية بفطرة الخلق الداعية الى طلب غايات الكمال متسائلة هل الله تعالى موجود ام لا؟ واذا كان موجوداً هلصفاتهعين ذاته ام زائدة على ذاته؟ وهل بعثة الانبياء لطف واجب ام لا؟ وهل

الجنة والنار خارجيتان ام معنويتان؟ ولماذا خلق الله تعالى خلقاً يعرف شقائهم وخلودهم في سخط الحق تعالى؟ وهل كون الماهيات ليست محلا للجعل يحل تساؤلا ارتسم في اعماق الضمير، لماذا اختلفت مراتب السعادة والشقاوة ولماذا اختلفت مراتب الاستعدادات والعقول؟ وهلا يكون ارجاع الامور الى الماهيات فراراً من الجبر الالهى الى الجبر الماهوى؟ وهل الجبر الماهوى وكون الذاتي لا يعلل بما فسره الحكماء جواباً شافياً لفطرة العقل ام انه تقليد لقول عظماء الرجال عند العجز عن بلوغ ساحات الكمال؟ كما وان البشرية راحت تتنازع في مسائل اخر كالجبر والتفويض والقضاء والقدر ولماذا خلق الله الشرور أو ما هو واقع الشرور، أهي امور عدمية او هي اقتضاء عالم المادة لان ترك الخير الكثير للشر القليل، شر كثير وهل ما يرى بعنوان الشرور هي شرور بمنظار العرفاء الناظرين الى النظام الاحسن وبناء على كون الشرور اموراً عدمية كيف توجب الالم وكيف يكون الامر العدمي منشأ لدخول النيران الخارجية لا المعنوية؟ وهل الجواب بأن الالام اعدام ملكات يكفى لحل هذه المعضلة؟ وهل ما اجيب به عن كثير من المسائل الحكمية والفقهية وغيرها هو الجواب الثابت الذي لا تغيره الايام بتكامل عقول البشرية أو تخلفها وانه هل هو الجواب والملاك الواقعي الذي سوف يشاهد عند ماتكون الابصار حديداً؟ وهل ان الحق مع المسلمين أو اليهود أو النصارى؟.

فراح الانسان الطالب بفطرته لغاية الكمال يجد السير لو وجد ظرفاً ملائماً وآذاناً صاغية لتسائلاته وعقلا سليماً مرشداً لم يحجبه القصور أو التقصير مادامت الاسئلة تنحدر من نفس تعيش الفطرة والعقل قبل التقييد لحرية العقل والفطرة بقيود المحيط وتقاليد المتقدمين التي قل مايتمكن انسان من التخلص عنها، فهذا يرى الحق

من خلال المحيط وذاك من خلال القرابة أو الصحبة والا فمشاهدة الحق حقاً اي الحق بما هو حق بدون ان يكبل بالقيود من اصعب الامور فها هي الخلائق من بعد ماخلقت حرة تعيش ذل القيود من حيث تشعر ام لاتشعر والاحرار يعتبرون من نوادر الاقدار، فلا المسلم يعيش الاسلام العقائدي سواء في ذلك السني منه والشيعي، وكذا اليهودى والنصرانى والا لو عاشت الامم الفطرة والبرهان بعيدة عن العصبيات والتقاليد لما كانت البشرية الا أمة واحدة لوحدة الواقع في جميع الامور واكبر شاهد على ذلك كون ابناء المسلمين مسلمين واليهود يهود والنصارى نصارى، ومن المعلوم ان الكلام بالنسبة الى اغلبية الافراد.

كما وان مذاهب الكفر والالحاد كذلك لاتحكى بعمومها الالحاد العقائدي، بل قد تمر فترات من الزمن يصب الكفر بقوالب التطور والتقدم لقوة قادة الكفر على صب الكلمات في اعذب قوالب الالفاظ الذهبية فينهال الكثير من الناس متسابقين لترسم اقدامهم في المتطورين والمثقفين على غير علم فيما يقولون ويفعلون كما وانه لو صب دين من الاديان في اذهان العامة بقوالب التطور والتقدم لهب اليه اغلب الناس أيضاً بلادليل ولا برهان.

وبالجملة ليست الامامة من غريب الامر الذي شغل اذهان امة وشقها الى مسالك، بل سبقت بالتوحيد والنبوة من قبل ذلك الذين هما اس الامور بلحاظ والامامة الحقة هي الاس لقوامهما بلحاظ آخر حتى ورد من انوار الملكوت، ان الامامة اس الاسلام النامى وفرعه السامى الامر الذي يحتاج ادراك كنهه الى الالطاف الخفية الالهية.

أجل خلق الانسان في عالم الظلمات واعطى الفطرة والعقل ليعرج بهما الى مقامات اهل اليمين، بل السابقين المقربين، فراح

طبقاً للحكمة يعيش صراع تمييز النور عن الظلمة، فجعل الله تعالى الواقع مكشوفاً لاهل البصائر بمنظارين، بالفطرة مادامت تعيش السلامة وقلما لم تنكدر بكدر الظروف، فانسان الفطرة نسخة بدل عن فطرة الوجود فهو يسمع بفطرته احاديث الوجوب قبل الامكان ويرى التمام قبل النقصان، فيرى لمعان اسماء الحق لاتغيب كماوانه يطرب بفطرته للعدل والاحسان وليست الفطرة الا رواية الكمال فهي شهود الواقع وحقيقة العقل قبل مرحلة الغيبة والاستدلال التي عاشها الاولياء فشاهدوا كل حق حاضراً قبل مرحلة الحصول بالاستدلال، فنظروا من فوق قمة العلياء مبتسمين متألمين الى تخبط الاجيال في الظلمات فقالوا عميت عين لاتراك، فكانت فطرتهم نوراً تحمل الظهور والاظهار، ثم جعل الله تعالى للمتفكرين منظار العقل يستمدون انوار الملكوت بالدليل والبرهان، فكانت الفطرة عين الكمال والحق واصبح العقل اداة يصاب بها مواقع الامور، فبات الانسان بالدليل يصيب ما اصبح يعيش معه الاثنينية، وبات العظماء يعيشون الفطرة والعقل يعرجون بهما الى ساحات الملكوت.

فخلق الله الانسان وهو القادر على ان يريه الحق حقاً كما سيريه ذلك يوم القيامة، ولكن الحكمة اقتضت ان يرى الانسان بجد نفسه وجهاده في سبيل الله تعالى في سبل العرفان الحق حقاً حتى يتكامل فيحل في محله المناسب له، لان الله تعالى ابى الا ان يجري الامور بأسبابها لكي لايظلم احد قدر نفسه ولايجعل فوق مستواها من النور.

فسالم المنظارين قد يرى شيئاً من البديهيات وآخر يراه من الممتنعات، وان من المؤسف ان القيود التي جعلت امام الاجيال قد توجب توقف فطرة الاستطلاع وحب الكمال فتنسى الانسان غاية

المقصود بسبب طرو ظروف قاسية أو للملل وقلة الحزم عند طي مسافاة الحصول على نيل جوهرة الانسانية التي هي غاية الامكان التي كان غايتها محض التمام و بحت النور.

فهنا طرب العشاق، كل يطرب لنغم من انغام الابدية ويرى تجلي من تجليات الربوبية، وان كان قد يخطأ في المصداق فيطمئن للسراب فيركن الى القريب المحسوس بدلا من البعيد المعقول فلا يبلغ مشاهدة الانوار الا بعض نوادر الابرار، فهذا يبلغ في سير كماله مرتبة المحسوس وآخر مرتبة الوهم أو الخيال فلم ينل غاية المطلوب الذي هو اطمئنان الفاني بالمستقل الذي ماشم رائحة مسكة اصحاب القصور الحمر والبيض والا لتوحشوا من قصور الفناء هاربين منها الى عروش الخلد والسلام، كما وانه ماشاهد معالم الحق الظالمون لانفسهم في حين ان حقائق الامور لم تتعدد، فلا بد ان يكون التكثر لاختلاف المنظار بقدر قوة العقل وسلامة الفطرة حتى تتمكن النفس من مشاهدة الحقايق في محلها لامعكوسة ولامنسية ولامضافاً اليها ماليس فيها ولامسلوباً عنها ما هو منها.

واكبر خطأ ان يرى الانسان نفسه يشاهد الواقع بمنظار صاغته له الاجيال فيتوقف عن مسيرة الكمال التي خلق من اجلها ظناً منه بلوغ الغاية بجهد ومشاهدة الاخرين سواء كانوا مصيبين أو مخطئين.

فيا اخوة الاسلام، الله تعالى القادر على كل شيء لقادر ان يختم نزاع البشرية في التوحيد الذي استمر على طول تاريخ البشرية متجلياً بأسم القادر والملك القيوم، أو باظهار ملائكته الكرام أو جنانه ونيرانه لكي لايبقى متردد في التوحيد ولامشرك، كما وانه تعالى لقادر ان يختم نزاع البشرية في النبوة لكي لاترى الا نبوة موحدة متعينة في شرق الارض وغربها فتختم الاراء وتوحد الكلمة

بكلمة الحق ويكون الميزان هو الصواب والعدل، ومن جملة آلاف المسائل الاخر التي استمر فيها النزاع مسألة الامامة.

ولكن ياخوة السلام ليس من اجل هذا خلقت الدنيا والا لجعلنا في دارالقرار بلاحاجة الى العبور من وادى الظلمة ولانتفى كون الارض مختبراً للعقول لبلوغ حقيقة الامر التي هي كالشمس في رابعة النهار لدىفطرة عقول الاحرار الذين ماقيدت عقولهم بقيود الاجيال ولاشاهدوا الحق من خلال اعمال الرجال ولانسوا ما دعاهم اليه كتابهم الكريم المبعد للقريبين والمقرب للبعيدين، يقطع صلة الازواج فيبرىء امرأة نوح ولوط عليهما السلام منهما ويقدس ساحة النبوة عن دنس الظلمات ويفصل بين آباء الانبياء وابنائهم في حين انه يجل زوج فرعون مثال الكفر والطغيان، قائلا **(ان اكرمكم عندالله اتقاكم)**.

فان الله تعالى جعل الحق واضحاً لطلاب الحقيقة الاحرار ولكن لما تنزلت العقول عن ساحة قدس الحرية باحثة عن الحق في مطاوى افعال الرجال، حاكمة على الحق بوجوب متابعة الاجيال، راحت تشاهد الحق في بيوت الحاكمين وترى الكثرة تحكى نهج سيد المرسلين، وان مصلحة الاسلام تقضى مسايرة امير المؤمنين ولوكان في القول والعمل من اعوان الشياطين، وان من ملاكات تشخيص الحق هي مشاهدته في وجوه الاباء أو الزوجات أو الصحابة حتى بلغ انحطاط الامة المسلمة الى الدفاع عن اضراب يزيد ومعاوية، فيالله والعجب كيف تكون عائشة هي زوج رسول الله(ص) دنيا وآخره بعد قوله تعالى **(وقرن فى بيوتكن...)** وبعد قول الرسول(ص) في حديث شايع اصبح من المسلمات لدى كافة المسلمين وهو حديث **(كلاب الحوئب)** وبعد قول الرسول(ص) **(على مع الحق والحق مع على)**.

أجل حتى من تتبع التأريخ الذي كتبته الاقلام تحت ظلال السيوف أو شوهت قداسته الدراهم والدنانير كفاه ذلك دليلا على أمامة علي عليه السلام، ان لم تأخذ به الميول ولو من حيث لايلتفت الى مشاهدة حق مكبل بالقيود لان من بحث عن حقيقة رسمها قبل الدخول في البحث لايخرج في نهاية المطاف الا بما رسم وان عاش التتبع آلاف السنين.

ولست في هذا الكتاب بصدد الخوض في ذكر ادلة الامامة التي لااراها الاكالبحث عن التوحيد والنبوة، مسألة بديهية بمنظار وعقلية برهانية بمنظار آخر وهي بنفسها ممتنعة النيل بمنظار ثالث والا فالباحث الحر لتكفيه بعض الاوليات دلالة لرد كل مايدعى فضلا عن الخوض لاثبات الامامة واختصاصها بعلي(ع) بأدلة من الكتاب والسنة والعقل، بل واجماع الامة عقلا ونقلا على وجوب الامامة للمسلمين التي هي فطرة بشرية، فمن جملة اوليات الادلة بعث الشيخين لمنطقة نائية تحت قيادة اسامة من انه كيف يكون المجعول للخلافة أو المشار اليه يراد ابعاده عن عاصمة الاسلام ليكون في بلاد لايرجع منها الا بعد عدة شهور تمر على عروج نبي الامة وكيف يجعل تحت قيادة شاب من يراد اكباره لتزعم مقاليد الامور وانه كيف يكون خليل الرسول(ص) كماروى (لو كنت متخذ أخليلا لاتخذت ابا بكر) المتخلف عن تنفيذ امر الرسالة بالتخلف عن جيش اسامة وانه كيف يمكن الجمع بين الامر الحثيث على تنفيذ جيش اسامة الى آخر لحظات العروج وبين الامر لابي بكر بالصلاة وانه كيف ينسب الى رائد البشرية والسلام مالاينسب الى بسطاء العقول من عدم الاحساس بالمسؤولية بترك الامة الحدثة التي احيط بها من كل جانب تعيش خطر الروم وفارس ومشركي العرب ومنافقيهم، بل تعيش اغلبية مسلمة دخلت الاسلام بعد الفتح.

اذن، التأمل في واقع حياة الصراع قاض بأن الله تعالى خلق الخلق في دار الدنيا لينالوا الواقع والحق ويبلغوا قمم الكمال بالفطرة والعقل، فمن استعان بهما رأى بداهة وجود الصانع والتوحيد ولزوم بعثة الانبياء وشاهد في الافق المبين الذي لاغسق فيه ولاظلمة صبح القيامة في دار الدنيا لاريب فيه ولاترديد وبات يشاهد عماء الابصار التي لاتبصر الواقع وصمم الاذان التي لاتسمع نداء السلام وراح يلمس بكل واقعه أن من عرف الحق عرف اهله، كما قال مولانا امير المؤمنين وامام الموحدين وقائد الغر الميامين ونبراس الدين وباب مدينة النبيين وهارون موسى في المسلمين والقرآن الناطق في العالمين: لايعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف اهله، وقال تعالى **(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)**.

فلو اريد ختم النزاع بين البشرية في دار الدنيا بأسم القاهر والملك القيوم والاستعانة بالمحسوسات فقط لماكان الشرف لسلامة الفطرة وقوة العقل والبرهان ولما أخذ السقوط بأمة تركت الفطرة والعقل وسارت اللجاج والعناد الى عبادة العجل أو الشمس والقمر والاصنام ولما سارت الامم المقيدة بأدراك القريب، المحجوبة عن مشاهدة البعيد تتصارع على دار الفناء.

فكما وان التوحيد والنبوة فطريان برهانيان لدى عقول الاحرار كذلك الامامة ووجوب كونها تحت راية الاطهار وكما وان التوحيد والنبوة بمنظار منكوران أو مشكوك فيهما كذلك الامامة.

فكون الحق يشاهد لدى الفطرة والعقل لايخدش في جلاء الواقع وبداهة الامر، فشأن الامامة اذن مسبوق بشأن التوحيد والنبوة الذين استمر فيهما النزاع على طول تاريخ البشرية.

فالحق المحبوب لله تعالى في دار الدنيا لحق تطلبه عقول العاشقين

لتبلغ به ساحات اليقين كل على قدر استعداده من نيل منازل المتقين.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله **(اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه)** اما الحق الذي جيء به الى دار القضاء ومحكمة الاجيال مقيداً بوجوب متابعة الصحابة والنساء وازواج الانبياء ومايقوله اصحاب السلطات ووجوب مسايرة الاكثرية ولزوم مشاهدته في ديار الاغلبية الراضية بكون المأمور بالخروج الى حرب الروم الناكل عن تنفيذ اوامر سيد الانبياء هو بنفسه المأمور بالصلاة، وأي صلاة هي؟ ما شاهد لها التأريخ من مثيل لحق مشوه الوجه ابكم.

فقول القائل لوكانت الامامة حقاً لختم فيها النزاع بنص لايقبل التأويل، نقول له كما وان التوحيد والنبوة حق لاريب فيه لكن يراد مشاهدة رايتهما من خلال رايات الضلال بقوة العقل والفطرة وان البصير لايختلط عليه لون البياض والسواد وان جعل البياض بين آلاف من رايات السواد كذلك الامامة يراد مشاهدة حامل رايتها من بين آلاف رايات الحاملين لشتى الرايات، والبصير العارف للحق كما هو حق يرى بزوغ الراية الحقة بأيدي أهلها كما يشاهد البصير اللون الابيض من بين آلاف رايات السواد ويميز موضع الشمس من بين آلاف الليال.

قمم الكمال

لكل وجود امكاني غاية وكمال، هي فطرة التكوين التي لامفر منها كما كان له مبدء وعلة قد توحدتا في ذات الحق تعالى، فراح الوجود الاتم الامكاني يطلب بحث النور ولانهاية الوجود ويفنى فناء العاشقين في صقع كبرياء جماله وجلاله وهوجامع الكلم وسيد الكائنات الحاكي مقام الاسماء والصفات وراحت الكائنات بماتحمل من فطرة حب الكمال تطلب هائمة الكلمات التامات التي هي جمع شتات عالم الامكان وفيض الله الاتم وان انكرت بعض الممكنات بلسان تيهها فطرة حب الكمال ظاهراً. فشاهدت الخلائق في عروجها المجلى الاتم متبلوراً في جوهرتين من عالمى الرجال والنساء هما الحقيقة المحمدية العلوية وحقيقة الطهر والعفاف الفاطمية اللتين كانتا شهوداً بعد الحق تعالى لجمع مراتب الفيض وقدكان القرآن مرآة يحكى الوجود بمافيه.

(مولد العفاف)

تمر القافلة البشرية بظلمات الاوهام والجهل تشم من الاصنام عبير الرحمة والحنان وترى فيها آيات الحكمة والايقان، فكأني

بالاجيال تطرب لوحشة العدم وتحن الى الاسراف بأسم الكرم وترنو الى السفك بأسم الشيم وتصغى لنداء الجور بأسم الحكم، فها هي تشرب عذب الماء من السراب وتبعد من النور بظن الاقتراب.

انه لجهد عظيم بعد الفخر بالوأد تقبيل ايدي العفاف، فراحت مكة تشرق بأنوار الملكوت والبشرى تعم عالم الناسوت يرفع فيها شعار الفخر بالقيم، حملت تلك القيم الرجال اوالنساء من بعد ما اسودت وجوه أهلها حزناً وتوارت خجلا من صرخة رسول الالام ومبدد الاحلام المخبر بنعق الغراب لزيد الاب الذي حل في بيته عار هند أو الرباب ولم يرفع رأسه اليوم بوليد اسمه الحكم المستطاب، فيالله والمصيبة العظمى كيف ترفع الاستار ويصحح المنظار لتشاهد الابصار بعد ما تكدرت الاقدار بطيش الاشرار عظيم المقام لمن كانت تستحق الاود لكي لاتأخذ الاقلام بتفسير الاحكام على طبق الميول والاوهام.

فكم من نسيم حق تطمئن له القلوب صار احاديث المفرطين ونغم الجائرين تصاغ له القوالب فيؤتى به مكبلا بقيود المستنبطين فتصفق له الايدي وتستسلم له العقول تقديساً لساحة بعض العظماء من الخطأ في درك حقائق الامور فيصبح التقليد بأسم التدقيق حاكما والاصرار على الخطأ بأسم حفظ الشرع والتراث هادماً لاحلام العارفين والا فالكثير من القيم والحكم التي أخذت طابعاً اسلامياً تحتاج الى تجديد نظر وحرية رأي.

أجل ماهي الا لحظات عاش فيها العلم حرا كبقية القيم يستنشق من الخلد نسيما لحياة العاشقين ويستلهم من الحق انواراً لكشف طريق السالكين اذ به شوهد اسيراً بأيدي الكثير من المستنبطين فضلا عن الحكام الجائرين حتى اصبح اليوم من اصعب الامور مشاهدة

المراد لرب العباد حتى للباحثين الاحرار بعد آلاف الاحاديث المزيفة التي حاكتها ايدي الشهوات أو الاحاديث التي اتبع فيها رجل عظيم اتكالا على حسن استنباطه ورفيع شأنه أو خوفاً من مخالفة رأيه امام العموم الى ان اصبح ما رآه من الحق من مسلمات الشريعة بعد ماكان رأى شخص لا يرسم طريقة مذهب أودين فمن مايحسن بطلاب الحقيقة العود الى مدارك الاحكام بحرية رأي لم تتقيد بتقليد عظماء الرجال ولا بمسايرة المشهور.

فأن اقتباس المطالب من الكتاب والسنة المسلمة سنداً بعدما حفت بتفسير وتأويل الكثير من المتقدمين والحاضرين وان كانوا بعيدين عن فلتات الطامعين من أصعب الامور.

وكذا مشاهدة حق المرأة ومقامها كبقية الاحكام والحقوق الاسلامية محتاج الى هيئة من العلماء الاحرار لتروى احاديث الرسالة بعد البحث والجد سواء كما هو المروى والمستنبط اليوم أو بتجريد الاسلام عن بعض مسالك الاخطاء لان تقديس المتقدمين وأن حمل في واقعه الكثير من الشأن قد يكون في بعض الاحيان اداة للتقليد، آخذاً بالاجيال الى ترك سلامة الاستنباط وجرى العقل فيصبح بعد الحسن قبحاً وبعد الكمال حطة و هو داء لم يختص بأمة من الامم أو بمذهب من المذاهب بل راح يعم البشرية جمعاء.

والنهضة لاجل تجديد النظر في كل ما هو مرسوم بأسم الاديان والمذاهب بحاجة ماسة لقطع القيود فكم من آية أو رواية فسرتها قيود الايام فأبتعدت عن ساحة قدسها مقبولة لدى الانام واذا توجه عليها نقد خلاف الفطرة أو العقل حاول الغيارى على الاسلام تأويل وتوجيه ما أصبح من المسلمات الذي لعله لاصلة له بروح الاسلام.

وكم من مباحث في الحوزات اضاعت حياة أجيال تحمل كل الاستعداد في حين انه قد ترك ما هو محل الحاجة الماسة لانقاذ البشرية، فراحت الحوزات العلمية تتنازع في مصطلحات الالفاظ او في بحوث لا صلة لها برشد الامة الاسلامية تاركة الكتاب الكريم في غالب علومه يتبرك بقدسيته وبات الكتاب وامثال نهج البلاغة يعيشان الغربة في مراكز العلم فضلا عن بقية الديار وراح الطالب الديني بعد سنين طوال يودع الحوزة وهو لم يسمع فيها اي كلمة عن سيرة سيد المرسلين ولا عن ائمته الاطهار سوى بعض الفضائل والمعجزات.

فلابد لمشاهدة حقيقة الامر في كل جوانب الرسالة بما يشمل حياة المرأة من دراسة جديدة وتدقيق في حياة ميزان الكمال واهل بيته الكرام لكى لا يختلط الوهم والخيال او التقليد فيصبح رسالة تروى احاديث الافراط او التفريط عن حياة المرأة الذي لا يخلو عن الحرية المزيفة او القيد اللا اسلامى على المرأة المسلمة بأسم الاسلام.

فأن كشف كيان المرأة من الكتاب والسنة مع النزاهة عن الميول الشخصية وخطى المتقدمين بنحو التقليد لا التدقيق أصبح للكتاب والمحققين من أصعب الامور فكم من كاتب حكى الاسلام بقدر تطلعه اليه من خلال بيئته وكم من حق مسلم للمرأة سلبته العقول حينما صارت عربية اوفارسية او غربية او شرقية او من مواليد القرن الكذائى وقد أعطت عقول اخرى من خلال نبرات الحرية المزعومة للمرأة التي هي مع فطرة المرأة في شقاق حقوقاً للمرأة لا اساس لها وروح الاسلام فلرب عالم عظيم يعيش هذا العصر يرى للمرأة من الحق

والحريات المتطابقة مع فطرتها ما ليس كان مشهودا لمن عاش في القرون السالفة.

كما وان الدعوة الى تساوى الحقوق مطلقا بين الرجل والمرأة قد يكون اقرب للمخطابة والشعر الحماسي ولحب الظهور بزى المثقفين مما هو لسان الواقع بعد الفوارق التكوينية و اختلاف الميول والقابليات ورقة العواطف وصلابة الجنان في عالمي الرجال والنساء.

نعم قد تطلق الكلمات العذبة خداعاً او جهلا بالواقع الخارجي في حين كونها غريبة عن فطرة مخلوق تمر كالطوفان فترة من الزمن ثم تنهار فلا يبقى الا فطرة التكوين، فالاسلام بلسان واحد حث الرجال والنساء على العلم وراح يدعوهما الى الكمال والسير في ميادين العرفان والجري على منهج العدل والاحسان ولولا قابليتهما لذلك لما دعيا بلسان واحد ولكن هذا لا يرسم تساويهما في بلوغ الغايات ولا يعين مصاديق الكلمات، بل كمال الرجال هي الحقيقة المحمدية وكمال النساء هي الطلعة الفاطمية فكمال الذات الانسانية في الرجال نبوة وعروج وايحاء من المبدء الاعلى بما لا تدركه العقول، وفي النساء علم وتقوى وعفاف وتجسيم لروح الاسلام وشهود لنساء العالمين ولكن لاتروى هذه الاحاديث الفضيلة الشخصية لافراد الرجال على النساء ولا يعطى مفهوم التساوى انكار طبيعة الذاتين في الرجال والنساء فالعدل هو جعل الشيء في موضعه ومشاهدة الامور في محالها في واقع التكوين وهذا تفاوت لاختلاف مراتب الوجود وليس من التبعيض والظلم.

فالنظام الاحسن لنيل غاية الكمال احضان علم وعفاف تربى الاجيال وصلابة جنان تحفظ الموازين فلكل من الروحين منازل لوحلت احداهما محل الاخرى يصاب العالم بالنكسات وليس ابعاد

المرأة عما يخالف فطرتها كأبعادها عن الجهاد والقضاء تضييع لحقوق النساء ولايكون الرجل ملكاً يأمر **فيمتثل** حقاً شرعياًمن حقوق الرجال، فلربما كانت قبضة الرجال لمقاليد الحكم والعلم اعطتهم ما لا يستحقون فظنوا انهم باستحقاق من الشرع يأمرون وينهون حتى تجاوز الكثير في بسط معنى الولاية للرجال على النساء بصيرورة المرأة رقاً للرجال في واقع الحياة الخارجية بأسم الدين الاسلامى متشبثين بامثال **(الرجال قوامون على النساء)** في حين ان الولاية التي جعلت للانبياء فضلا عن الزوج او الحاكم الشرعى ما كانت لتجعل لهم لولا انهم مثال حفظ الموازين والمصالح فهى ولاية مصلحة بحق المولى عليه، لا ولاية سلطان وهيمنة، كولاية الاب على الطفل الصغير التي هي ولاية العارف الشفوق لمراعات حق الطفل، فهى تكليف على عاتق الولى لايصال الحق الى اهله وان تحملت في واقعها السيادة الذاتية لا السيادة بمنظار القاصرين.

وان تجليل الرسول (ص) لفاطمة عليها السلام ليرسم للاجيال مقام المرأة ويحكى قابليتها في بلوغ الكمال ولكن هذا لايصنع من المرأة وجوداً يطلب الكمال في غير منازله التي هي شأن فطرة التكوين.

فمن المؤسف ان تكون بعض الاستنباطات المحفوفة بروح البيئة تسلب المرأة حقاً يوصلها الى عدم جواز الخروج لزيارة ابيها ولو كان على فراش الموت لو منع الزوج صاحب السيادة من ذلك وان للزوج حقاً ان يمنع المرأة من التصرف في اموالها الشخصية ولو كان لا لملاك ومصلحة، بل لمجرد اظهار الزوجية والولاية المزعوم اقتطافها من الاسلام، لقوله تعالى **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا)** وان جعل المرأة مضمونة الحياة

مكفولة المؤنة في كل ادوار حياتها وتكليف الرجال بذلك لايجعل حكم المواريث بأعطائها نصف مايستحقه الرجل امراً مخالفاًللعدل.

كما وان دفع نصف دية الرجل عند قتل امرأة لقتل القاتل لم يلحظ فيه تكريم الرجل على المرأة في حق الحياة، بل لوحظ التضامن الاجتماعى لحياة ورثة القاتل، لان بقتل الرجل يصاب البيت بنكسة اقتصادية.

واما ورد عن علي (ع) **(ان النساء ناقصات العقول، ناقصات الحظوظ، ناقصات الايمان)** فما كان ذماً وانما هو بيان لمراتب الوجود حين النسبة مع الرجال بلحاظ الجنس لا الفرد كما تقدم من ان كمال الحقيقة الانسانية فيالرجل الحقيقة المحمدية وفيالمرأة الحقيقة الفاطمية ومن الواضح ان احدى المرتبتين لقاصرة عن المرتبة الاخرى ذاتاً بحسب العقل والايمان والحظ ولكن قصور مرتبةنورية بلحاظ غاية كمالها عنالاخرى حينالقياس بينالنورين لايدل على ان المرتبة الادنى تروى خللا في العقل ومشاهدة النور، بل هي بلحاظ ذاتها نور ومشاهدة كلحاظ فيض الله الاتم وجامع الكلم بالقياس الى واجب الوجود تعالى.

تاريخ ولادة الصديقة عليها السلام

على المشهور، انها ولدت بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل البعثة بخمس سنين يوم العشرين من جمادى الثاني.

فترعرعت فاطمة (ع) في بيت يعيش الجهاد من أجل العقيدة، منطلقاً لنداء التوحيد بعد هبوب غيوم الظلمات تغتذى الايمان من ابوين طاهرين، يواجهان عالم الشرك، قدسددت لهما آلاف السهام من المشركين والمنافقين و طواغيت العرب والعجم واليهود، حتى أخذت الدعوة تهزاركان الطواغيت منذلك البيت البعيد عنزخارف الدنيا، الرفيع بالصفاء والسلام.

فأصبحت تعيش روح العرفان والجهاد الملىء ببهجة الثبات وثقل الدعوة، غير مكترثة بكثرة جنود الشيطان.

وقدانقضت فترة من حياة فاطمة (ع) في شعب أبى طالب وهو المحل الذي نقل اليه ابوطالب رضوان الله تعالى عليه محمداً (ص) حفظا لحياته حينما اشتد حقدالمشركين وسعوا لقتله(ص) وأخذوا بمقاطعة بنى هاشم وقد كان علي (ع) والحمزة و بعض بنى هاشم يحرسون النبي(ص) في الليل، وفي الخامسة من عمرها الشريف

انتهى حصار قريش وخرج بنو هاشم الى بيوتهم ولكن الزمن لم يمهل فاطمة حتى اختطف منها الام الحنون وان كانت صعاب الامور تبلور جوهرة الانسانية في عظماء الخلق وتعطي عظيم الاستعداد فعلية وخارجية تحمل القيم، فيزداد العظماء رفعة وثباتاً ولكن صعاب الامور تحدث في ضعفاء النفوس اضطراباً وانهياراً وحقداً وهزيمة عن ساحة النضال والتخلى عن المبادىء والقيم اذا حمى الوطيس.

(الزواج)

كان زواجها (ع) من علي (ع) في المدينة في السنة الثانية او الثالثة من الهجرة.

«حجة الوداع»

بعد ما أتم رسول الله (ص) حجه في السنة العاشرة من الهجرة، جمع الناس في رجوعه من مكة عند غدير خم وبين للمسلمين ان الخليفه من بعده ان احبوا الحياة هو علي (ع)، ومسألة الغدير وخطبتها مشهورة بين المسلمين قد وردت احاديثها متواترة من العامة والخاصة، ثم اخبر الرسول (ص) المسلمين انها آخر حجة وانه يودع المسلمين ومن بعد ما استقر به المقام بالمدينة امر جيشاً بقيادة اسامة وجعل الكثير ممن يحتمل فيهم روح الخلاف والشنئان في ذلك الجيش ليبعدهم عن المدينة عاصمة الاسلام، وامرهم بالتوجه الى بلاد الروم وجعل في ذلك الجيش بأتفاق مؤرخي العامة والخاصة ابابكر و عمر ولكن البعض تخلف عن تنفيذ اوامر الرسول (ص) ومن جملة المتخلفين الشيخان على رغم الحث والاصرار على الخروج واخذ يعتل المتخلفون كل يوم بعلة واستمر الرسول

صلى الله عليه وآله يصر على تنفيذ جيش اسامة ولولم نقل انه (ص) لعن المتخلف عن جيش اسامة فأن التخلف عن امر رسول الله (ص) يكفى لرسم منازل المتخلفين لدى طلاب اليقين وانه يكفى امر الشيخين بالخروج عن المدينة كل طالب حق من غير عصبية ان ابا بكر ماكان مشاراً اليه بالخلافة والصلاة كما يزعمون وليصبح الامر بالصلاة لابى بكر بعد الامر بالخروج مع جيش اسامة من الامور المتناقضة.

«الفات نظر»

سألنى بعض الاخوة لماذا جوزتم سب الشيخين؟ ولماذا التزمتم بالسجود على التربة الحسينية؟

فقلت له: هلا راجعت وقعة صفين؟ قال، نعم، فقلت له: هلا شاهدت ما روى من غضب علي (ع) حينما بلغه شتم بعض وجوه اصحابه لمعاوية وعمروبن العاص واهل الشام؟ قال نعم، فقلت له، الرجل العظيم الذي لا يجيز لاصحابه شتم معاوية وعمروبن العاص، فألاجدر به ان لايجيز شتم الشيخين ونحن اتباعه ومشايعوه وانما اجازلنا، بل اوجب علينا بيان الحقائق.

واما شتم بعض ابناء الشيعة للشيخين فأنه لا يروى مسلك امة تعتقد انها تتبع ثانى جوهرة في عالم الامكان هومثال الخلق العظيم، وان كنا نعتقد بالتولى لعلي (ع) واولاده الكرام والتبرى من اعدائهم ولكن ليس معنى هذا اننا نجيز الشتم.

ولا يجوز رفع اليد عن التولى والتبرى ظاهراً الاان يعيش الانسان حياة التقية التي هي اضافة على ادلتها الشرعية ضرورة العقل فلا تكون الادلة الشرعية الدالة عليها، كقوله تعالى، **(الا تتقوا منهم تقاة)** الا ارشاداً لما ارشد اليه العقل، لان اظهار المعتقد والحق اذا كان

لايؤدى الا الى الضرر بالانسان نفسه اوابناء نحلته لايكون ارتكابه الا خطأ وجهلا.

وثانياً اذاكنا بحكم الكتاب مأمورين باللين في الخطاب وبالمجادلة بالتي هي احسن مع الكفار واهل الكتاب فكيف يجازلنا شتم مذهب من المذاهب الاسلامية.

نعم ليس الشتم من شعارنا ولا هو من شأننا ولا يجتمع مع الخلق الكريم ولكن كما لنا بعض من لا يمثل المذهب في اقواله وافعاله كذلك لكم من ينسب الينا النسب ويفترى علينا الافترائات ويجيز علينا الشتم بل التكفير، فنأمل ان يكون ذلك ايضا لا يمثل لديكم مذهباً .

واما السجود على التربة الحسينية فهذه كتب الشيعة ورسائل علمائهم كلها تقول: يشترط في مسجد الجبهة الطهارة وان يكون من الارض او ما أنبتته من غير المأكول والملبوس وانما رجح لنا لا بنحو الوجوب السجود على التربة الحسينية ليكون المؤمن بصلاته البالغة الى قمة العروج في السجود يعيش ذكرى ساحات النضال والجهاد والتضحيه من أجل الدين والعقيدة، السجود على تربة سقط عليها رجل الجهاد والصبر والثبات ليعانق لانهاية الرحمة والقرب الالهى، وليس الامر كما هو في اذهان اخواننا ابناء السنة والجماعة.

الشيعة

التشيع لغة هو المشايعة والمتابعة، والشيعة هم الاتباع والانصار، وقد أصبح بحسب الاصطلاح اسماً لمن تولى علياً (ع) واولاده، واعتقد بأمامتهم عقلا ونقلا، كما وان التسنن اصبح اسماً لمن تولى الشيخين ورأى في جريهما تجسيد الرسالة.

وقد ذهب البعض ان مبدأ التشيع منذ وفاة الرسول وقيل يوم مقتل عثمان وقيل من ايام فتنة الجمل في البصرة وهكذا اخذت تتكثر الاقوال حتى بلغ النبوغ ببعض المدققين والباحثين المتتبعين الذين قضوا حياتهم في مسالك المتألهين، ان التشيع وليد بطل مثالي هو عبدالله بن سبأ، فبورك لهم على حدة هذا الذكاء الذي غاص في اوساط نفس الامر والواقع، فراح يتطلع الحقائق من القمم، فأخذ ينثر الجواهر للاجيال مريحاً لهم من عناء كان قد شغل اذهان السلف و بعض فطاحل العلم وبحاثة الزمن كأبن كثير واضرابه.

وقال آخرون ان فكرة التشيع، قد تكونت قبل هذه الازمنه، فهي قد رافقت فجر الاسلام حينماكان النبي(ص) يغذي بأقواله وافعاله فكرة التشيع لعلي (ع) ويمكنها في اذهان المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة على اختلاف المناسبات، واول بدءها كان في مكة

المكرمة يوم انـزل الله تعالى: **(وانـذر عشيرتك الاقربين)** فجمع النبي (ص) عند ذلك بنى هاشم ثم قال: ايكم يؤازرنى على ان يكون اخى و وارثى ووزيرى وخليفتى فيكم؟ فكانت هذه البذرة الاولى واستمر طيلة حياة الرسول(ص) يغذي التشيع لعلي بأقواله وافعاله وأخذت الايات تتوالى بحق علي(ع) والرسول يقول **(انه منى بمنزلة هارون من موسى)**، الى أن كانت حجة الوداع التي اعلن فيها الرسول صلى الله عليه وآله استخلافه لعلي عليه السلام.

وبتعبير آخر اقول ان تطبيق الرسالة وشرحها في كل ابوابها الحكمية والعقائديه والاخلاقية، تشريعاً وتنفيذاً وقضاء بعد الرسول صلى الله عليه و آله هل وجب بحكم العقل والنقل لمثل علي (ع) او الشيخين، فمن اعتقد ان بيان الرسالة بلا اي زيادة ولا نقصان بكل بطونها واعماقها اللامتناهية في الكمال الحاكية لعالمي الوجوب والامكان وكذلك التطبيق السليم للرسالة خارجاً يتمثل بعلي (ع) واولاده كان شيعة علي (ع) واولاده الكرام ومن اعتقد ذلك في حق الشيخين كان من شيعتهما.

فهناك تشيعان، لا تشيع ولاتسنن، شيعة علي واولاده وشيعة الشيخين. وبتعبير آخر هل الكتاب والسنة يحكيان بأقوال وافعال علي (ع) واولاده بعد الرسول، ام بأقوال وافعال الشيخين، بل خلفاء بنى العباس والعثمانيين لتحفظ الرسالة في واقعها العلمي والعملي وتهدى سليمة من آفات الافراط والتفريط الى الاجيال.

أجل كان في عهد الرسول لماورد من الاجلال والتكريم لعلي (ع) الكثير من الرجال والنساء يرون رسم خطى الكتاب والسنة بأفعال واقوال علي (ع) فكانوا يرونه المرآة العاكسه لانوار الرسالة سواء في عهد الرسول (ص) او من بعده، فأنهم كانوا يرونه نسخة اخرى

تجسد الكتاب بما فيه تحكي نفس الرسول(ص) وتكشف مكنون سره بكل ما للسنة النبوية من ابعاد، وراح البعض يتطلعون الى الرسالة في وجه الشيخين بعد السقيفة.

فنحن ابناء الكتاب والسنة وشيعة محمد(ص) لانه صلى الله عليه وآله، القائل لعلي (انت منى بمنزلة هارون من موسى) ولشهادة الكتاب الكريم بأتفاق العامة والخاصة ان آية الولاية وهي، (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)، انما وردت في حق علي (ع) ومئآت الادلة النقلية والعقلية الاخرى المثبتة لما نقول.

ثم من بعد وفاة الرسول (ص) حدث تشيع آخر وهو تشيع الذين يرون تجسيد الرسالة بعمل الشيخين، فالتشيع الذي يحتاج اثبات صحته الى الدليل ليصبح مرآة تعكس انوار الرسالة هو تشيع التابعين للشيخين.

اذن هنالك تشيعان تشيع لعلي (ع) واولاده وتشيع للشيخين وانما الكلام في مصداقية حكاية الكتاب والسنة بأى من التشيعين وليس هناك من تشيع وتسنن الا بحسب المصطلح والتسمية.

أجل تشيع أقره الكتاب والسنة بالعقل والنقل وتشيع حدث يوم السقيفة او من بعدها اي التشيعين احق بالمتابعة؟.

أذن كان من حقنا ان نتسائل متى حدث التشيع للشيخين وما هي المصححات لمثل هذا الحدث بعد وفاة الرسول (ص) ومتى حصل حدوث مذهب السنة والجماعة وكيف أصبحت متابعة الشيخين مذهباً من بعد ما كانت مع الانصار نزاعاً على حكم، وما كان من حق السنى ان يتسائل متى حدث التشيع لعلى عليه السلام!!!

(نعم آية السيف تمحو آية القلم)

وبالجملة فأن الامامة استمرار النبوة فيجانب البيانوالتطبيق، فهى الميزان السليم الراسم لواقع القيم الرسالية بلا زيادة ولا نقصان لا بأجتهاد وتحقيق، بل بدراية عن منبع التشريع وتطابق معفطرة الكمال التي هي نفسالولى جمعاً لشتات كمال عالم الامكان، فهوتمام النور الامكانى تجوهراً بعدالشتات فيمراتب الفيضطولا وعرضاً فلا محمدية ولا علوية بل ولا حسنية ولا حسينية الاكنور واحد ينهل عذبالفرات منقمة جوهرة الامكان ومظهر عالمالاسماء والصفات الروح المحمدية وينصب على قدر قبول الارض الا ان تكون اجاجاً.

ولما كانت الامامة بياناً للرسالة وكشفاً لكل بطونها السبع والسبعين وارشاداً الىكيفية تطبيقهاكانت كالنبوة بعيدةعنمسرح العقول لابد من تعيينها من قبل الحق تعالى لتأخذ بالامة لوشاءت الحياة الى قمم الكمال وبعد ما تصبح الامة واقع الرسالة ينتهىدور الامامة بحصول الضمانللرسالة بصيرورتها واقع الامةعلماً وعملاً.

ففى مثل هذا المجتمع الذي أصبح تجسيما لواقع الرسالة بعد حياة اثنى عشر نقيباً لاقيادة فيه للماكرين منالمنافقين والمرائين ولاللجبابرة المستهترين، لانامةالوعى والرشاد لايقودها الا رجال الوعى والرشاد ولو قدر للفلتات مجال لاطيحبها فياسرع اللحظات ولراحت تعيش سخط الامة بكاملها.

وان المسلم كما قد يكون من شيعة علي (ع) او الشيخين قد يكون من شيعة بنى امية اوبنى العباس اوغيرهما منحكامالمسلمين حينما يرى لهم الشرعية في التصدى لامور المسلمين بياناً وحكماً.

وقد تكون بعض المناهج لبعض الاخوة المسلمين حصيلةتطور

وتركيب مزدوج ناشيء من تعاطف الفكر المتأثر من رواسب الحكم ومجاورة الامراء والحكام ومجاراتهم على ممر الزمن وبعد ان كان هارون هذه الامة بأتفاق جميع المسلمين هو الاخشن في ذات الله بشهادة الرسول وهو الا علم بشهادة نفس الشيخين كقول الخليفة الاول **(لست بخيركم وعلى فيكم)** وقول الثانى (لولا على لهلك عمر) و غير هذه الكلمات اضافة على مادل على ذلك من الكتاب والسنة كان علي (ع) بحكم العقل والنقل هو المرأة الحاكية لخطى الرسالة لكي لاتصاب بجهل الرجال وعمايات الرغبات قصوراً او تقصيراً.

ولا اسمح لنفسى مخاطبة انسان عاش كل البعد عن روح الاسلام حتى اصبح يتردد في حقانية علي(ع) وامثال معاوية لانى ارى ذلك من التهاون بشرف العقل والجوهرة الانسانية التي بها يميز الله تعالى بين الانسان والعجماوات الا ان يكون طالب حق ابعدته الظروف عن شم نسمات الخلد يسئل مستفهما ليعرف سبل الكمال لا موجهاً لعمل اضراب معاوية او مدافعاً عن امثاله فأن السكوت معه اولى.

ونأمل ان تكون كلمات بعض المتكلمين من اخواننا السنة عن المذهب الشيعى نشأت بسبب البعد عن الاوساط الشيعية العارفة بالمذهب والا ففى كل مذهب العارف والجاهل.

خطى الاسلام

قال رسول الله (ص) من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس من الاسلام في شيء وقال (ص) كلكم راع وكلكم مسئوول عن رعيته وقد جعل الاسلام الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضاً على المسلمين ليحفظ بذلك النظام الاسلامى من الانحراف في جانبى الايجاب والسلب فكم من انحراف لترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اصبح اسلاماً لا يستغرب منه او اصبح المسلمون ينظرون اليه نظر المتفرج الى مالا يعنيه حتى اصبح المسلم يمتدح اذا كان من المتفرجين الذين لايهمهم الا ماهو من شأن الفرد كألصلاة والصوم وان تجاوز الامر فأقامة ماتم الامام الحسين (ع).

فيقول القائل **(ان فلانا حقيقة من الاخيار)** لانه لايتدخل في شيء فأصبح الكلام الذي كان في صدر الاسلام يحكى هوية الخارجين عن الاسلام يمدح به رجال التقوى والايمان فيالله والعجب والبعد عن خطى الاسلام.

فما الاسلام الاضجة واحدة لتحقيق الحق و دفع الباطل، وليس كل مانعانى من تخلف واضطهاد هو صنيعة المستعمرين والمستغلين بل يكمن اساس ذلك في نفس هيكل مجتمعنا اسلامي وان رحنا نعلل

بألقاء اللوم على المستعمرين او بالقائه من بعضنا على الاخر والحال ان المستعمرين لولا وجود الارضية القابلة لما وجدوا محلا للنفوذ.

فالبعد عن روح الاسلام صير المسلم لا يدرى أصحيح ما يفعل بأسم الاسلام وما ينسب اليه ام ليس بصحيح؟ وقد يعيش المسلم ود الاسلام وقادة المسلمين وهو لايعرف منهما شيئا يستن بسنن الجبارين ويسير بخطى المنحرفين وهو يظن انه يدعم خطى سيد المرسلين.

فالدعوة الى الصمت امام كل ما يفعله حكام المسلمين كانوا محقين او مبطلين حفظا لوحدة صفوف المسلمين ادى بالامة المسلمة الى ما هي فيه.

تنبيه مهم

لعل قائلا يقول: هلا كان الرسول (ص) قادراً على تنفيذ جيش اسامة؟ ام كان عدم التنفيذ لشدة مرض الرسول(ص) و خروج ازمة الامور من بين يديه ولذا حصل التمرد في الجيش واذا كان قادراً فلماذا لم ينزل العقاب الصارم بالجندى المتخلف كما تصنع الدول؟

فأن الجواب يبدو واضحاً لكل من عاش سيرة الانبياء والاوصياء شيئا من الوقت فان الاوامر والنواهى على نحوين والمثال احسن المقربات فانه تارة يقول الرسول (ص) الصلاة واجبة وحكم المتخلف كذا، والخمر حرام وحكم المتخلف كذا، فههنا ينزل العقاب على المتخلف لاتراعى في حقه منزلة اجتماعيه ولاشفاعة بعد كونه عارفاً بالتكليف لم يعش الضرورات.

وتارة يرجع الامر والنهى الى الحوادث الخارجية كما حدث في غزوة احد بأن امر الرسول(ص) المسلمين بالبقاء في المدينة ولكن الكثير اصروا على الخروج لمقابلة المشركين فلما لبس رسول الله صلى الله عليه و آله لامة حربه قاصداً الخروج من المدينة ندم الذين اشاروا عليه بالخروج وقالوا يأتيه الوحى ونحن نخالفه فخرج في

الف نفر فلماكان بين المدينة واحد عاد عبدالله بن سلول بثلث الناس قائلا اطاعهم وعصانى لانه كان قد اشار على الرسول بالبقاء في المدينة ومحل الشاهد ان الرسول (ص) لم ينزل العقاب لا بعبدالله بن سلول وأصحابه ولا بالجماعة الاولى وايضاً كما حدث في يوم الاحزاب حينما اشتد الامر على المسلمين في الخندق ورأى الرسول اعطاء بنى غطفان شيئان من ثمار المدينة لشق صفوف الاحزاب ولكنه (ص) لماشاهد عدم رضا الانصار تنازل لرأيهم وكذلك حينما اراد قتل بعض اليهود وخالف عبدالله بن سلول اصفح عن قتلهم وحينما امر بعض المسلمين بالوقوف على الجبل في غزوة احد فتركوا مواقفهم فأدى ذلك التخلف عن امر الرسول (ص) الى كارثة راح ضحيتها الكثير من عظماء المسلمين فأنه (ص) لم ينزل العقاب بالمتخلفين ايضاً.

وكذلك كان السير في خلافة علي (ع) فانه لما ارشد الناس وحثهم الى الخروج الى اهل البصرة والشام والنهروان لم يجبر أحداً على الخروج ولاعاقب المتخلفين ولا قطع اعطياتهم كما وانه لم يجبر أحداً على البيعة.

فهذه بعض الشواهد من عشرات الشواهد الاخر الواضحة لدى الباحثين من سيرة الانبياء والاوصياء في هذا المقام الثانى.

فقد كان الانبياء والاوصياء يعيشون حرية الرأى مع اممهم لتنشأ الامة على عيش الحرية بعد ما يرشدهم النبي (ص) او الوصي (ع) الى محل الصواب من الرأى لان بفسح المجال امام حرية الرأى تنمو القابليات وبالرشاد الى الصواب تسير الكمال فان كانت الاخطاء لدى الطاهرين من الدنس والنفاق واللجاج ادت بهم الى الندم واصلاح النظر لخطى المستقبل.

وان كانت الاخطاء عن عمد ومرض نفساني واصبح ذلك روح الامة فسح المجال لها أيضاً لتسير الظلمات وظلم النفس طبقا لحكمة الاختيار والاختبار بعد ما ترشد الى الصواب.

اذن اصبح الامر واضحاً ان الرسول (ص) ماكان غير قادر من تنفيذ جيش اسامة كما يزعم البعض ولكن بعد ما امر (ص) وارشد الامة الى سبل النور والهدى ترك الامة واختيارها لتحصد ثمر التخلف عن تنفيذ امر الله والرسول لتتم السنخية بين الحاكم والمحكوم التي هي سنة الله على وجه الارض المعبر عنها بقوله (ص) «**كيفما تكونوا يولى عليكم**».

وكذلك الامر في مسألة بيعة الغدير وتعيين الوصي فان الرسول صلى الله عليه و آله بعد ما اتم البيان وأكد على ذلك حتى عرف القريب والبعيد ان الرشاد ببيعة صاحب الغدير ومن بعد ما ازال (ص) عنها جميع الشبه وامر الشيخين بالخروج من المدينة لاجل ان لا تبقى غشاوة للاجيال القادمة ولكي لا يقول قائل ان الرسول (ص) أمر ابا بكر بالصلاة والامر بالصلاة اشارة الى تنصيب ابى بكر الاان يكون مصراً على اللجاج والا فالمأمور بالخروج لايكون بنفسه المأمور بالصلاة فعندئذ فسح المجال لتختار الامة لنفسها فأختارت المتخلف عن تنفيذ امر الرسالة المتهم لساحة قدس فيض الله الاتم بالهجر.

والا لو اراد (ص) حزم الامور خارجاً لتكلم في حق المتخلفين عن جيش اسامة والمتهمين له بالهجر كلاماً في ضمن خطبة عامة لايرجى تدارك الكرامة بعدها الى يوم الفزع الاكبر ولكن هذا يسلب الامة اختيارها في شق طريقها للمستقبل، الطريق الذي يجب ان تقطعه الامة بنفسها بعد رحيل الرسول (ص) اما نحو النور او نحو الظلام.

فاطمة ام ابيها

بـالرسول الاعظم (ص)، وفـاطمة خرج القانـون الاسلامى الى مرحلة الفعلية والتطبيق فصار مثالية تروي احـاديث الصادقين لا اوهام الشعراء المتخيلين، فتجسد كمال الامكان في عالمي الرجـال والنساء بهما في مرحلة التطبيق وان كان لكل من الرجل والنساء ميادين للجهاد في سبل العقيدة والدين.

فكانت فاطمة تعيش الود والحنان الذي يخفف ثقل الرسالة عن عاتق الرسول الاعظم (ص) الذي قضى حياته يحمل اثقـال الوحى واحياء الانسانية بما يكلف من صعاب الامور وعظيم الاخطار.

١ـ فكان وجود الرسول (ص) يحكي مثالية الابوة لفاطمة (ع) وكانت فاطمة تحكي للرسول (ص) مثالية البنوة والامومة بماتحمل من عظيم العطف والحنان والراحة لنفس الرسول فلعل هذا يكون هو المراد من فاطمة ام ابيها.

٢ـ ولعل المراد من كلمة (فاطمة ام ابيها) اظهار شدة الحب من نفس لا تحب الا في ذات الله لترسم للاجيال قرب المحبـوب الى الله تعالى ليصبح حب فاطمة وأذاهـا احدى الملاكات التي تـرسم خطى الاسلام بعد الفطرة والعقل، فان بهذه الكلمة وامثالهاكقوله (ص)

(فاطمة بضعة منى فمن آذاها فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله، وقوله (ص) ومن اغضبها فقد اغضبنى ومن ساءها فقد ساءنى وقوله (ص) واذا اشتقت الى الجنة قبلت نحر فاطمة، وفاطمة بضعة منى وهى نور عينى وثمرة فؤادى وروحى التي بين جنبى وهي الحوراء الانسية، وقوله (ص) كانت مريم سيدة نساء زمانها، اما ابنتى فاطمة فهى سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين، وقوله صلى الله عليه وآله ان اول شخص يدخل علي الجنة فاطمة بنت محمد، اراد (ص) اتمام الحجة على العباد ولكي لا تبقى حجة لاحد يدعى اختلاط الامر بعد رحيل رسول الله (ص) وهو يشاهد من تعدى على بضعة الرسالة واتمت هي عليها السلام الوضوح بعدم تجويز اشتراك الشيخين لتشييع جنازتها.

٣ـ ولعل المراد اظهار مقام المرأة من انها كالرجل قادرة لقطع مسافات الكمال ليلفت انظار المجتمع الى مستواها لو عاشت مسيرة الكمال وان العظمة بالانسانية كانت في المرأة او الرجل ليرفع المرأة لمقامها اللائق بها لدى امم تعتبرها كالسلعة او ترى من حقها الاود.

٤ـ ولعل المراد الاشارة الى أن فاطمة بحكم الام في وجوب احترامها واذا وجب هذا الاحترام على الرسول (ص) لساحة قدسها فوجوبه على الاخرين بطريق اولى ليروى (ص) بذلك محل المعتدى على حقها وكرامتها.

٥ـ ولعل المراد ان فاطمة بعطفها وحنانها سدت فراغا احسه الرسول (ص) منذ اول طفولته وهو فراغ فراق الاب والام الذي كان يحس ألمه الرسول حتى في سنين الكبر حتى كبرت فاطمة عليها السلام.

٦ـ او المراد انها (ع) حبل الوصل بين النبوة والامامة فلا

تمامية لغاية التشريع بلا امامة صالحة ولا امامة صالحة بدون نور النبوة، فالركن الذي تلجأ اليه النبوة هي الامامة لان بها ظهور نور النبوة وكذلك نور الامامة وشوقها بالهيام نحو النبوة، فالنبوة هي الاب والامامة هي الام، فالامـامة اصل وفرع، فهى اصل لان النبوة بدونها اطار خال من المحتوى وهي فرع لانها متفرعة على النبوة تنشر انوار النبوة.

٧ـ ولعل المراد بكلمة فاطمة ام ابيها الاشارة الى الطينة الواحدة والنور الواحد الذي خلقا منه ففى تلك المعنوية تفنى التميزات فتكون نوراً واحداً معلقاً في عرش جماله وجلالـه تعـالى فهى ابوة وبنوة وامومة ولا شيء منها في نفس الامر والواقع عنـد فناء المقربين فأبوة العرفان عين امومـة العرفان وهما معا لاذات لهـما عند صقع كبريائه تعالى فهما نور واحد يروى انوار لانهاية الوجود.

٨ـ او المراد انها (ع) مرآة الكمال لدى ابيها فهى عين العشق والهيام التي بها ينظر الاسماء والصفات الالهية، فهى المقصد لدى طالبى مشاهدة الكمال، والاصل في جوهرة النساء والملجأ المونس عند ملمات الزمان الذي ترتاح له النفس وتستعيد هدوؤها بما تحمل كلمة الام من عظيم المعانى فهى تمام الود والحنان، لان ودها ود الله تعالى ومطالعتها مطالعة نور الله ووجودها مظهر الاسماء والصفات بأعين العارفين وهو الاب لانه غاية الكمال في دائرة الامكان فما من وجود شاعر اوغير شاعر الا وهو مشتاق اليه بفطرة الخلق والتكوين والسير نحو العلة الغائية في عالم الممكنات وان غاية الغايات الوجود الذي هو فوق التمام وهو وجـود المبدأ الحق تعالى واذا كـان هذا اشتياق الكائنات نحو الغاية والتمام فكيف بأشتياق العارفين والكلمات التامات كفاطمة (ع) نحو السعادة والكمال التي هي الحقيقة المحمدية،

فهي عليها السلام عين الشوق والتجهيز والتهيئي لمطالعة فيض الله الاتم في حين انها تعيش الفخر لمعانقة هذا النور والاعجاب بالمجلى الاتم الذي لايبهر الا العارفين، فهي تعيش الاعجاب بالمجلى الاتم ومجليه تعالى وتقدس.

وبالجملة لعل جميع هذه المعاني وغيرها من معاني الكمال مرادة في مثل هذه الكلمة الخالدة وليس المراد ان كلمة واحدة دلت على هذه المعاني المختلفة بل كلمة واحدة دلت على معنى واحد وهو رواية الكمال، والكمال في وحدته يحمل جميع انوار الملكوت ويظهر مقام الاسماء والصفات.

فها هي فاطمة بطلة الاسلام تجسد لابيها البنوة والامومة ولزوجها مثالية الزواج الذي ما كان بباطن الا هو الظاهر وظاهر هو الباطن يروى احاديث الحنان والعفاف والشرف ولابناءها مثالية الامومة.

فراحت تخفف من ثقل النبوة وصعابها ومن ثقل الامامة وعظيم امرها فبها وبأمها من قبل مثالية المرأة في جوانبها لا باللائى تظاهرن على الازواج وافشين اسرار الرجال وخالفن اوامر الكتاب

فهكذا سارت بطلة الاسلام ترسم خطى السلام لطلاب الحقيقة في مدرسة الايمان قائلة: ان كانت القيم في العلم فهاهي في حق علي (ع) حتى بشهادة الشيخين وان كانت القيم بالشجاعة والخشونة في ذات الله والصبر والثبات فلا يتردد المنصف ايضاً انها في على (ع) وان كانت القيم تروى بالايات والروايات كآية التصدق بالخاتم وحديث الحب كقوله (ص) **(سأعطى الراية غداً رجلاكراراً غير فرار يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله)** فها هي في حق علي (ع) ايضاً وان كان قرب الانتساب يحكى القيم كما جعله الشيخان

عند منازعتهما الانصار كانت الاولوية لعلي (ع) ايضاً وان كان تولى شؤون الرسول والصلاة عليه وتجهيزه وتكفينه ودفنه يحكى واقع الصلة بالرسول (ص) فها هو لعلي (ع) ايضاً وان كان بيان التشريع في عهد الرسول يحكى القيم واولوية الامر بعد الرسول(ص) فها هو لعلي (ع) ايضاً حينما ارسله الرسول (ص) في اثر ابى بكر وامره بقراءة سورة براءة على المشركين فعاد ابوبكر قائلا يا رسول الله (أنزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عنى الا انا او رجل منى) وان كانت المواساة تحكى القيم والاولوية لامر الامامة فها هي في حق علي (ع) ايضاً وهي واضحة لدى العارفين بالتاريخ وان كانت القيم تروى بمثل قوله (ص) (الضربة علي يوم الخندق تعادل عمل الثقلين) فها هي في حق علي عليه السلام أيضاً و ان كانت القيم تروى بحديث المنزلة فها هو في حق علي ايضاً وان كانت القيم تروى بحرية الفكر والعمل والتقسيم بالعدل بين الناس فها هو على بعد البيعة العامة في مسجد الرسول التي ما تخلف عنها الا النوادر يعطى الامن للمخالفين ولم يهاجم احداً منهم ولم يجبرهم على البيعة ولم يبرر الهجمة على المخالفين ومنع اعطياتهم بالعناوين الثانوية لحفظ هيبة امير المؤمنين ولا اظن ان حاكماً غير من عصم الله تعالى انهالت عليه النفوس يبلغ في الحرية لمخالفيه هذه المثالية وان كانت القيم تروى بعدم تجاوز الحدود في الكلمات في حق المخالفين فها هي متمثلة فى علي (ع) عند ما يقول بالنسبة الى الخوارج بعد وقعة النهروان **(اخوانكم طرأت عليهم شبهة)** ولم يبلغ به الامر حتى بالنسبة الى اهل الشام ان يعبر عنهم بالكفرة بأستثناء معاوية وانما وصفهم بالفسق أو الجهل وكذا بالنسبة الى اصحاب الجمل ولولا حب الاختصار في هذا الكتاب لاخذت في سبر ما هو ثابت فى كتب اخواننا ابناء

السنة وسيأتي البسط انشاء الله في الحديث عن سيرة علي (ع).

نعم لوكانت القيم هي للمأمورين بالخروج الى حرب الروم لتخلو منهم عاصمة الاسلام تحت قيادة شاب بعد الاصرار الشديد على الخروج وما ورد من الكلمات الشديدة في حق المتخلفين وما هو شأن المتخلف عن اوامر الرسول(ص) ومع ذلك كله كون هذا المأمور بالخروج الى بلد نائية هو بنفسه المأمور بالصلاة واي صلاة هذه؟! هي التي لم يسبق لها مثيل في الاسلام بأمامة امامين دفعة واحدة وعدم ترك المجال من قبل الرسول لاتمام امامة هذا المصلي في حين كان الرسول يعيش الضعف الشديد هي القيم التي تحكي اولوية الامر فها هي في حق أبي بكر لاينازع فيها احد والا فكل عارف لم يتقيد بمتابعة المتقدمين يعلم بعد غض النظر عن التناقض في الامر بالخروج والامر بالصلاة معاً، ان هذه الصلاة لوكانت محبوبة لدى الرسول(ص) لصبر حتى تتم ثم اخذ بتأييدها واظهار السرور من هذا الاجتماع لا التصدي لعدم اتمام هذه الامامة.

(خطاب في مسجد الرسول)

ماقامت فاطمة تهز بخطابها ضمير الانسانية لتطالب بفدك ليعيش في ظل هذه الارض ابناءها عيش الترف والنعيم وهي تحمل لواء الصبر والثبات وتبذل كل غال ونفيس بأزاء القيم الحقة.

عاشت هذا الشرف في بيت عظيمين جسدا الصبر والتضحية في سبيل العقيدة لكنها حذرت الانسانية التي لاترى البعيد وحشة غسق يشير الى هيمنة الظلام الذي يأخذ بالامة الى انهيار جميع القيم بأسم الحق أو الباطل بأماتة الحرية وعودة حياة السيف الذي حصل بيوم وفاة الرسول(ص).

فهاهي واقفة في مسجد رسول‌الله(ص) تجدد نبرات الرسالة الخالدة لاذان السامعين وتنذر مغبة كابوس يسلب الارواح ويبقى الاجساد هامدة قائلة: ان يدأ مدت اليوم على اموال بيت الرسالة سيهون عليها كل مال دون ذلك فلاأمن بعداليوم لاي انسان فيكيانه المالي وان قدماً سارعت لاغضاب من يناط غضبها بغضب الرحمن سيهون عليها اغضاب اي مؤمن أو مؤمنة اخرى وان سكوت المظلوم أمام الظالم بالاخص اذاكان من أهل الشرف والكرامة سيفسح المجال امام العدوان على الامة ومشيرة الى ان شخصاً يكون هو الخصم والحاكم معاً، سيغير موازين الامة، وان حكماً يقام بضرب الاخرين يتسلق اليه بأسم القرب من رسول‌الله(ص) ثم يزوى عنأقربالناس لرسول‌الله(ص) قدهدم اصلين مناصول الرسالة النص على الوصاية لعلي(ع) وبغض النظر عنه فقدخالف الشورى وثالثاً قدناقض نفسه ان كانت دعوى القرب هي الملاك.

واجمال القول انه بسقوط الحريات واقامة حكم السيف الذي ظهر بيوم رحيل الرسول الاعظم(ص) بعد تلك المثالية التيحققها الرسول في الحرية تسقط جميع القيم فلاكرامة للعدل تحت ظلال السيوف كما وانه لاكرامة للعلم ولا لاي فضيلة اخرى تحت ظل هذا الواقع الرهيب، كذلك كان الخوف من سقوط القيم المثالية التي ضحى من أجلها الرسول كل غال ونفيس في غضون ثلاث وعشرين سنة يعيش حرية الرأي حتى في مثل يوم الاحزاب في وقعة الخندق يستشير الصحابة ثم يتنازل لرأيهم بعد ان رأى(ص) شق صفوف الاحزاب بأعطائهم شيئاً من ثمار المدينة.

أجل فلتات الامس سهلت عواصف اليوم، فما قام الحسين(ع) ليقول لماذا تركت الصلاة والحج بل ليقول ان الصلاة وبقية القيم

والموازين أصبحت جسداً بلاروح تحت ظلال السيوف وأمامة الجهال والماكرين وطبقت الكبريات طبقاً للميول والشهوات يقتل البرىء أوالمغدور حقه ويترك القاتل والمعتدى وقد تفسر الايات والسيرة طبقاً للاهواء والميول.

فبالحرية نمو القيم وهناء العيش وبموتها موت الحياة والكرامة وبقاء الاسماء بدون المسميات ولكن من المؤسف ان ينزل هذا الخطاب العظيم لبطلة الاسلام الخالدة الراسم لخطى التوحيد والرسالة الى مرحلة نزاع على ارض ثم يأخذ الخليفة الاول بصبب القضية على انها دعوى على اموال المسلمين ولكنها حفت بحنان من الخليفة تكريماً لذلك الاب العظيم بأعطاء امواله الخاصة لبنت الرسالة لان المرء يحفظ في ولده!!!

أجل والله ماكانت لتألم فاطمة العلم والعفاف والتقوى وترفع صوت الظلامة ليدوى على طول التأريخ البشري لارض تغصب منها بعدما ثبت من عيشها البسيط وبيتها المحقر بل كان الخوف من ضياع قيم الرسالة بأسم الرسالة وتحقيق الجهالة بأسم العلم، والظلم بأسم العدل، والنفاق بأسم الزهد، كان خوفها من ان يبقى الاسلام اسماً ان لم يستظل بظل امام عادل، كان الخوف من ان تصبح الزناة سيوفاً لله لايجوز غمدها لولاة المسلمين، كان الخوف من ان تصبح الامامة تصدق صهرها خراج بلد وتلين بأزاء شربة الخمور على حساب الامة والدين، كان الخوف من ان يطبق أمثال المؤلفة قلوبهم والمطرودين على لسان رسول الله (ص) قانوناً تسامى في كل جوانبه وعجز عن درك معانيه فطاحل العلم والحكمة الذي ماكان ليسلم الا لامثال ابراهيم وداوود عليهما السلام بعد الاختبار والابتلاء، كان الخوف من ان تصبح الشورى بعد الغض عن الامامة صورة تحمل في واقعها الاستبداد،

كان الخوف من ضياع القيم والكرامات.

كان الخوف من ان يصبح القانون الاسلامي حرية ولكن للسلاطين، والاقلام حرة ولكن بشرط ان توجه اعمال الحاكمين، والعلماء مكرمون ولكن اذا كانوا في أبواب الجائرين، كان الخوف من ان يصبح القضاء بأيدي الجهال أو المنحرفين، كان الخوف من أن تهدم الكعبة لحفظ هيبة أمير المؤمنين وان تستباح نساء المدينة لعز سلطان المسلمين.

وبالجملة كان الخوف من إماتة ناموس السماء بأسم الدين فهو خوف من رجوع الجاهلية والقيصرية والكسروية بأسم الاسلام.

كان الخوف من حكم العباد الجاهلين والامراء الماكرين، فيكون حكماً للشيطان براية رب العالمين.

فكان صوت فاطمة بعد علي(ع) اول صوت دعى المظلومين الى عدم الصبر على العدوان واشار الى ان السكوت امام أول خطوة يفتح المجال امام الخطوات وان سكوت المظلوم ظلم لنفسه وظلم للاجيال كما وان سكوت العلماء والعرفاء كذلك.

الامامة

الامامة كمال النبوة قال تعالى (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدى الظالمين) وقال تعالى مخاطباً لداوود(ع) «يا داوود انا جعلناك خليفة في الارض فأحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» والا فأكثر الانبياء مانالوا هذا المنصب الرفيع وانما كان هو لبعض الانبياء والاوصياء.

حسن الحكمة من صقع لانهاية الوجود جعل الحقائق في محالها لتسير الكمال متساندة متعاضدة نحو الغاية والمراد في النظام الاحسن وان عجز عن مشاهدته القاصرون والمقصرون.

فراحت الحكمة تحقق الاقدار بفيض يلبى سؤال الكائنات جاعلة القوى بأزاء القوى والفيض على قدر السؤال فاسحة المجال امام الخير والشر بقبض وارسال لسر خفي على ابصار الناظرين وان شاهد لغزه المكنون الاوحدي من البشر فراح يطرب للفيض والقبض معاً

تنازعه الافكار لايهما يسبق بالحمد والثناء.

فراحت البشرية تعيش صراع جيوش الرحمن والشيطان لتمر الاجيال في مسيرة الكمال والهبوط حتى بلغ الهبوط بالامة الى حضيض كدر الغفلة والنسيان فرفع علم الايمان في هذه الظلمة سيد لاثاني له في دائرة الامكان يحمل ثقل الوجود الذي كان نوراً يحكي تجلي الذات المقدسة الالهية فكان جامع الكلم للاسماء والصفات التي خر من مشاهدتها الملائكة والانبياء المقربون.

فالثقل لذي انقض ظهر الكلمة التامة لتسقط الخلائق جمعاء عند مشاهدته فضلا عن تحمل بعض اثقاله لولا ان يرفع في مقام الشرح لبطون الرسالة وتطبيق كبرياتها على صغرياتها بواسطة نفس الرسول(ص) مرة ثانية وهي النفس العلوية التي عبر عنها الكتاب الكريم (بأنفسنا) لان المطاف الثاني لسلسلة الاشراق الذهبي بعد تحمل ثقل معنوية الوحي ونشره على وجه الارض بلازيادة ولانقصان هو استيعاب تمام مراتب العرفان بمالها من مراتب النور وبثها على العقول في غضون عشرات السنين بقدر يتناسب مع قابليات الادراك بياناً لايخرج الرسالة عن قيم الواقع بروح الخيال أو الجمود ثم الجرى العملي لتطبيق تلك القيم بلازيادة ولانقصان وهي الامامة العملية التي ما اختير لها الا العظماء من الانبياء فشق بطون الرسالة بما تحمل من لانهايات الكمال وتطبيق الكبريات على الصغريات عملياً من اصعب الامور التي تنفذ عندها الطاقات الا من اختبر في الجهادين الاكبر والاصغر وراح يحمل لواء النصر في ميادين الشرف وهم النوادر في تاريخ البشرية والا فمحبي الحق بحسب العقل والفطرة حملت القوافل البشرية منهم الكثير.

فأين امامة السلام من ابناء الخمور وضلال الطرق كيزيد والمتوكل العباسي وأنى لطالبي الامن في ساحات النضال من مشيخة الكفر كأبي سفيان واضرابه من نيل مقام الامامة الرفيع.

نعم انها اقدار الحكمة لانتائج القرعة واباطيل الصدف ان يقوم بشرح الدعوة بما تحمل من البطون السبعة والسبعين وتطبيقها بما لديها من ثقل عظيم بعيد عن غور كنهه افهام الحكماء والسالكين فضلا عن نفوس الخلق القاصرين نفس الرسالة والرسول بشهادة الحق في كتابه العزيز لاجل ان يستمر البيان والتطبيق بأيدي أثنى عشر نقيب حتى تصبح الرسالة في حكمتها النظرية والعملية روح الامة لامنهجا غريباً عن روحها تنقلب عنه الامة عند رحيل قائدها الاعظم كما حكى ذلك الله تعالى بقوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) فيبقى الاسلام اطاراً خالياً من المحتوى وليس الانقلاب على العقب هو الردة والكفر والرجوع الى الاصنام بل ترك منهج الرشاد والبعد عن روح المنهج كصلاة مصل لاتنهاه عن الفحشاء والمنكر الكاشف عن عدم تحقق تلك الماهية والاثر المطلوب من الصلاة وهكذا بالنسبة الى الحج اذا اصبح مجرد حركات فانه لايكون تشييداً للدين وكذا الجهاد اذا خدم الاغراض الشخصية لاروح الرسالة.

وان كل متأمل في الاية الكريمة قبل ان يسبق بشبه الاجيال يرى الاية تخاطب المسلمين كما وان العارف بالتاريخ ليرى بكل وضوح ان ادعاء النبوة من امثال مسيلمة وغيره كان في عهد الرسول(ص)

لابعده حتى يكون ردة وانقلاباً حاصلا بعدرحيل رسول‌الله(ص) وان تطبيق الردة على مثل‌مخالفة مالك بن‌نويرة وامتناعه من‌اداء الزكاة لابي‌بكر من التشبث بأرجل الضفادع للغريق من اجل توجيه الاية فانه اولا كلمة انقلبتم على اعقابكم تروى بكل وضوح لكل عارف باللغة ان كان يعيش الحرية انها تخاطب المسلمين بماهم أغلبية المجتمع الاسلامي فلايكون مصداقها الفرد الذي يعيش القرى فانه لايمثل الهيكل الاسلامي وثانياً مقالة رجل اني لاأدي الزكاة الا لصاحب بيعة الغدير كيف‌يكون دليلا على‌الكفر ليصبح تمام‌المصداق للاية الكريمة.

أجل، ان جعل اثنى عشر نقيباً تقدير العزيز الحكيم الذي‌شاءه لحياة البشرية التي أعطاها العقل والاختيار وتتميما للطف لو احبت الامة ان تعيش العرفان والامان واما ان احبت الامة اسلاماً ينطبق مع الروحيات، لاروحيات تنطبق مع الاسلام ومن ناحية ثانية تكريماً لجلال الحرية والاختيار ومسايرة مع الغاية القصوى لكي تحل كل نفس في محلها اللائق بها في مختبر القيم وهي دار‌الدنيا لم يجبر الله تعالى الامة اذا اختارت مايتناسب مع روحيتها عقلا وسيراً ولكنه مع ذلك ابقى الله تعالى بلطفه ورحمته التي وسعت كل شيء رائداً لواحبت الامة يوماً الحياة ان يلبى طلبها في نفس ذلك الحين فعدم الظهور يروي عدم الطلب الواقعي حتى ممن نسبوا انفسهم الى بقية‌الله في الارضين.

فالظهور رهين الطلب الحقيقي حينما تكل البشرية من منج واقعي بعيد عن صب الالفاظ في قوالبها الذهبية.

فبذلك المنجي العظيم تلبى الطلبات وتتم الحجة على كافة

المتقدمين والمتأخرين ليثبت الله تعالى بأن القانون الاسلامي ماكان قالباً خيالياً يعيش العزلة عن ساحة التطبيق العملي والانقاذ البشرى وانما الاشكال كله في مصداقية اسلام المسلمين سنة وشيعة ولاجل ان يقول الله تعالى عند ماتملأ الارض قسطاً وعدلا في ساحة الفزع الاكبر ان لطف تطبيق الحق كان منذ بعث الله تعالى محمداً (ص) بالرسالة ولكن أنى لجري النور في وادى ظلمات القلوب؟ ولاجل ان يقول تعالى ليس الاسلام كما هو شأن بعض المذاهب الخيالة التي بدت أوهامها للهائمين في نبرات الالفاظ فضلا عن أهل الصواب والتحقيق كمذهب الاشتراكية والشيوعية.

ومما يدل على ان حملة الرسالة الحقيقيين والاسس التي لابديل لها في جريان النور على الارض بعد معرفة معنى الرسالة وبعد معرفة كون الرسالة لم تعش القبلية هي مسألة المباهلة التي ماخرج اليها بحكم البشير النذير تبعاً لواقع التقدير الا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم افضل الصلاة والسلام أجمعين مع وجود الكثير من أكابر المسلمين والا فكما قال بعض الاجلة كيف يجوز تعريض طفلين للهلاك وترك كبار الصحابة، وان من نظر الى النبوة بمنظار الصواب ليعرف ان شدة الحنان التي تجاوزت أحجار البيت وتجاوزت الحكاية عن حب عاطفي ابوي لبنت واطفالها حتى أصبح اساً من اسس الاسلام يناط به الحب الالهي ويشم منه ريح الجنان انه لحب يجسد شريعة الاسلام المتمثلة بفاطمة وبعلها وبنيها.

ولا أظن أن يختلف اثنان من المسلمين في وجوب الامامة أو الخلافة بتعبير قوم آخرين بعدما أصبح من المسلمات (ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية) فلم يكن الاختلاف بين المسلمين

اذن في أصل الكبرى بل انما هو في صغراها كما وأن احتياج الامة الى امام أو خليفة يقوم بتدبير امر الامة بعد الرسول من مسلمات الفطرة والعقل وان القول بعدم احتياج الشعب الى حكومة لايستحق الا ان يكون كلاماً شعرياً خطابياً يحكى مثالية الاوهام لامثالية العرفان والواقع الخارجي.

وبعد كون الامامة من الواجبات سواء كانت على الله تعالى أو على الناس لاتجب الا لانها المجسدة لقانون الحق والعدل على وجه الارض ولا أظن ان المنصف يرى تجسيدها بالطلقاء وامثال المتجاهرين بالجور والظلم.

الامامة تعيين لاتحكيم

علم ان مـا هـو من شأن الكمال لتتميم الحجـة على البشرية بعد بعثة الانبياء هوجعل رجال صالحين راسخين في العلم يشرحون بطون الرسالة بمالها من ابعاد آخذين بايدي عشاق الطريقة نحو الغاية، حافظين للرسالة في مرحلة التطبيق لو أخطأت الامـة مواقع الامور ولذا جعل الله تعالى بعد جمـيع الانبياء اوصيـاء لتتميم الحجة ولكن لم يكن الشوط الثاني والثالث الذي هوعلى عاتق الاوصياء كالشوط الاول مما يجب على الله تحقيقه على وجـه الارض ولو بالقوة، لان بعدم تمامية بسط النور على وجـه الارض لم تحصل الغاية من بعثة الانبياء واما تسليط الاوصياء بقدر بسط الشوط الثاني والثالث علمياً فانه أيضاً مما اوجب الله تعالى ذلك على نفسـه واما تسليط الاوصياء على الخلق شاءت البشرية او ابت فان بهذا البسط تصبح البشرية مقهورة في سلوكهـا العرفاني كما وانهـا تصبح مقهورة أيضاً في تطبيق الكبـريات على صغـرياتها وهذا مـع روح الاختيار والاختبار للبشرية لايجتمع.

نعم لوجاءت الامة تطلب تطبيق الحق على نفسها لكان من الواجب على الاوصيـاء القيـام بذلك،ولذا نشاهـد الرسول(ص) والكتاب

الكريم بكل جد يعرفان الامة الساعية لعرفان الواقع ان هارون موسى هو علي(ع) وان الولاية حق له(ع) بقوله تعالى: (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ، وقوله(ص) لايبلغ عنى الا انا أورجل مني، حينما أرجع ابابكر وبعث علياً والقصة في التاريخ مشهورة وحديث الحب في وقعة خيبر لم ينكره حتى معاوية بن أبي سفيان وان علياً باب مدينة العلم الى مئآت الادلة الاخر التي هي كالشمس في رابعة النهار وضوحاً لطلاب انوار الحق وان بدت مخدوشة باعين المقلدين للاجيال وان قلنا ان جميع الادلة حتى بالنسبة الى التوحيد والنبوة واضحة لدى طلاب الحقيقة، مخدوشة المشاهدة من وراء غشاوات الحجب، يراد نيلها بالفطرة السليمة والعقل البرهاني وليست مشهودة للحواس الظاهرة لتصبح الدنيا مختبر العقول حتى ينزل الناس في منازلهم يوم الفزع الاكبر.

فلما كان جعل الاوصياء واقامة الدليل على شخصهم مما اوجبه الله تعالى على نفسه لعشاق الحقيقة ماترك الله تعالى والرسول موضعاً الا و بينا فيه من هو الخليفة بعد رسول الله(ص) اضافة على العقل الحاكم بتقديم الفاضل على المفضول.

ولكن الرسول (ص) لم يخطط بعد البيان الجلي لجعل وصيه مستولياً على الامة، لان ماكان من شأن اللطف والرسالة والرسول هو البيان وقد تمجلياً لطلاب الحق الذين ماخدعوا انفسهم وأماطلب التطبيق فكان من وظائف الامة، شاءت لنفسها الخير ام ابت ولكن عند اباء الامة عن تطبيق منهج الحق لاتسقط وظيفة الامام التي هي لطف الهي بان يبين ان الامامة هي من شأن اي شخص وعليه ان

لايترك البيان في شرح بطون الرسالة وكيفية تطبيق الكبريات على الصغريات ليهتدي به طلاب الحق وتقام الحجة على بقية الافراد ليخصموا يوم القيامة.

وان هذا السير منكشف لكل من تتبع سيرة الائمة عليهم السلام وبالاخص سيرة الامام علي (ع) بعد رسول الله (ص) فانه ترك الامة لتختار لنفسها من هو قريب منها روحا وعقلا ودينا ولم يخطط لقبض ازمة الامور بعد رحيل الرسول الاكرم (ص) لان اختيار القائد للامة شأن من شؤون الامة وان وجب عليها طبقاً لمنهج الرشاد ان تختار جامع الكلم ومظهر الاسماء والصفات الالهية بعد رسول الله (ص) وان عدم التخطيط لقبض ازمة الامور من قبل الامام علي وبقية الائمه عليهم السلام ليس معناه العزلة والسكوت على مايجري باسم الدين بل كل امام كان على رغم ظروفه القاسية يبين للامة وبالاخص لطلاب اليقين من هو المجعول من قبل الله تعالى للخلافة والامامة ويشرح بطون الرسالة وكيفية تطبيق الكبريات على الصغريات لتقام الحجة على الناس وان كلفه ذلك عظيم العناء وجعله يتصادم مع الحكام واكثر الناس لان الناس على دين ملوكهم، وكان هذا هو السبب لمواجهتهم مع السلطات وعيشهم الاضطهاد والسجون والتبعيد والقتل وليس كما يظن الكثير انهم كانوا يخططون لقبض ازمة الامور فلذا عاشوا تلك الظروف القاسية اوانهم عاشوا العزلة وبيان الطهارة والنجاسة فقط ومع ذلك كانوا محل سخط الحكام.

ولقد كان الشيخان يعرفان بكل وضوح قدر الاقدام من علي عليه السلام بعد رحيل رسول الله (ص) من انه سوف لايقدم على قبض ازمة الامور وان كان سوف لايسكت عن بيان الحقيقة وشرح الرسالة وان كلفته صعاب الامور وابعدته عن رضى الشعب والحكام معاً.

ولذا قدما على استلام مقاليد الحكم وهما يعيشان كل الامن والاطمئنان من جهة معارضة رجل الصلابة والايمان والا لو كان من وظيفة الامام علي (ع) قبض ازمة الامور لما سبقه الى ذلك الشيخان كما انهما لم يسبقاه يوماً من الايام في اي من الميادين فانهما كانا يعرفان جليا أن الحكمة الالهية اقتضت الضرب بيد من حديد كل من وقف امام اصل التشريع وهو الشوط الاول، وان بعد تمام التشريع دورختم النبوة والرحيل الى الملا الاعلى، وان الوصى سوف لم ينازع المتقمصين للخلافة الا بقدر اظهار الحق وانهما كان يعرفان ان قطب رحى الاسلام هو علي (ع) وان من اعرف الناس بهذا الامر هو الخليفة الاول لشاهدة علي (ع) ذلك في حقه في خطبته الشقشقية.

فمسألة الغدير وعشرات المسائل الاخر انما كانت حجة تقام على البشرية لكي تحيى الناس او تهلك عن حجة وما كانت خطى لتزعم خارجي من قبل الرسول (ص) والامام (ع) من بعده فسبقا بمبادرة الشيخين فانهما اعرف الناس بموارد الامور، فالامر الذي ما عجز عنه حكام الدنيا حين نصب ولاة عهدهم كيف يعجز عن تحقيقه اعظم العارفين.

اذن علي (ع) لم يفاجيء بالسقيفة ولم يسبق بقدم من الشيخين وانما كان موظفاً بعد الرسول بتكليفين، احدهما تحذير الامة مغبة الامور وشرح بطون الرسالة وكيفية تطبيق الكبريات على الصغريات وبيان انه لايصلح للخلافة الا من كانت نفسه نفس الرسول والرسالة وان الامة ستجني ثمر اعمالها بالانحراف عن منهج الحق.

والوظيفة الثانية لو ان الامة الاسلامية وعت الحق وجاءت تطلب

التطبيق والبيان الصحيح ان يقوم بهذا الدور الخطير ايضاً وقد قام بوظيفته رغم ظروفه القاسية التي لا يتمكن من دركها عقل ولا من شرحها بيان.

واما ما كان من شأن الامة فتركها وشأنها تخطط او تنظر الى خطط المخططين حتى اخذت تجني الثمار على طول القرون بتنشيف دموع الارامل والايتام بسطوة السيف وقنابل النابال وتجني ثمار الجهل.

وبالجملة فماهو من الالطاف الالهية بعثة الرسل، ثم جعل الاوصياء وليس من وظيفة الحق تعالى ان يحكم الاوصياء ولا من وظيفة الاوصياء ان يخططوا لقبض ازمة الامور وانما وظيفتهم الثبات لبيان الحق شاءت الامة او أبت، نعم كل وصي لوطلبت منه الامة التطبيق والقيام بالامر لقام به كما قال علي (ع) في خطبة الشقشقية، (أما والذي فلق الحبة وبرء النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز)!

فراح علي (ع) وهو الاخشن في ذات الله يعيش حياته بعد الرسول (ص) صادحا بالحق، مبيناً لسيرة الرسول رغم ضنك الايام، تاركاً الناس ومايستذوقون من نهج يعيشون فيه الطبقية والاختصاص والقصور وجمع الجوارى، يعفى فيه عن العظماء ان قتلوا الابرياء وتزوجوا بنسائهم في ليلة القتل حتى ألجىء الى قبول الحكم بعد مقتل عثمان مصرحاً للناس بانه (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لالقيت حبلها على غاربها)، مبيناً لهم صعوبة السير

على الطريق من بعد ما ذاقوا من الـدنيا لذيذ الاختصاص والنعيم والسلطان والعفو والسخاء على حساب الدين.

فعلي عليه السلام سيزداد وداً في قلوب طلاب اليقين على قـدر انارة العلم والبعد عن روح العصبيات.

ولنعم ما قال احد عشاق الطريقة:

(فلو قلدوا الموصى اليه زمامها   لحفت بمـأمون من العثرات)

واما كون الامام يجب ان يكون الفرد المتكامل في الصفات علماً وتقوى وشجاعة وغيرها من بقية شؤون الكمال فهو ثابت، بالعقل والنقل ولا يعتنى بكلمات لاتستحق الا اضاعة الحياة، وانما يبقى النزاع صغروياً من انه هل الاعلم والاشجع والاتقى وهكذا هو علي عليه السلام او ابو بكر ولا اظن منصفاً مهما بلغت به القيود الضارة بحرية العقل يقول ان ابابكر او عمر اعلم او اشجع من علي (ع) بعد اعتراف الشيخين انفسهما بذلك الا ان يقول القائل الحمد لله ألذي قدم المفضول على الفاضل فينسب القبح وخطأ الامة الى الله تعالى وعندئذ يكون السكوت عنه اولى من الكلام.

الامامة باختلاف المنظار

قيل الامامة في الاسلام خلافة وزعامة للامة سواء توصل اليها بالشورى ام بالسيف ام بالوراثة لايجوز مخالفتها لانه شق لصفوف المسلمين وتضييع لوحدتهم، فالقائم عليها يستحق القتل ولوكان آمراً بالمعروف وناه عن المنكر، وقد يكون المطالب بالخلافة في بداية دعوته مخالفاً للاسلام قائماً على امام المسلمين فيكون فاسقاً ولكن حينما يستولى على اغلب الاراضى والنفوس يصبح مستحقاً للامامة !!!.

والامامة بمنظار آخر هي استمرار نورالنبوة لحفظ الرسالةعن الافراط والتفريط، فبهايكون بيان الحقيقة وبسطها على وجه الارض واقامة العدل وتطبيق الكبريات على صغرياتها وهذهالامور من اصعب مراحل مسيرة نور الحق تعالى.

فالنبوة عرض الحقائق لانارة الطريق كقانون اساسى يروى جميعاحاديث الكمال، لكن تغيير حضارةالبشرية لتصبح عين السلام يتوقف على الامامة في تاريخها الطويل، فبالنبوة مشاهدة الحق وبالامامة السير فيميادين الحكمتين النظرية والعمليةلتصبح الحكمة

حياة وعيناً خارجية وملكةراسخة فياعماق ضميرالشعوب، محفوظة عن الافراط والتفريط والتسامح والجمود، فكم من قانون سام يحيى القلوب ويطرد الظلمات اصبح مخوفاً موحشاً حينماكان تطبيقه بايدى الجهال والماكرين.

واما ان شاءت الامة عدم الحياة كانت الامامة حجة على الاغلبية يوم لاينفع مال ولابنون ونوراً يحقق الحكمتين في قلوب طلاب اليقين.

وان المتأمل في تاريخ الرسالة ليلمس بكل وضوح احتياج الرسالة بعد رحيل الرسول (ص) الى اناس لاينطقون عن الهوى ولا يتكلمون عن الكتاب والسنة من باب الظن والاجتهاد لتروى الرسالة للاجيال بكل اعماقها في جميع جوانبها العقائدية، كالتوحيد والنبوة والقضاء والقدر والجبر والتفويض وغيرها من المسائل الدقيقة الاخر، هذا هومقتضى اللطف الالهى المقرب للحق والمبعد عن الباطل حتى تتمكن الامم من شق طريقها لواجبت الهدى نحو الكمال الذي هو الغاية من الخلق ولاجل ان لايصبح اللطف الالهى مختصاً بمن عاشر الرسول (ص) بالتمكن من معرفة واقع الامر بالرجوع الى الاوصياء لمعرفة بطون الرسالة وكيفية تطبيقها.

فأذن حصول الغيبةواستمرارها يحكى بعدالخلق عن منهج الرشاد والاصرار على عدم السير نحو الغاية القصوى.

(الامة المرحومة)

جعل الله تعالى بواسع لطفه ورحمته للامة المسلمة بعد رحيل مرشدها الاعظم اثنى عشر نقيباً لتصبح الرسالة عين الامة المسلمة

كافة الا من كان مريضاً بعد اثنى عشر نسلا لو احبت الامة عيش الرسالة حقاً.

ومن المعلوم ان هيكل الامم ترسمه اغلبية الافراد لا نوادر الرجال مهما بلغوا في الكمال قولا وفعلا، فراح الهيكل الاسلامى يوماً بعد يوم يبتعد عن خطى النور ويقترب من الظلام.

فجعل الله تعالى من جملة ما خصص به هذه الامة اضافة على آلاف الخصائص الاخر التي من الله تعالى بها على المسلمين غيبة آخر النقباء لتستجاب دعوة الامة الى الرشاد في اول لحظة رجوعها الى الحق وطلبها للنجاة طلباً يحكى حياة القلوب ويروى ندم ليالى الظلمات، والا فالسهر بالدعاء مع قلوب تعيش الظلمة لا يروى احاديث العاشقين لحياة النور.

فالظهور رهين الدعوة الى الحق دعوة تعيشها نفوس البشرية بعد الملل والعجز من التخبط في ديار الاوهام واليأس من بلوغ الغاية بمتابعة خطى الاقزام، حتى يحف الظهور بترحيب القلوب عند ما يلمس عشاق الحقيقة في باطن نفوسهم واقع الحياة بواسطة من تملىء الارض به قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجوراً.

اجل عندما تلبى النفوس في قرارة واقعها نداء الحق بعد التعب من مسيرة كافة وديان الظلمات واليأس من منج واقعى ينقذ الانسانية من عذابها الاليم يكون الظهور لشمس الحقيقة ويكون الضامن لسريان النور على وجه الارض كافة بعد التوفيق الالهى هي النفوس التي اتعبتها كوارث الايام وساقها الى حب الحياة مشاهدة حضيض الاوهام، والا فرجل الحق مهما بلغ في الكمال لايمكنه تطبيق الحق على امة فضلا عن البشرية كافة اذا كان الكمال يعيش الاثنينية مع روح البشرية، فهى تلبى نداء الحق باللسان وتفر منه في واقع

الجنان، فمن ذا هو اعظم من رسول الله صلى الله عليه و آلـه وسلم وعلي عليه السلام في ارادة تطبيق انوار الملكوت عند ماكانت الامة المسلمة تعيش ظلمات الناسوت، ولا نتكلم عن خارق عادة بها يهدى الله تعالى البشرية كافة لوشاء ذلك، فانه اقدر القادرين.

اذن لعل من اسرار الغيبة هو استمرار اللطف على الامة المرحومة بوجود منج في اي لحظة يلبى طلب الانسانية لوشاءت الحياة الواقعية بقلب سليم يطلب واقع الكمال، فمن احب الكمال حقاً كان متطلعاً الى روح الاسلام والسلام.

سير الرسالة لبلوغ الغاية

الامامة هي التجسيد لروح الرسالة واكبر امام مر بتاريخ البشرية هو الرسول الاعظم (ص) ولكن الذي يبدو للمتأمل في سير الرسالة انها لابد وان تقطع اشواطاً ثلاثة.

الشوط الاول هو بث الدعوة لتنتشر على وجه الارض نشراً تقام به الحجة على كافة البشرية بما لايبقى لاحد مجال الاحتجاج على الله تعالى بعدم وجود بيان يخرج الناس من الظلمات.

والشوط الثاني ايصال الدعوة بما تحمل من البطون والاعماق الى اذهان الامم ايصالاً يبلغ بالامة لواحبت الحياة الى غايات الكمال ليبلغ كل انسان بقدر استعداده الى كماله المطلوب.

والشوط الثالث حفظ كبريات الرسالة في مقام التطبيق على الصغريات بما يجنبها عن الافراط والتفريط والتوجيه طبقاً للميول والاهواء والابتعاد عن التطبيقات الخاطئه.

كل رسالة من آدم الى الخاتم كانت قرينة النصر والا لما حصلت الغاية من بعثة الانبياء التي هي لطف الهي يحمل انوار الملكوت الى البشرية، فهذه المرحلة وهي الشوط الاول لابد وان تكلل فيه الدعوة بالنجاح حتى يبلغ البيان الاذهان وتنتشر الدعوة

على وجه الارض مصونة من كل خطر يهدد اصل وجودها وقد كان على الله تعالى ان ينصر انبيائه بعد اختيار النفوس المؤمنة بأزالة جميع السدود الواقعة امام نشر الرسالة حتى لاتبقى للناس على الله حجة، بل تكون لله تعالى على الناس الحجة البالغة وقد قال تعالى: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)، ففى هذه المرحلة من سير الرسالة لابد وان تخر الفراعنة صرعى امام ضربات ابناء الرسالة والا احيطت الرسالة عند عجز المؤمنين بنصر الهى فوق حسبان الحاسبين كما حدث في عصر نوح او ابراهيم او موسى عليهم السلام حتى يأخذ البيان محله على وجه الارض وهذا الشوط بعد التسامح في التعبير هو من الواجبات التي هي على عهدة المولى القدير، لانه اوجب على نفسه بسط النور وهداية الخلق، فبعثة الانبياء وبسط الدعوة على وجه الارض لابد من ان تكلل بالنجاح ولو اتفقت طواغيت الارض وجهالها على العناد واللجاج كافة وحاشا الله تعالى من التفريط بما هو شأنه الذي هو اللطف والرحمة لهداية البشر وهذا الشوط يتم في عهد الانبياء انفسهم.

واما الشوط الثانى فهو بلحاظ من شأن المولى وبلحاظ من شأن المكلفين، وقبل البحث في هذا المقام لابد من شرح المعنى المراد منه ونجعل محور البحث من باب المثال رسالة الرسول الاعظم (ص) فقد جاءت دعوة الرسول لتخرج البشرية من عقر الظلمات الى قمم علياء النور ولتصنع من عبدة الشيطان على شتى اسمائهم المختلفة وصورهم المتباعدة كانوا في معابد النيران او يطوفون في بيت الرحمن او يعيشون الاوهام باسم الاديان خلقاً مثالياً يحمل النور والسلام بدلا من الظلمات.

فراحت الدعوة تضرب اوتادها على وجه الارض بكل صلابة

معها كل ما في الارض والسماء حتى اوتار العنكبوت والطوفان فضلا عن ملائكة الله ورجال الايمان والحال ان كثيراً من المسلمين وبالاخص الذين اسلموا بعد الفتح كانوا يعيشون البعد عن روح الاسلام لانهم جاءوا ليصافحوا محمداً المنتصر لامحمداً النبي، فهم يحملون من الرسالة الفاظها لم يفهموا ظاهراً من الرسالة فضلا عن بطونها السبع والسبعين التي هي السير الى لانهاية الكمال.

فحياة الرسول (ص) ماكانت لتفى للاخذ بايدى الامة الى ساحات الكمال حتى بالنسبة لى معرفة نفس الاحكام و حفظها فضلا عن صيرورة السلام حضارة الامة وواقعها العقلى والعملي ولذا اخذ القائل يقول للصحابة (اذا لم تجدوا نصاً فاجمعوا رأيكم) وهذا يروى العجز عن استنباط الاحكام من الرسالة وسيرة الرسول (ص) بل كان عدم العرفان حتى بالنسبة الى فهم مثل فاكهة وأبا، اوعدم جواز رجم ذوات الحمل، فاذا كان حال بعض قدماء الصحابة هذا، فحال من اسلم بعد الفتح يكون معلوماً بالاخص بالنسبة الى دقيق المعانى الحكمية والعرفانية.

فلابد وان يقوم بعد الرسول (ص) رجال راسخون في العلم لاينطقون عن الهوى لكى تصان الرسالة في احكامها وبطونها للاجيال ويبقى الله تعالى ذو الحجة على البشرية الى قيام الساعة، لان الرسالة هي المرآة العاكسة لعالمى الوجوب والامكان، فهى نسخة بدل عن عالم الوجود بكل سلسلته الطولية والعرضية واذاكان علم من العلوم لاتفى به حياة الاجيال فكيف يروى احاديث جميع العلوم من الرسالة من عجز عن فهم فاكهة وأبا، او حكم برجم ذوات الحمل فضلا عن بلوغ نشر الرسالة بايدى امثال الطلقاء وابناء الطلقاء.

فقد اراد الله تعالى ارادة تجتمع مع اختيار الخلق ان يستمر مع الامة بسط معاني الدعوة بما تحمل من ابعاد يعجز عن دركها فطاحل الحكماء الى عشرات السنين بواسطة اثنى عشر نقيباً راسخون في العلم حتى يصبح العلم والكمال حضارة الامة وعين واقعها فتكون الامة عين السلام تخضع لفعلها الامم والاجيال ويكون السيف حافظاً للرسالة حين بثها لتبلغ اذهان المجتمع، لاكما خضعت الامم لسيوف المسلمين في حكومة الشيخين حينما تجاوز السيف عن كونه يدافع عن وجه الرسالة والمسلمين وسنداً يحفظ الرسالة حين هبوبها لتبلغ اذهان الخلق اجمعين.

فكانت الرسالة في عهد الرسول(ص) تقود الامم بالعلم والبرهان والعدل والاحسان والسيف حارساً، فاصبح السيف يقود الامم، والرسالة تحرس السيف بعد رحيل قائد الامة الاعظم(ص) وهل يكون الاسلام الذي تحمله السيوف لرقاب الامم اسلاماً يحكم القلوب؟ فلو ان مسيرة السلام استمرت بعد الرسول(ص) الى اثنى عشر نقيباً لانهارت امامها عروش الطواغيت بايدي اممها عندما تصبح المثالية واقع الامة المسلمة وتنشر الدعوة بكل واقعها الرفيع على وجه الارض ويصبح الاسلام براية العلم والعدل والاحسان والمجادلة بالتي هي احسن يغز القلوب ويكف بالسيف عن وجه نفسه سطوة الحاقدين والغادرين ليطرب لنغمه حفل البائسين ويستظل تحت ظله طلاب اليقين.

فياليت تلك الفتوحات الدموية التي سجلت على وجه الارض نصراً فترة من الزمن لم تحدث لتنقل الاحقاد الى الاجيال وتوقف الرسالة من سيرها الذي مر كالبرق يضيء الارض ويكتسب القلوب.

فاراد الله تعالى انتصار النور واراد المسلمون انتصار السيف

فانتصروا وسلبوا الاموال واسترقوا الامم ولكنهم اوقفوا نسيم الخلد الذي بثه الله تعالى لاحياء النفوس.

فاما ماكان من شأن المولى في هذا الشوط والمطاف هو ان يجعل امناء بعد الانبياء يحفظون الرسالة بكل ابعادها الى الامة والاجيال بعدها لكي يبقى الباب مفتوحاً امام طلاب الحقيقة في سلوكهم الى غايات اليقين وتبقى المدرسة فاتحة ابوابها لكل الخلق على قدر منازلهم وصفوفهم حتى تستمر الحجة الالهية على الخلق بعد الرسل فيكون الله تعالى صاحب الحجة ولايكون لاحد عليه الحجة حتى تصبح البشرية في طول اثنى عشر نسلا تعيش واقع الرسالة فتكون هي السلام وعين النور ويكون واقع الاسلام بعد اثنى عشر نسلا حضارة الامة وجريها في كل شؤون الحياة ويقيناً لاتشاهد امة من الامم هكذا خلقاً يعيشون الكرامة والسلام والخلق الكريم ويدعون الامم الى السلام بالتي هي احسن لايطمعون في خيراتهم ولايريدون السيادة عليهم الاجاءت ملبية لنداء النور وانهارت عروش طواغيتها بايدي اممها.

لان دعاة الحق من اصلحوا انفسهم ثم فسحوا المجال امام الخلق ليشاهدوا عيش السلام والعرفان.

واما ماكان من شأن ووظيفة الامة في هذا الشوط ان تعرف الحق لتعرف أهله وتهتدى بهدى دعاة الحق الحقيقين لكي تقطع بهداهم اشواط الكمال لتبلغ منازل النور ولكن الامة ههنا انقلبت على اعقابها فماقابلت اللطف الالهي في الشوط الثاني بصدور منشرحة، فراحت تطلب السلام من الظلام حتى سارت الهبوط فشاهدت في مطافها امثال معاوية يمثلون سيرة سيد النبيين وراح بعض الكتاب

يدافع عن امثال معاوية يروى بذلك تضلعه في درك معاني الرسالة وقدر فهمه للحق، والحق معه لان بمقدار عرفان الحق عرفان الرجال.

واما الشوط الثالث فهو حفظ الكبريات عن التحريف وتطبيقها على الصغريات بلا زيادة ولا نقصان وتقريباً للذهن نضرب بعض الامثله.

مثلا ان الصبر الذي هو كبرى من الكبريات واس من اسس الاسلام حتى كان روحاً لجميع القيم الاسلامية قد يصل امره بايدي بعض الى مرحلة التفسير بالذل والهوان فمن بعد ماكان اداة شرف يصبح اداة مذلة وتخدير.

ومثلا الامامة التي ورد فيها من قام على امام زمانه او من مات ولم يعرف امام زمانه قد يصل امرها الى قتل ريحانة رسول الله(ص) لحفظ امامة الطواغيت ويصبح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قياماً على امام الزمان يستحق الانسان لاجله القتل وان كان الامام من ائمة الجور ويصبح من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ولو كان امام الزمان مديم الخمر والفجور كالمتوكل العباسي ومروان ابن الحكم الطريد وابن الطريد.

ومثلا يد الله مع الجماعة، المراد بها جماعة الايمان تصبح جماعة الجور أو الاكثرية محقـة كانت أو مبطلة ويصبح امثال الحسين قد شـق عصا المسلمين وخالف الجماعة، فاذن يستحق العقاب الصارم وهكذا آلاف الموارد التي اصبح فيها الخطأ في المصداق فانه كيف ينتج القياس نتيجة صحيحة بعد عدم صـحة المقدمات بل يكون من أقسام المغالطات، فالطامة الكبرى ليست هي انكار الكبريات وانما هي تطبيق الكبريات على غير مصاديقها جهلا أو مكراً وشيطنة.

لكـن العارف يتساءل هل مراد الرسول(ص) من الجماعـة التي يد الله معها، كل جماعة ولو اجتمعت على الباطل ام هي جماعة الايمان؟

وهل القرآن بعد تلك الهجمات على الكثرة التي تمثل عدم العقل يطلب السير مع الجماعة محقة كانت ام مبطلة وهل الامامة المقيدة من قبل الشارع باقامة العدل، يجب متابعتها ولوخالفت الطريق وخصصت المال بالاهل والاقرباء وقربت المطرودين وابعدت رجال الله الصالحين وغمضت العين عنشربة الخمور وضربت اجل الصحابة المقربين. اذن الصبر حسن لكنه ليس هو الاستسلام ولا الصبر والثبات في مواقع البطلان، بل هو الثبات والسير المتواصل لتحقيق الحق في أول ظروفه الممكنة والصلاة عمود الدين لكنها ليست هي الاطار بلامحتوى أو الصلاة خلف الوليد والمتوكل، والحج تشييد للدين لكن لابامامة يزيد والجهاد عز للاسلام لكن لاتحت قيادة بسر بن ابي ارطاة، وعدم شق صفوف المسلمين حق لكنه ليس هو الصمت عن الحق لحفظ وحدة صفوف الجائرين واضاعة حقوق المستضعفين، والامر بالمعروف حق ولكن ليس من رجاله ابناء الطلقاء الماكرين، وتأديب المشاغب حق ولكنه ليس هو حجر بن عدي وأبي ذر الغفاري.

ولكن الامه لماتركت خطى السلام بعد الرسول(ص) في الشوطين الاخيرين، اصبحت آلة بايدي الحكام الجائرين واصبح امام المسلمين الذي يجب اتباعه من هيمن على الامه ولو بالوراثة الجائرة والجماعة مراد حفظها ولوكانت جماعة الكفر والنفاق.

فاللطف الالهي الواجب المقرب للحق المبعد عن الباطل كما هو جار بالنسبة الى بعثة الانبياء جار أيضاً بالنسبة الى جعل الاوصياء لخطورة الشوطين الاخيرين لو وقعا بايدي كل مدع للسلام، فماكان من شأن الحق تعالى من اللطف بعباده اجراه بالنسبة الى الاشواط الثلاث وبقي ما هو من شأن الامه ادراج الرياح.

علم الامامة

من الاولى قبل البحث عن علم الامامة التكلم بقدر ما عن العلم.

العلم هو الانارة و هو على قسمين حضوري و حصولي، فأما علم كل عاقل بنفسه فهو حضوري وأما العلم بالغير فهو تارة حضورى واخرى حصولى.

فان كان العلم هو الصورة الحاصلة من الشيء عند الذهن فهو علم حصولي وهو المعبر عنه بالكيف النفساني وهو علم زائد على ذات الممكنات عارض عليها ليس بذاتي لها سواء كان بنحو الصدور أو الحلول على اختلاف في ذلك بين الحكماء.

فالعلم اذا كان واجب الوجود ذاتاً فهو مختص بالحق تعالى لامتناع الوجوب الذاتي لغيره عزوجل لكون صفاته تعالى عين ذاته وكذلك علمه تعالى بغيره ذاتي ازلي حضوري تفصيلي لانه شأن من شؤون ذاته تعالى وليس هناك لمخلوق علم حضوري بغيره، فمن اعتقد العلم الذاتي الحضوري لغير الحق تعالى كان جاهلا بل مشركاً، لان كل ماسوى الله تعالى هو بالغير وجوداً وصفة، لكون الموجودات جميعاً فيض الله تعالى فهي تابعة لواجب الوجود بالذات الذي علمه وجميع

صفاته عين ذاته مصداقاً والاختلاف انما هو بالمفهوم لان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات ولاتكثر في محض الوجود ولانهاية الحق.

ولما كان العلم في الممكنات زائداً على ذواتها عارضاً عليها فلابد لهذا العروض من سبب لان كل عارض معلل ويكون الفيض من الله تعالى على قدر الذوات الشاعرة بحسب امكانها الذاتي أو الاستعدادي ليبلغ الممكن الفعلية في العلم سواء كان الفيض بلاواسطة كما قال تعالى: (وعلمناه من لدنا علماً) وقال تعالى (فاوحى اليه ما اوحى)، أو يكون بواسطة ملك مقرب أو يكون بواسطة التحصيل والدرس.

فاتضح من ذلك ان كل ماهو زائد على الذات غائب عنها لابدان يكون التوصل اليه بسبب من الله تعالى بواسطة أو بلاواسطة كالعلم بواسطة الكسب والتعليم اوالوحي أوالالهام أوالرؤيا الصادقة أوقوة النفس لقبول الفيض أو قوة الحواس الباطنة اولمنحة الهية يتمكن بها الشخص من كشف ما في الضمير ولو بواسطة القاء نظرة على الشخص.

فالحق تعالى بعلمه الاجمالي الذى هو عين الكشف التفصيلي لجميع الاشياء كماقال صدرمتأله الاسلام، قدكان عالماً علماً تفصيلياً حضورياً في مرتبة الذات قبل الفعل والايجاد بجميع الحقائق كليها وجزئيها.

لان العلم بالعلة وهي ذات الحق تعالى علم بجميع شؤون العلة، فانه لما كان العلم اجمالياً اي بسيطاً بتمام معنى البساطة كان كل الاشياء وحضورها.

فالله تعالى فقط هو العالم بذاته علماً حضورياً ازلياً بجميع الاشياء وكل ما سواه يكون علمه بالغير علماً حصولياً زائداً على ذاته، وعليه فلاعلم بالذات لوجود امكاني مطلقاً واذا فرض لموجود امكاني علم بالغيب فلابد وان يكون باذن الله تعالى ورضاه.

قال تعالى: (عالم الغيب والشهادة فلايظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول).

فاتضح ان العلم العرضي لابد ان يفاض من الحق تعالى سواء كان علماً لدنياً أو بالواسطة وعليه فالغلو أو الشرك انما هو القول بعلم الغيب ذاتاً وهو محال لممكن بعد كون اصل وجوده من الله تعالى.

ولكن من المؤسف ان يعجز بعض المسلمين عن التمييز بين العلم الذاتي والعرضي أو ينسى أو يتناسى ماورد في الكتاب المجيد من كشف الغيب لمن ارتضى، فيأخذ بدلامن السؤال استفهاماً من العارفين بالسب والافتراء على الاخرين وهو يعتقد قوله تعالى (قفوهم انهم مسؤولون).

فانه بعد الفرق عقلا بين العلم الذاتي والعرضي وبعد ان ثبتت اصل الكبرى شرعاً بالادلة المحكمة الدالة على كشف الغيب لمن ارتضى وكون الرسول الاعظم(ص) هو اعظم موجود ارتضاه الله تعالى، فأي مانع من كونه(ص) يعلم الغيب أو يعلم الغيب لمن هو باب مدينة علمه.

نعم يبقى الكلام في حدود المراد من علم الغيب للرسول(ص) هل يعلم كل ماكان ومايكون أويعلم قدراً من علم الغيب لايتنافى مع حكمة الاختبار الالهي التي هي حكمة عامة تمرعلى اي انسان وعندئذ

يجوز لطالب العرفان ان يسأل ما هو دليكم على ثبوت علم الغيب لائمتكم.

فاتضح ان علم الغيب لمن ارتضى الله عزوجل ليس من قول شيعة علي(ع) في قبال شيعة الشيخين حتى يصبح غلواً وشركاً ورفضاً كما زعم البعض بل هو مذهب كافة الاديان.

فيا اخوة العرفان اذا كان الرسول(ص) عالماً بالغيب بقدر ما اعلمه الله تعالى لانه مدينة العلم الربوبي، فاي محذور من كون باب هذه المدينة وهو علي(ع) يعلم الغيب بتوسط تعليم الرسول(ص) اياه، بل ذلك من الواجب، لان مدينة العلم والحكمة بما فيها من كشف الحقائق يتوقف على دخولها من بابها، فباب مدينة العلم والحكمة يجب ان يكون عالماً بكل ما هو من شأن المدينة والرسالة الالهية ليتحمل اداها بكل بطونها ورموزها للاجيال بلازيادة ولانقصان والكتاب الكريم بيان لكل الحقيقة من عالم الغيب والشهود.

وقد اخبر القرآن الكريم عن علم غيب عيسى(ع) بكثير من الامور الجزئية بواسطة تعليم الله تعالى اياه، فبالاولى أن يكون الرسول(ص) ومن هو باب مدينة علمه ومن هو نفسه لاية المباهلة عالماً بالغيب أيضاً.

والان نقول: ان المسلم ليعتقد ان الاسلام ماكان ديناً يرسم جانباً من الحياة كالعبادة أو غيرها فقط، بل هو الضامن لكافة شؤون الحياة الانسانية علماً وعملا ليأخذ بالانسان الى قمة الكمال وبلوغ الغاية.

فالقرآن المجيد نسخة تروي جميع احاديث الوجود بكل مراتبه طولا وعرضاً، وجوباً وامكاناً، لطفاً من الله تعالى لايصال طلاب العلم واليقين الى غاية الكمال الممكنة في دائرة الامكان وهذه هي تمام الرحمة الالهية، كما وان الرسول(ص) هو المجسد لهذا الكتاب،

فلابد وان تكون ذاته قرآناً تروي جميع احاديث الكمال والقيم بما في ذلك حكاية جميع العلوم، لان كل علم هو كشف ومرآة تحكى اسماً من اسماء الحق تعالى والحجب عن اسرار بعض العلوم، حجب عن مرتبة من مراتب الكمال.

نعم كل من القرآن الصامت والناطق لايمسه الا المطهرون، فيرون فيه كافة العلوم ويشاهدون فيه انوار الملكوت وينهلون من عذب قراته مايكشف لهم جميع الحقائق والعلوم والمصالح والمفاسد لان القرآن الكريم رواية الفطرة والائمة المعصومون المطهرون هم المولودون على الفطرة، ومن شاهد الوجوب قبل الامكان شاهد مراتب العلم والعرفان وعرف اسرار الحكمة ولكن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله واوصيائه المعصومين(ع) لايحركون به اللسان قبل الاذن من قبل قدس لانهاية الوجود.

فالتدرج في الافاضة على القاصرين والمقصرين لايحكى القصور في المفيض تعالى وراوي الفيض وهم المطهرون من الخلق.

فاتضح ان الذات المحمدية البيضاء حينما اوحى الله تعالى اليها عرفت كل ظاهر وباطن من الكتاب التكويني المحكى بالكتاب التدويني وتم البيان عند لحظة العروج، فان من عرف اس الامور وكبريات القواعد والموازين ورموز الحقائق لايصعب عليه معرفة المصاديق والجزئيات.

نعم، من اراد ان يعرف رمز الوجود من تتبع الجزئيات يعانى صعاب الامور وكانت مشاهدة الواقع عنده محتاجة الى معرفة مالانهاية له من الاعداد ولذا يعيش الانسان حياته وهو عاجز عن معرفة علم واحد من العلوم فضلا عن معرفة جميع العلوم والحقايق.

فالرب الكريم الذي لابخل في ساحة قدسه اودع كل الحقائق والعلوم في كتابه الكريم لمن اراد السير نحو الكمال، فراح افراد البشر كل على قدر عقله وطهره وحبه للكمال يدرك قدراً من واقع الامر، ولكن اذا كان القابل تام القابلية طهراً وعقلا وتمام العشق والهيام نحو غاية الكمال لابد وان يكون الكشف بأزائه أيضاً تاماً.

فمحمد(ص) جامع كلم عالم الاسماء والصفات ومن هو هكذا كان المجلى الاتم لكل النور فضلا عن العلوم والاسرار لعالم المادة.

وقد كان باب العلم والحكمة لمدينة العلم الربوبي هي الذات العلوية فلابد ان تكون عالمة بتوسط الرسول(ص) بجميع شؤون الكتاب التكويني المحكي بواسطة الكتاب التدويني بمافيه من اسرار وحكم، فالذات العلوية بمنظار العارفين هي نفس الذات المحمدية في مقام البيان لجميع بطون الرسالة وتطبيقها لاية المباهلة، بل ولحكم العقل لطفاً من الله بعباده لتتميم سير الكمال وان كانت النبوة مختصة بالرسول الاعظم(ص) ولانبي بعده.

فعلي وبقية الائمة الاطهار(ع) عرفوا بواسطة الرسول(ص) لقوة نفوسهم وسلامة فطرتهم جميع الحقائق، فقدشاهدوا من الكتاب الكريم بواسطة الرسول(ص) رمز الوجود بمافيه من مراتب وبطون وان كان لايشاهد من الكتاب امثالنا الا اليسير لمافينا من القصور والتقصير، وقدقال علي(ع) (علمني حبيبي رسول الله(ص) الف باب من العلم يفتح لي من كل باب الف باب) وهذا معنى معرفة أس المطالب والكبريات ورموز الحقايق واسرار الوجود التي بمعرفتها يسهل مشاهدة كافة الحقائق على تكثر ابوابها وتعدد مصاديقها.

ومن الواضح انه لماكان بيان الرسالات الالهية بتوسط الانبياء والاوصياء فلابد ان يكونوا معصومين عن الخطأ والذنب والنسيان

بما يرجع الى شأن الرسالات وبيانها وكيفية تطبيقها والا لوقع الخطأ في الاداء والشك في حكاية الرسالات بتوسط الرسل والاوصياء.

فالعصمة بهذا المعنى ضرورة حكم العقل لحفظ الرسالات السماوية اداء وتجسيماً بواسطة الانبياء والاوصياء لتصبح سيرتهم قولا وفعلا تروى خطي الرسالات بنحو القطع واليقين لا بنحو الظن والاجتهاد، وان تجويز الخطأ والنسيان عليهم في مثل هذه المقامات يهدد كيان الوحي ويجعله معرضاً للزيادة والنقصان، كما وان تجويز الذنب والمعصية عليهم مع كونهم الميزان لرواية الحق والعدل قولا وفعلا ايقاع للاخرين في الخطأ واسقاط لكرامة الدعوة اذا كان الداعي الى تطبيقها كالحكام الذين يعيشون البعد عملا عن ساحات الكمال، وأيضاً لاتتم الغاية القصوى من بعثة الانبياء الذين اريد بهم ايصال الخلائق الى القمة لانه يلزم بقاء الظلمة في موارد الخطأ والنسيان والمعصية.

وبعد كون هذا من البديهيات الاولية لدى العقل يكون من اضاعة الحياة التوسعة في الحديث لاقناع من اصر على الجدل تبعاً للمتقدمين.

نعم ان بقي محل للكلام فانما هو في نسيان الامور الخارجية التي لامساس لها بالشرع والرسالة كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما) أو الخطأ فيما لاربط له بالشريعة أيضاً.

ومع قطع النظر عن الدليل العقلي ارجو التوجه الى امر وهو ان من عشق شيئاً لايغيب عنه، فمجنون ليلى قد ينسى نفسه ولكنه لاينسى ليلى، هذا والغرام والهيام والعشق والشوق والفناء ماكان من انسان كامل هو كلمة الله التامة لوجود غير متناه في الكمال لكي يهيم العارف في عظيم جماله وجلاله، فاذا كان العشق والشوق عقلياً الذي هو اتم مراتب الادراك، لمعقول هو محض الكمال وعين النور

والتمام يكون هذا الشوق والعشق اشد بفعل تفضيل لايمكنه ان يحكى مراتب الاشدية.

فالانبياء والاوصياء الذين هم يعيشون تمام العشق العقلي لعلو مراتب نفوسهم كيف ينسون المعشوق وما هو المحبوب له تعالى؟ وهي الكمالات التي تصب بقوالب الالفاظ فتكون شريعة.

ومن باب التقريب الذهني اقول: لو أن انساناً فارق ولده البار الغالي عليه عشرين سنة ثم علم انه سيعود اليه بعد ساعتين، فلاشك انه سيعيش هاتين الساعتين كل التذكر الذي لامجال للنسيان فيه، فلايجتمع تمام الشوق مع النسيان للمشتاق اليه.

وأيضاًكيف يعقل تخلف العاشق عن مراد المعشوق لدى العاشقين الذين ذاقوا معاني الشوق والغرام والعشق، وعليه فلااظن ان هناك مجالا لقول القائل بصدور الذنب من الانبياء والاوصياء وهم الكلمات التامات الالهية ومرائي الاسماء والصفات، فلايروي احاديث الذنوب للعاشقين الا من جف قلبه عن درك لذيذ العشق وقاس الناس على نفسه - اعاذنا الله واياكم من الجفاف - .

نعم لعله قبل البعثة أو قبل العروج الذى اوحى الله تعالى فيه ما اوحى الى نبيه الاعظم(ص) تكون هناك ضلالة بالنسبة الى ساحة قدس يجب ان تكون ثانى مرتبة كمال بعد الوجوب الذاتي ولانهاية الوجود كما قال تعالى: **(فوجدك ضالا فهدى)** ولكن هذا لايروى لدى العارفين صدور الخطأ والذنب خارجاً بالنسبة الى حكم أو خلق كريم، بل لعله يروي عدم بلوغ مرتبة من الكشف والشهود هي من شأن الرسول الاعظم(ص) ماكانت لتتحقق الا بالبعثة أو العروج، فقبل تحقق مرتبة قاب قوسين أوادنى تكون تلك المرتبة ضلالة بالنسبة

الى علو ذاته و رفيع مقامه(ص) والا فهو قبل البعثة والعروج ميزان السلام والعدل ومثال الكمال.

اذن هي ضلالة نسبية بالقياس الى شأنه (ص) وليست بضلالة في واقع نفسها، بل ضلالة الرسول (ص) تلك هي عين الكمال والعقل والفطرة والسير نحو الغاية القصوى وحب الصلاح والحسن والنفرة من الظلمة والقبح، فهي ضلالة العظماء الذين يستحقون مالا تدركه العقول من القرب والفناء، فكيف يجتمع الشر والظلمة مع الوجود الذي كان نوراً يحكي لانهاية النور. أو المراد من تلك الضلالة ان الرسول(ص) بحسب ذاته ضلالة ولكن بحسب الربط بالحق تعالى الذي هو واقع فناء العاشقين هداية وهذه الهداية هي منذ ولادته (ص) لانه ليس باقل من عيسى(ع) الذي تكلم في المهد بل هي قبل ذلك لانه غاية حركة النور نحو لانهاية النور لانه اشرف الكائنات ومجرى الفيض لعروج الكائنات نحو العلة الغائية.

فاذن على كلا المعنين ليس المراد من الضلالة ما هو في اذهان بعض القاصرين والمقصرين من انه (ص) يصدر منه الذنب والقبح فكيف بالظلمة وهو السلام بعد لانهاية السلام والحسن بعد لانهاية الحسن والعدل بعد لانهاية العدل والحكمة بعد لانهاية الحكمة.

واما قياس العظماء بنفوسنا التي تعيش القصور والتقصير فهو من باب المثال الشعبي: اسميك علياً يا طرطرش، فانه هكذا تكون القياسات مع الفارق وان كان الرسول(ص) بشراً مثلنا.

فانا ننسى و نرتكب الذنوب والاخطاء لانا لانعيش الحسن وعشق الكمال ونور الوجود لقصور و تقصير فينا.

تلخيص وبيان

قد علمنا انرسالة الرسول(ص) خاتمةالرسالات وانه خاتم الرسل وقد اتضح ايضاً ان الخلق والايجاد مناجلالسير نحوالكمال وطلب الغاية القصوى وهو الحق تعالى بقدر مايمكن ان يعرف المحدود من اللا محدود، كما وانه اتضح ان كل ما في الكون كلمات معربة عما في الضمير وآيات تحكى الاسماء والصفات الالهيه وان كان من الواضح ان ذات الحق تعالى لا اسم لها ولا رسم وان كلمة (الله) هيالاسم الجامع العلم لجميعالاسماء والصفات وقدعلمنا أيضاً ان بالعلم يكون الكشف والشهود وبقدر الجهل يكون الحجب عن بلوغ الغاية وعلمنا أيضاً ان الحق تعالى عينالكرم والجود لكون الصفات عين الذات وانما القصور في ذوات الممكنات وانه تعالى يفيض على كل ممكن العلم بقدر ما يملك من الوجود، اذن القصور والتقصير فيالقابل وليس هناك منامساك في جانبالفاعلوالقبض منه تعالى ليس امساكاً بل القبض والبسط رحمة للسير نحو الغاية لان الكون هو النظام الاحسن فهو ظل حسن الوجوب الذاتي، وعليه لابد ان يكون الكشف من الله تعالى تاماً ليبلغ الى الغاية القصوى

كل من تم فيه شرائط القبول ولذا نعتقد ان الكتاب الكريم نور تام يحكى تمام النور للكتاب التكوينى باعين المطهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

فكتاب الله التشريعى كشف كل الحقائق و بين جميع القواعد وحكى اس الاسرار والرموز الوجوديه، فاصبح الرسول(ص) الجامع لجميع كمال الامكان بما في الامكان من علم وحقيقة فهو المرآة العاكسة لجميع الاسماء والصفات الالهية.

فماكان (ص) خوفه من آية، **(فاستقم كما امرت)**، والله العالم من ان يقصر في صلاة أو صوم أو يجبن في جهاد أو يخل في بيان تكليف جزء أو شرطاً، وانما كان الخوف من عدم تمامية المرآتية بافعاله و اقواله(ص) لحكاية النور الاتم لطلاب اليقين وعشاق الحقيقة، لاجل ان يعكس النور على كل فرد منهم على قدر استعداده في قبول الفيض لتسيير الاحياء الى غاية الكمال.

فبفناء ذاته بذات الحق يتم الانعكاس و بالجهاد لبسط النور على قلوب العاشقين يتم الاحياء لمن اراد الحياة وتقام الحجة على الاخرين الذين عاشوا التقصير، اذن كان الخوف حفاظاً على استمرار الفناء و بسط النور على وجه الارض.

ومن المعلوم أيضاً ان القرآن الكريم جاء بكل الحقائق واودع الشرح والبيان للاجزاء والشرائط وكشف البطون والمعاني وكيفية التطبيق السليم الى الرسول الاعظم وتقريباً للذهن نضرب بعض الامثلة:

قال تعالى: اقيموا الصلاة، فلوكنا نحن والامر بالصلاة بدون ان تبين اجزاءها وشرائطها بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله، لاخذ يشرح الصلاة كل على طبق ماتوحي اليه نفسه وقد تصبح الصلاة التي هي عمود الدين وقربان كل تقي و معراج المؤمن واداة الفناء

والقرب لنيل مراتب الكمال امرأ يروى احاديث الاوهام والظلمات، فبين الرسول (ص) ماهيتها بكل اجزائها وشرائطها والا فبالامر بالصلاة لاتعيين فيه لعدد الركعات، فضلا عن عشرات الاحكام والشرائط الاخر، وان كان قدر التأثير في النفوس لصنع الانسانية موكول الى صفاء النفوس وقدر قوتها و ضعفها.

وكذا كان امر الصوم والجهاد والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانها وان كانت اسسها في الكتاب الكريم لكن شرحها كان بتوسط الرسول(ص).

وكذا كان حكم السرقة ورجم الزاني فقد بين الرسول (ص) ان السارق لاتقطع يده الا بشرائط منها ان يسرق بعد ما تسد جميع حوائجه المادية بقدر الامكان ويعرف القانون لكي لاتكون السرقة عن جهالة ولو بالنسبة الى تشخيص المصاديق وان يسرق من حرز كما وانه(ص) بين موضع القطع، اذن لو سرق الشخص وهومحتاج أو جاهل أو من غير حرز لاتقطع يده، وكذا الزانى يرجم اذا كان محصناً متمكناً من زوجته وثبتت جريمته بشهادة اربع رجال اتقياء يرون الميل في المكحلة ليس من عملهم حب التطلع على عورات الناس، فلوكانوا ثلاثةاتقياء أو آخرين غير معروفين بالتقوى لما ثبت بهم الزنا ولاقيم الحد على الشاهدين حفظاً لكرامات المجتمع من القذف كل ذلك بعد كون القاضى ممن له اهلية القضاء وان كان مشاهدة اربعة عدول بتلك الشرائط يشبه الممتنع فيصبح تشريع مثل هذا الحكم الذي ثبوته من اشكل الامور تخويفاً للنفوس وايقافاً لفعلة من يريد هتك العفة العامة بمشهد من الناس.

وهكذا يا اخا الايمان وطالب العرفان كان الامر بالنسبة الى ولاية الامر بعد رسول الله(ص).

فقد امرت الاية باطاعة الله والرسول واولي الامر وقد اتفقت الامة ان المراد من الاية بعدالله تعالى والرسول هو علي بن أبي طالب واخذ الرسول يشرح ولاية الامر والامامة بحديث المنزلة وباب مدينة العلم وغيرهما من الاقوال وقد وردت الاحاديث الكثيرة من اهل السنة فضلا عن الشيعة ان النقباء من بعد الرسول (ص) هم اثناعشر نقيباً.

فاتضح ان القرآن الكريم جاء بأس المطالب واودع البيان للرسول(ص) وعليه لامعنى لقول القائل انه لوكان حقاً ما يقوله الشيعة لذكر الله تعالى اسماء الائمة الاثنىعشر في كتابه الكريم، فنقول الولاية والامامة بنحو اصل وقاعدة ثبتت في نفس الكتاب كبقية الامور من صلاة وصوم وكان الشرح وبيان المصاديق موكولا للسنة النبوية، وقد تقدم أيضاً، ان الدنيا مختبر العقول وان الفائز فيها من عاش الحياة مجاهداً في سبيل الله لمعرفة الحقائق، فلاتوحيد الا للمجاهدين في سبيل الله تعالى ولانبوة ولاامامة ولادين كذلك الا لهم، فكم اختلفت البشرية في التوحيد حتى بلغ بالبعض الانحطاط الى عبادة الاوثان أو انكار التوحيد وكذا كان الاختلاف في النبوة ولوشاء الله تعالى لهدى الناس اجمعين ولكن اراد الدنيا مختبراً لتمييز العقول، فرب آية تحكى اسرار الكون واخرى تروي احاديث الحكمة وثالثة الخلق الكريم، نمر عليها كل يوم مرور الكرام لانفهم منها الا ظاهراً والا فالامامة لطلاب الحقيقة من اوضح الامور وانما اشكلت على البعض لمتابعة السلف. فاللطف الالهى لايصال كل انسان الى مايستحقه من مقام ومنزلة جعل كتابه التدوينى يعكس كتابه التكويني وصير القرآن الناطق(ص) شارحاً لكتابه التدويني لينال به طلاب اليقين الوسيلة لبلوغ الغاية، فان الله تعالى هو العلة الفاعلية

والغائيةمعا، هذا لمن شاء الحياة ولم تحجبه القيود عن مشاهدة الانوار، والاخلد الى الارض وبات ينظر الحق من خلال قيود السلف، ولما كانت النفوس البشرية قاصرة أو مقصرة، وقد كتب الله على نفسه الرحمة ودوام اللطف فلابد ان يستمر كشف الكتاب التكويني على قدر حياة الامامة الطويلة بعد الرسول(ص) باثنى عشر نقيباً ليصبح العرفان والعمل به حياة الانسانية لاحياة الفرد لتتم الغاية من بعثة الانبياء ويكون الحجب عن الرشاد بسبب البشرية نفسها لو اختارت الموت على الحياة.

فيتضح من ذلك انه

لابد بعد الرسول(ص) من ائمة هادين يعرفون كل ما في الكتاب من نور واسرار وغيب لتحيى بهم النفوس ان احبت الحياة والا كان الحجب بفعل الناس وحاشا الله تعالى من اختيار الظلمة للخلق بدلا من النور.

هذا كله بحسب العقل والافغي الكتاب والسنة مايكفي لاثبات الامامة وانها في اهل بيت الرسالة.

واما القول بتقديم المفضول على الفاضل والجاهل على العالم فهو ليس الا حجب البشرية عن مشاهدة النور المنافي للطف الالهى والالتزام بالقبح، ومن الواضح لدى العقل أيضاً انه لايراد من اولى الامر الحكام والسلاطين، والحال ان اكثرهم من افسق الفاسقين فكيف يكون بهم تحقيق الحق و بسط نور رب العالمين ولما كان القرآن يفسر بعضه بعضاً لايقع تنافى بين قوله تعالى **(ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وعالم الغيب فلايظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول)** ومادل على عدم علم الغيب، كقوله

تعالى: **(ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولااعلم الغيب وقل لااملك لنفسي نفعاً ولاضراً الا ماشاء الله ولوكنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوءان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون)**، من انه(ص) لايعلم الغيب بحسب ذاته ويعلمه لو تعلقت المشيئة الالهية إن يعلم(ص) الغيب.

لعلك تقول ايها المتكلم اخذت تغالط في المقام، فنحن بواد والعذول بوادي، لانا نتكلم عن علم الغيب بمعنى ماكان ومايكون من الحوادث وانت تتكلم في ان النبي(ص) ومن هم باب مدينة علمه يجب ان يكونوا عالمين بالشريعة بكل ظاهرها وباطنها وكيفية تطبيقها وان الكتاب التشريعي نسخة بدل عن الكتاب التكويني يروى جميع اسرار الوجود والحكمة والعلوم.

فأقول: اذاكان عيسى(ع) باعلام من الله تعالى علم الكثير من الحوادث وما يفعل الناس ومايدخرون في بيوتهم فلايكون القول بثبوت ذلك في حق رسول الله(ص) الذي هو سيد الانبياء وكذلك ثبوته لاوصيائه بتوسط اعلام الرسول اياهم من الغلو والشرك ومما يستوجب التشنيع حتى ولولم تكن معرفة اسرار القرآن ورموزه كافية لمعرفة مثل هذه الحوادث الجزئية وقد تواتر القول عن الرسول(ص): (ياعمار تقتلك الفئة الباغية)، واخباره(ص) عن كلاب الحوئب وغيرهما من الحوادث الجزئية الاخر، هذا مجاراة مع اخواننا ابناء السنة والجماعة وان كان قد ورد عن الصادق (ع) (اني اعلم ما في السماوات والارض واعلم ما في الجنة والنار واعلم ماكان ومايكون ثم قال(ع) علمت ذلك من كتاب الله عزوجل الذي يقول ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين).

المحتملات فی علم الامامة

من المحتمل ان الائمة عليهم السلام لا يعلمون من الغيب الا ما هو شأن الاحكام والشريعة بما فيها من البطون والاعماق، فما من حكم لموضوع من الاحكام الخمسة الا وهم عالمون به و كذلك ماهو شأن الخلق الكريم من الفضائل والكمالات التی جاء بها الرسول(ص) وكل ما يحتاجه الانسان من دليل لبلوغ الغاية و مسيرة النور.

كما وانه من المحتمل انهم(ع) يعلمون اضافة على ما ذكر جميع الاسباب التي دعت الى تشريع الاحكام من المصالح والمفاسد.

وقد ذهب البعض اضافة على ما ذكر الى انهم يعلمون كل العلوم واللغات بل يعلمون كل ما كان و ما يكون من الكليات والجزئيات وما حدث وما يحدث وما يفعله الناس في بيوتهم او يدخرون، و قد ذهب البعض الى انهم يعلمون حتى ما يجری في خواطر النفوس، كل ذلك بتعليم من الله تعالى لا بحسب ذواتهم، لان العلم الذاتی لايقول به لغير الله تعالى الامغال مشرك.

ولكن قد نسب لبعض الاعاظم من علمائنا انه حينما سئل عن خروج الامام الحسين (ع) الى العراق انه قال: خرج (ع) آمراً بالمعروف ناه عن المنكر، قاصداً بذلك ان ساعدته الظروف تحقيق نظام اسلامی اجابة لدعوة اهل العراق و ما كان يعلم علم اليقين انه يستشهد وان احتمل الشهادة بحسب العقل، لانه سوف يواجه حكماً جائراً ويقال ان ذلك العالم الجليل تخلص بهذا الجواب من شبهة القاء النفس في التهلكه و ان احتمل بعض آخرون انه اجاب بهذا الجواب تمشياً مع الاخرين لظروفه الزمنية الخاصة.

و قد نسب الى الشيخ المفيد بان معرفة الائمة جميع الصنايع واللغات ليس بممتنع ولكن لايجب من جهة العقل والقياس وان وردت

اخبار عمن يجب تصديقه بان ائمة آل‌محمد كانوا يعلمون ذلك، فان ثبت وجب القطع به، ثم قال ولي في القطع به منها نظر و قد خالف فيه بنو نوبخت واوجبوا ذلك عقلا و قياساً.

نعم قال: ان الائمة قدكانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ويعرفون ما يكون قبل كونه و ليس ذلك بواجب في صفاتهم ولا شرطاً في امامتهم وانما اكرمهم الله به و اعلمهم اياه للطف في اطاعتهم والتمسك بأمامتهم وليس ذلك بواجب عقلا ولكنه وجب لهم من جهة السماع، فاطلاق القول عليهم بانهم يعلمون الغيب منكر بين الفساد لان الوصف بذلك انما يستحقه من علم الاشياء بنفسه لا بعلم مستفاد و هذا لايكون الا لله عزوجل.

ثم قال و لايمنع العقل من نزول الوحي عليهم وان كانوا ائمة غير انبياء، فقد اوحى الله تعالى الى ام موسى وهي ليست نبياً ولا اماماً، بل الى النمل ايضاً وهي ليست من ذوات العقل، ثم قال وانما منعت من نزول الوحي عليهم و الايحاء بالاشياء لهم للاجماع على المنع والاتفاق على ان من يزعم ان احداً بعد نبينا (ص) يوحى اليه فقد اخطأ وكفر.

وبالجملة فالاقوال في علم الائمة عليهم السلام كثيرة ولست بصدد تتبعها على التفصيل ولكن، اقول: من سار على طريق ببصيرة عرف نتائج الامور، فحينما قام الرسول(ص) بالدعوة الى الحق كان جازماً بانه سيعاني من عظيم الامر مالاطاقة لاحد فيه لان العناء بقدر عظم الرسالة، ولذا قال (ص) (ما اوذى نبى كما اوذيت)، ولا يستدعى العلم بمواجهة الصعاب ارشاد العقل بوجوب الترك بحجة صيرورة الامر من الالقاء في التهلكة والا لما قام للرشاد علم وان جزم العقل في بعض الاحيان بالقتل كما في بعض موارد الجهاد.

فاذا تمت شرائط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجب على المؤمن القيام بما هو واجب سواء قوبل بالترحيب او ادى به القيام بالحق الى السجون والمشانق، وليس من شرائط وجوب القيام بالتكليف عدم العلم بالشهادة.

نعم عند عدم تمامية الشرائط المحققة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون الاقدام من باب القاء النفس في التهلكة.

ومما يؤيد ان العلم بالشهادة لا يمنع وجوب الاقدام على الجهاد في سبيل الله تعالى مراجعة غزوة مؤتة فانه لما استعمل رسول الله (ص) زيد بن حارثة قال (ص) فان اصيب زيد فجعفر بن ابي طالب، فان اصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فبكى الناس (وقالوا هلا متعتنا بهم يا رسول الله)؟ فامسك وكان اذا قال فان اصيب فلان، فالامير فلان، اصيب كل من ذكره.

فاذن قول القائل ان الحسين (ع) اذا كان يعلم بالشهادة كيف جازله الخروج الى العراق و انه القاء للنفس في التهلكه وانه من علم بعدم النتيجة كيف يقدم على المقدمات يصبح واضح البطلان.

فان الشواهد التأريخية والعقلية بل وفراسة الايمان لامثال العظماء تشير الى انه كان عالماً بالشهادة ولكن هذا لا يستدعى ان يرفع عليه السلام يده من التكليف من بعد ما تمت شرائط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عند ما حان حين احياء الامة وتنبيهها بان ما يجرى باسم الاسلام لا ربط له بالدين الحنيف و اما النتيجة فهي ما حصلت من يقظة الامة المسلمة منذ شهادته الى يومنا هذا وليس المراد من نتائج الامور استلام مقاليد الحكم، اذن كان جواب ذلك العالم العظيم تمشياً مع ظروف زمنه لا اعتقاداً منه بذلك، فان

من راجع التأريخ علم ماذا عاشه العلماء الاحرار على ممر الزمن، هذا كله بناء على صحة ما نسب اليه قدس سره.

ومما يجب الالتفات اليه ان العلم بوقوع الشهادة لايستلزم الجبر ولو فرض استلزامه للجبر لماكان عندئذ مجال لقول القائل انه القاء للنفس بالتهلكة لانه يصبح مصيراً محتماً لامخلص منه، اعاذنا الله واياكم من ظلمات القول بالجبر، بل العلم الازلي الالهي كان متعلقاً بالشيء على ماهو عليه من مقدماته الاختيارية، فان الله تعلقت ارادته بان يفعل الانسان الفعل باختياره وهذا كان علماً ذاتياً ازلياً لله بما يختاره الصالحون والطالحون من مصير، فان العالم بالنفوس عالم بخطى سيرها، فلو علمت حقاً نفسية انسان لكنت تعلم بانه لوجاء مورد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ماذا سيصنع كما وانك لتعلم انه اذاجاء وقت الفريضة سيقوم المؤمن الى الصلاة وكذا تعلم قبل مجيء الوقت ان فلانا لودعى الى منكر لكان من السباقين اليه مع انك لم تجبر احداً على حق او باطل، اذن ليس علم الله تعالى بحقائق الامور واسبابها يكون موجباً للجبر.

فعلم الله تعالى بحتمية استشهاد الحسين (ع) لعلمه بالاسباب من ان حسين الصلاح سيختار الجهاد في سبيل الله عند ما يحين حينه وان من وقف موقف الشرف سيقابل من قبل طواغيت الارض وجهالها وان هذا لمصير محتوم لكل من الصالحين والطالحين، لان الامور تابعة لاسبابها فلا تتخلف عن امر خط بالقلم، فقد خط القلم مصير السعداء والاشقياء فكان الحسين (ع) يعلم بنتائج الامور لكن رأى بهذا الموقف الداعي الى الرشاد احياء الامة التي اخذت تعيش ألغفلة والظلمات فترة من الزمن، هذا مع غض النظر عن الاخبار الدالة على اخبار الرسول (ص) بذلك، وثانياً كل انسان عرف الغاية من الخلق

والايجاد وعرف ان افراد البشر على ثلاثة اقسام رواد الخير ورواد الشر وان كانت زعامة الخير او الشر نسبية بلحاظ الافراد وهمج رعاع ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح فهم يؤيدون القوى محقاً كان ام مبطلا، علم ولو بنحو الرجحان ان زعماء الفريقين الخير والشر لابد ان يحفظوا لتبلغ بهم البشرية مسيرة الكمال او الهبوط.

فقد يحفظ الله شخصاً لتنال بـه البشريـة قمم الرشاد و يحفظ آخر ليقود راية ضلال، فاذا حصلت الغاية من حفظ كل من زعماء الخير والشر جاء دور الانتقال الى دار الاخرة، وقد ورد في الاخبار انه لما نزلت سورة النصر بكى بعض المسلمين علماً منهم بانه بعد النصر و تثبيت الرسالة يكون الرحيل الى الملا الاعلى فعلموا لانهم كانوا يعيشون حضـارة الاسلام ان هـذه السـورة المبشرة بالنصر تنعى لهم الرسول الاعظم (ص) فكيف بامثال الحسين (ع) لايعرف بفراسة الايمان ايـام الحفظ الالهى وايـام الشهـادة ونهاية دور الحفظ، فالمؤمن ليعلم وان كان عند الله المحو والاثبات انه انتهى دور القيام بالتكليف لبسط الدعوة بقدر ما يراد منه او بعد لم ينته واذا انتهى علم ايضاً ان الله تعالى يختار له احب الطرق اليه لقاء، فيقدم المؤمن باختيار الى القدر المحتوم.

اذن احدى الطرق لعلم الغيب او الظن به هي ان الانسان المؤمن ليعرف بباطنه الحي من انه لوكان من قوائم بسط الدعوة لابد وان تحفظ حياته ولو اجتمع على قتله شياطين الجن والانس حتى يقوم بتمام دوره في الحياة فـاذا تم القيام بـالمطلوب يأتى دور الرحيل وان الحسين(ع) ليعرف حقاً انه قد انتهى دور الثبات لشرح الرسالة على الرغم من كافة التيارات الباطلة وجاء دور ثبات يأخذ به الى

جوار المعشوق، فعندئذ تكون بشرى المؤمنين، فتقدم عليه السلام يعيش الشوق الى مشاهدة الاسلاف.

اذن الحفظ الذي لاتخلف فيه يكون بالنسبة الى زعماء الخير والشر ليختبروا وتختبر بهم البشرية حتى ينتهى دور كل منهما ثم يأتى امر الله بالانتقال الى دار الاخرة واما بقية الناس، فانهم رهن قضاء وقدر واسباب لم تحط بحتمية الحفظ من قبل الله تعالى وان كان كل شيء بقضاء وقدر حتى حتمية الحفظ الالهى ايضاً بالنسبة الى زعماء الخير والشر.

وقد تقدم ان كل امام اذا طلب منه القيام بالامر وجب القيام به واما قبل الطلب اذا شاءت الامة لنفسها الظلم فليس من وظيفته التخطيط لقبض ازمة الامور ولكن ليس معنى هذا انه يعيش العزلة وعدم الاحساس بالمسؤولية، فان شرح بطون الرسالة و بيان كيفية تطبيق الكبريات على صغرياتها لا يسقط عن الامام عند عدم القيام بالامر وهذا هو السبب الذي كان موجباً لوقوع الخلاف والنزاع المستمر بين الائمة الكرام و سلاطين الزمن كما كان هو بنفسه السبب لوقوع الصدام بين العلماء الاحرار والسلاطين على مر الزمن لا النزاع على الحكم، لان بيان واقع الامر وبسط النور لا يبقي مجالا للظلمات التي لاسلطان لطواغيت الارض الا في كنفها.

وبالجملة لا عيش للجائرين الا عند نوم الشعوب وغفلتها وقد كان حكام الجور يعلمون كل العلم ان بحياة الاسلام المتجسد بحياة الائمة الكرام لاحياة لهم، لان شعباً يتألف من عمار والمقداد ومالك وسلمان وهشام بن الحكم وزرارة وحجر بن عدى واضرابهم لايكون سهل الانقياد لامثال معاوية، بل لا ينقاد له طرفة عين بل لا يحلم معاوية بتزعمه طرفة عين، نعم يكون معاوية امير المؤمنين لدى شعب

يرى ان قاتل عمار من اخرجه الى سيوف المقاتلين ليعيش راحة الضمير بزعمه بأزاء قول رسول الله (ص) (يا عمار تقتلك الفئة الباغية).

فاتضح انه ليس كما يظن البعض ان الائمة عليهم السلام عاشوا حياة الالام لانهم كانوا يخططون لقبض ازمة الامور او انهم عليهم السلام مع تخليهم عن كل شيء والتكلم فقط عن شكوك الصلاة والطهارة والنجاسة والحيض والاستحاضة وامثال هذه الامور كانوا مورد هجمة الجائرين، فانه من المسلم لدى العقل انه ليس هناك من طاغوت يرهبه التطرق لمثل هذه الامور و قد تطرق لبيان الاحكام الكثير ممن عاش حياته تحت ظل سلاطين الجور فما كانوا يسلبون السلاطين هنيء عيشهم ولايهددون كيانهم بل عاشوا مع السلاطين الاخاء والقرب، فكيف يكون المراد من ائمة الهدى و علماء التقوى التطرق فقط لمثل هذه الامور والاسلام هو الحياة بكل جوانبها والعلم بكل ابعاده وصرخة الحق بتمامها امام الباطل.

وقد تقدم ايضاً قول على(ع): أما والذى فلق الحبة و برء النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما اخذ الله على العلماء ان لايقاروا على كظة ظالم ولاسغب مظلوم، لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفيتهم دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز.

فالتأمل في الخطبة الشقشقية لعلي عليه السلام، يرسم جميع ابعاد الامامة من انها اذ دعيت الى القيام بالامر وجب القيام به ولا يجوز التخلف عند ذلك و عند عدم القيام بالامر لايجوز للعلماء السكوت عن الحق ومعلوم ان مصداق العلماء الذي لاشك فيه هم الانبياء والاوصياء ثم بقية العلماء الاتقياء من سائر الناس ومعلوم

ان بيان الحق لم ينحصره في التصدى الى بيان بعض الجوانب العبادية والمادية كوجوب اداء الخمس والزكاة بعد كون الاسلام جاء بشرح تمام الحقيقة وبسطها على وجه الارض، يريد بذلك حياة البشرية ولا تحيى البشرية ببيان بعض جوانب الشريعة والصمت عن بعضها الاخر ارضاءاً لمن احبوا الموت على الحياة.

ثم بعد هذه المقدمات نقول: لاشك ان القرآن الكريم تبيان لكل شيء لانه كتاب الله التدويني الراسم لكتاب الله التكويني، فاذن هو الجامع لجميع الحقائق والعلوم، فما من نور وعلم الا وقد جاء باصله وكشف قواعده ورموزه، فهو بيان الوجود بكل مراتبه، لان الله حكيم يحب الحكمة وطلاب الحق لنيل غاية الكمال هم السائرون على طريق الحكمة (ومن اعطى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) فنحن نعتقد ان الكتاب الكريم هو رواية احاديث الوجوب والامكان ومرآة عالم الاسماء والصفات، وقد اوحى الله تعالى الى رسوله (ص) كل امر وعرفه اسرار الوجود وكبريات القواعد التي بها تفتح عليه كل الحقائق، فما من علم الا وهو مودوع في الكتاب الكريم وقد اخذ عنه ائمة الهدى عليهم السلام لانهم ابواب مدينة علم الرسول(ص) ولذا قال على (ع) (سلوني قبل ان تفقدوني، سلوني عن طرق السماء) الى آخر خطبة الشهيرة وقال الصادق (ع) انى اعلم ما في السموات والارض واعلم ما في الجنة والنار واعلم ماكان ومايكون، ثم قال: علمت ذلك من كتاب الله عزوجل الذي يقول: **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ورحمة وهدى وبشرى للمسلمين)**، وقد تكلم ائمتنا عليهم السلام عن ادق معانى الوجوب والتوحيد وتكلموا عن السموات والارض والعلوم الرياضية وغيرها ولو وجدوا طلاب علم ويقين وحياة حرية لم تحك انقلاب الامة على اعقابها لاخذوا

بالبشرية الى قمم علياء النور والكمال في غضون حياة اثنى عشر نقيب.

هذا ما كان من شأن العلم باسرار الوجود واس القواعد لجميع العلوم التي حكاها القرآن المجيد واودع علمها الرسول (ص) الى على (ع) ثم منه الى بقية الائمة المعصومين.

واما ما كان من شأن الحوادث الجزئية كولادة زيد وموت عمرو وتسلط خالد وقتل بكر و ما يأكل الناس وما شاكل هذه الامور من معرفة اللغات وغيرها فهى على اقسام، منه ما يتوقف عليه دعم الرسالة و نشرها لاثبات توحيد او نبوة او امامة او اذلال عدو يمس بكيان الاسلام او حفظ رسول او وصى اواقامة حجةومنه مالايكون الاطلاع عليه دخيلا بدعم الرسالة.

فكل ماكان من الحوادث دخيلا في دعم الرسالة توجهت نفس النبي أو الوصي للاطلاع عليه فيكشفه الله تعالى لهما أو انه لعلم الله تعالى الذاتي الازلي اخبر به مسبقاً رسوله (ص) و هو قد اخبر به علياً (ع) وهكذا كل معصوم اخبر المتأخر عنه لحفظ الرسالة من ايهام الموهمين ومكر الماكرين بل اقول لعل الصناعات واللغات من هذا الباب تكشف للنبي أو الوصي اذا كانت مما يتوقف عليها دعم الرسالة وكذلك مايجرى في اذهان الناس، فلو انجماعة اسروا في نفوسهم شيئاً وجاءوا به الى نبي أو وصي لاختبار صحة النبوة أوالوصاية أوللنيل منهما لكشف الله تعالى ذلك لاوليائه حفظاً للرسالة ودعماً لها.

واما ماكان منهذه الامور لادخل له في دعم الرسالة أوكان يرجع الى اختبار نفوس الانبياء والاوصياء فلاتتوجه نفوسهم الى كشفه

ولا يطلبون من الله ذلك لانهم لايحبون الا ما احب الله ولايريدون الا مافيه الحسن للنظام الاحسن لهم ولجميع الكائنات، فان الانبياء والاوصياء اشد الناس حباً لكشف مابه دعم الرسالة وبالعكس من ذلك فانهم اقل الناس طلباً بالنسبة الى مايرجع الى شؤونهم وخصوصية ذواتهم ومافيه اختبارهم من قبل الله تعالى، فمثلا الامام الحسين(ع) لايطلب من الله تعالى ان ينزل عليه الماء ولا ان يكشف له موضعه في الارض ويسعى كبقية الناس لطلب الماء وكذا لايطلب أولياءالله تعالى كشف ما تأكل الناس أوتشرب أو تلبس في بيوتها اذا لم يرجع الكشف الى جهة دعم الرسالة، فسواء اكل زيد الدجاج أو الخبز وتزوج مع هند أو سلمى وما شاكل هذه الامور بما هي هي ليست من الكمال حتى تتوجه نفس النبي أو الوصي الى كشفها وليست كذلك مما ترجع الى نشر دعوة أو تقويم حق، فان ماكان من هذه الامور والحوادث دخيلا في اختبار نفوس الانبياء والاوصياء فهم فيه اشد الناس استسلاماً لقضاءالله وقدره، يعيشون بالنسبة اليه كبقية الناس يتوجه عليهم التكليف حين كونه بالنسبة اليهم يمر بواقع الامكان لاالوجوب أو الامتناع وان كان معلوماً عندالله تعالى كما وانهم عليهم السلام يمرون بواقع الاختيار والاختبار ومهما بلغ بهم الامر شدة لايطلبون من الله تعالى كشفه، لانه يرجع الى خصوصية ذواتهم لا الى شأن الرسالة ودعمها لينالوا بذلك غاية التسليم الى قضاءالله وقدره الا ان يكون العلم بمثل هذه الامور لايخل بمقام التسليم والرضا كما هو ثابت بالنسبة الى علم بعض الانبياء والاوصياء، بل الاتقياء بقرب ايام لقاء الله تعالى.

وتقريباً للذهن أقول لو ان انساناً خرج للجهاد في سبيل الله وهو يعلم علم اليقين انه سوف لايصاب بشيء أكان اولى بكثرة الثواب

أم من خرج مستسلماً لقضاء الله وقدره قد حسب حساب الموت ويتم الاطفال وترك العيال والمال والامن والرفاه والاحبة باعتقاده مضحياً لكل هناء ونعيم راجياً وجه ربه الكريم، واقول أيضاً لو ان شيخ الانبياء ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاةوالسلام أقدم على ذبح ولده وهو يعلم بداية بدء انه مأمور بجعل السكين على عنق ولده فقط لابفري الاوداج أكان ثوابه اعظم ام لو أقدم وهو يعتقد ان المراد منه قرباناً للبيت، ذبح ولده واقعاً وان كان يعلم ان الله تعالى يمحو ويثبت وعنده ام الكتاب فقدم مضحياً اغلى واعز انسان عليه رضاءبقضاءالله وقدره؟ فلا اظن ان احداً يقول عظمة ابراهيم(ع) العالم بوجوب جعل السكين على رقبة ولده مع القادم على فري الاوداج بمنزلة واحدة وكذا الامر بالنسبة الى اسماعيل(ع) فانه بالاستسلام الى الذبح وغيره من الامور وبنبوته كان عظيماً لابالاستسلام الى الاضطجاع لكى تجعل السكين على رقبته فقط.

نعم تبقى بالنسبة الى الحوادث التي لايرجع امرها الى دعم الرسالة وما هو شأن التكليف الراجع الى الانبياء والاوصياء انفسهم فراسة الايمان وباب المحو والاثبات ولكن لم يصل امرها الى ام الكتاب واللوح المحفوظ.

وفي الختام ارجو من القارىء الكريم ان يحيط خبراً بان كلما قلناه في علم الامامة انما هو من المظنونات على قدر ما يمكن استفادته من الكتاب والسنة والله تعالى وانبياءه واوصياءه هم العارفون بواقع الامر وقدر العلم بالنسبة الى كل نبي أو وصي وليس لانسان حجبته غواشي القصور والتقصير ان يدعى أو يصبح معتقداً بنحو الجزم مالم يسمع الامر من معصوم بان علم الانبياء والاوصياء كان كذا والله تعالى هو المسدد للصواب.

والحمدلله الذي وفقني لكتابة تقديم على إضواء الامامة لهذه الخطبة التي هي بيان روح الاسلام وارجو منه تعالى أيضاً التوفيق على توضيح بعض الكلمات التى وردت في شرح الوالد (قده) لهذه الخطبة واتمام مابقي منها الان بعض فقراتها لم يرد شرحها في كلمات الوالد (قده) - محمد كاظم محمد طاهر آل شبير الخاقاني.

١٣ رجب المرجب ١٤١١



خطبة الصديقة الطاهرة(ع)

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه، أنه لما اجمع[1] ابوبكر على منع فاطمة (ع) فدكاً وبلغها ذلك لاثت[2] خمارها[3] على رأسها واشتملت[4] بجلبابها[5] واقبلت في لمة[6] من حفدتها[7] ونساء قومها تطأ ذيولها ماتخرم[8] مشيتها مشية رسول الله(ص) حتى دخلت على ابى بكر وهو في حشد[9] من المهاجرين والانصار وغيرهم فنيطت[10] دونها ملاءة[11] فجلست ثم أنت أنة أجهش القوم بالبكاء، فارتج المجلس ثم امهلت هنية، حتى اذاسكن نشيج[12] القوم وهدأت فورتهم[13] افتتحت

١ــ عزم وصمم.
٢ــشدت ولفت.
٣ــ ثوب يغطى به الرأس.
٤ــ ما يدار على الجسد كله بحيث لايخرج منه شيء.
٥ــ مايستر جميع البدن كالملحفة.
٦ــ الجماعة قيل مابين الثلاثة الىالعشرة وقيل اللمة المثل فىالسن والترب وقيل الصاحب المونس.
٧ــ الخدم.
٨ــ كناية عن نهاية السكينة والوقار.
٩ــ الجماعة.
١٠ــ علقت.
١١ــ الازار.
١٢ــ صوت البكاء مع التوجع يتردد فى الصدر.
١٣ــ حرارة القلب وشدته.

الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما امسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الوالد (قده). . . . .

قبل اقامة البراهين العقلية والنقلية وما تتضمن الخطبة من عظيم المعاني اقامت عليها السلام الادلة الحسية لتكون لطالب الحق نوراً وحجة وبالاخص على المهاجرين والانصار يوم لاينفع مال ولابنون، لانه كان من المسلم لدى الجميع انها (ع) احب الناس من النساء الى رسول الله وان اذاها اذى الله والرسول وان رضاها رضا الله تعالى، فأذن اظهارها للتألم والسخط على ابي بكر وعدم رضاها منه أدلة حسيه متعددة تروى لمن تأمل بعيداً عن العصبية فيماورد في حق فاطمة(ع) منزلة الخليفة لدى الله تعالى والرسول (ص) ومن البديهى انه لما كانت احاديث الرضا والاذى والحب والغضب وغيرها مطلقة لاتقييد فيها يصبح التقييد بان رضا الله رضا فاطمة واذاها اذى الله بما اذ لم تكن عليها السلام متعدية على اموال المسلمين أو مخطئة في دعواها لجهلها بالاحكام الالهية من ابده الاباطيل، فانه اولا لاخصوصية لفاطمة(ع) في مثل هذا المقام لانه أذى كل مؤمن اذا كان على الحق علماً وعملا اذى الله والرسول فما معنى ورود هذه الاحاديث والتشديد عليها في كل مورد ومقام وثانياً من الواضح لدى المتأمل ان الاحاديث تشير الى انها عين الحق والرضا الالهي الذى تقاس به الامور اي انها عليها السلام لاترضى الا لله ولاتغضب الا لله وانها محبوبة للرسول(ص) الذي لايحب الا لله ولذا كان رضاها رضا الله وغضبها غضب الله اي يحكى الرضا والغضب الالهى، نعم

الوالد (قده): اعلم ايها القارىء الكريم والناظر الى حقائق الامور من غير تعصب الى شخصية خاصة ولا الى قومية معينة لو نظرت الى هذه الخطبة بعين الانصاف فسترى مافيها من عظيم بيان لبعض علل التشريع على مافيها من الايجاز(١).

مشاهدة مثل هذا من الاخبار المتواترة يحتاج الى تجريد النفس عن متابعة السلف وهو من اشكل ما تعانيه الامم في تاريخ حياتها، وبالجملة كان نفس بكائها واظهار تألمها وسخطها على الخليفة دليلا حسياً كافياً يرسم مقام الخليفه لدى طلاب الحقيقة أقامته(ع) قبل البدء في الخطاب ومن المعلوم ان احسن سبيل لايصال نداء الحق الى الاذهان هو الخلق الكريم والعاطفة وقد استعملتهما عليها السلام معاً في خطبتها. (محمد كاظم)

(١) لم تتردد فاطمه(ع) في نتائج الامور وهي العارفة بخصوصيات الكتاب من تفسير وتأويل بما فيه من نص دال على انقلاب الامة بعد رحيل نبيها الاعظم، فأذن ماكان ذهابها لابي بكر طمعاً للحصول على فدك وماقيمة فدك عند عشاق الطريقة وهي العالمة أيضاً ان الدنيا مختبر العقول وعليه فلابد من فسح المجال لتختار الامة لنفسها أحد النجدين والا فالله تعالى قادر ان يسلط على وجه الارض سليمان بعد سليمان فلايبقى نزاع بين موحد وملحد ولابين مسلم ونصرانى ويهودى ولابين سنى وشيعى بان يظهر تعالى ملائكته أوجنته وناره للخلائق فضلا عن ظهوره تعالى بأسم الملك القهار كما سيظهر بذلك يوم القرار، لكن هذا الظهور لايضع الناس في منازلها التي تستحقها بجريها العقلي والعملي ولذا ما نازع امام من الائمة عليهم السلام

→
السلاطين في الحكم وانما وقفوا بكل شدة امام السلاطين لبيان الحق وما داهنوا في ذلك فكانوا اداة الوعى ومسيرة النور التى تقلق كيان الجائرين وليس كما يظن البعض ان بعد على (ع) عن روح السياسة والتدبير قدم عليه المخالفين لانهم كانوا اشد خبرة بالامور بل انما كانت الوظيفة للائمة الهداة بعد الرسول (ص) اقامة الحجة وبيان سبل النجاة وقد ادى علي (ع) ذلك بمخالفة الشيخين ومن تأخر عنهما وادى ما عليه من وظيفة الشرح وبيان التطبيق على رغم ظروفه القاسية.

وان من المعلوم ان بين روح السياسة لنيل مقاليد الحكم التي كان علي (ع) بعيداً عنها كل البعد الا ان يطلب منه ذلك فيصبح تكليفاً وبين روح السياسة لبيان بطون الشريعة واقامة الحجة مع فسح المجال امام الامة لتختار المصير بون بعيد، كما وانه فرق بين سياسة تريد توطيد الحكم والهيمنة على رقاب الناس وسياسة اتخذها علي عليه السلام في خلافته تريد عز الشريعة وان فتح ذلك العدوان على الحاكم لكون من لا يعرف قيم الحرية والخلق الكريم قد يستفيد منهما سوءاً.

نعم من نظر بمنظار ابناء الدنيا وكيفية التسلق الى الحكم والسلطان وانه كيف يجب ان يكون العمل لتقوية النظام وكيف يحصل الترغيب والترهيب رأى علياً (ع) اقل دهاءاً من غيره، لان العقل بهذا المنظار حاكم بانه لابد لتوطيد السلطان من الترغيب والترهيب والسخاء من بيت المال بيد والضرب بالحديد بيد اخرى، وانه كان
←

من اللازم على علي(ع) ان يخطط لقبض ازمة الامور قبل وفاة الرسول(ص) ويبادر الى الامر لحظة الوفاة، وكذاكان عليه ان يمد يده الى عبدالرحمن بن عوف حينما قال له: مديدك يا علي ابايعك على كتاب الله وطريقة الشيخين وأيضاً كان عليه بعد مااصبح خليفة ان يأخذ المتخلفين عن البيعة بالسيف كما صنع الشيخان لكي لايطمع احد في مخالفته فضلا عن قوله للمخالفين ان شئتم البقاء معي فأنتم على كراماتكم واعطياتكم وان شئتم اللحوق بالمخالفين فالباب مفتوح امامكم وكان عليه أيضاً ان يقبل نصيحة المغيرة بن شعبة حينما اشار عليه بابقاء ولاة عثمان حتى يأتيه اقرارهم له بالبيعة ثم يعزلهم واحداً بعد الاخر بعد فترة من الزمن وكان عليه ايضاً ان لايأخذ حكم الامارة من طلحة والزبير حينما قالا له وصلت رحماً وكان عليه ان يتغافل عما ارتكبه عمال عثمان من عدوان ونهب خيرات المسلمين وكان عليه التغافل أيضاً عن ابن عمر الذي خاض دماء الابرياء تشفياً لقتل ابيه وكان عليه ان يستميل الاعيان ووجوه الناس بالمال والولاية وان لا يسوي بين الناس بالعطاء كما صنع الخليفة الثاني وان يصير جواداً على البعض والخاصة والقواد والشعراء من بيت مال المسلمين وهكذا عشرات الايرادات الاخر التي هي جميعاً حق لكنها بمنظار خاص يؤدى بالانسان الى اعزاز حكمه باذلال الامة واضاعة الشرع.

نعم ان مثل هذه الطرق صحيحة بمنظار لكنها لاتحتاج الى دهاء ونبوغ فقد عرفها كل حاكم مر بالقافلة البشرية واراد عظمة السلطان على حساب الانسانية والقيم فكيف يغفل عنها من هم امراء العقل

الوالد (قده): ابتدأت بنت الرسول الاعظم (ص) بحمدالله والحمد على النعمة افضل من الشكر عليها وخصت الحمد به تعالى لان الحمد بجميع انحائه واطواره مختص بذاته المقدسه، الا فانظر الى كتابه العزيز في سورة الفاتحة بعد البسملة فقدخص الله تعالى نفسه بالحمد وهو الثناء الحقيقي، اذ كل حمد وثناء اذا كان حقيقياً من غير تجوز فهو مختص به تعالى ولايشمل غيره وهو الثناء الحقيقي لتلك الذات الحقة الجامعة لكمال الصفات التي هي عين الذات من غير اكتساب(١)

←

والرشاد الذين درسوا البشرية مناهج النصر والعرفان ولكنها سبل تعز السلطان وتميت طريقة الرحمن آخذه بالامة الى الاستبداد واماتة الحريات وكبت الاستعدادات.

وراح علي(ع) بمنظار ابناء الاخرة يرسم المثل العليا لطلاب اليقين ليعرفوا الرسالة وكيفية تطبيقها، فعاش علي(ع) الغربة في دار الفناء ليعيش القرب في دار البقاء، فأذن ماكانت مسألة السقيفة مفاجئة تاريخية تمر على امثال فاطمة ولكن فاطمة بضعة الرسول(ص) احدى القوائم للرسالة فكان عليها أيضاً ان تحمل جانباً من ثقل الرسالة ليتم البيان وتقام الحجة. (محمدكاظم)

(١) لان الحق تعالى واجب الوجود بالذات، وواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فهو محض التمام والوجود، فالصفات مصداقاً عين الذات والتعدد بحسب المفهوم، فالله كما قال الحكماء كله علم وكله قدرة، فلاتكون صفاته زائدة على ذاته، عارضة عليها كالانسان الذي يكون علمه اكتسابياً ومعلوم ان الحمد والشكر

←

فالحمد حقيقي بالنسبة اليه من غير تسامح عقلي أو تجوز لغوي وان كل حمد لخلقه وانبيائه ورسله واوصيائه وملائكته هوتابع لحمدالله تعالى لان كل صفة وذات كمالية في الكائنات هي مفاضة منه تعالى لااستقلال لها في ذات ولاصفة(١) ولذا فان الله سبحانه وتعالى اشتق اسم نبيه (ص) من الحمد فسماه محمداً و هو لارشاد العباد ان الحمد الذي يقوم به المخلوق باعلى مراحله ماكان من هذه النفس القدسية وهي نفس محمد(ص) والحمد كما في اللغة، الثناء الجميل للممدوح وان كل حمد يحمده شخص فانما هو بقدر امكان الذات وقابليتها و وصولها في مراتب الوجود، فالحمد الذي ليس فوقه حمد من اى مخلوق هو حمد الذات المحمدية له سبحانه وبعده حمد الانبياء والاوصياء وعبادالله الصالحين، كل على قدر ذاته واستعداد كماله حيث ان الله تعالى لايعرفه احد الا هوفلايمكن انيحيط مخلوق

→

للمنعم واجب بحكمة العقل واندل عليه الشرع فهو ارشاد ونعم الله ظاهرةوباطنة لايحيط بهاعقلولاعلم بشرى وقدعد منالنعم الباطنة التي لاتحس بالحواس الظاهرة العقل والعلم والهداية والقدرة على نيل مراتب الكمال، والحمد لغة هو الثناء الجميل بقصد التعظيم.
(محمد كاظم)

(١) لماكانت الممكنات مجردها وماديهاواقفاً علىحده وماهيته والمحدود لايحيط باللامحدود كان ممكن يعرف الحق على قدر ذاته وكل ما قوت النفس وتنزهت من الحجب كان التجلى عليها منالحق تعالى اكثر والممكن مهما بلغ فهوعين الفناء والربط بالحق تعالى، اذن كل كمال منه واليه تعالى والممكنات محتاجة الىالواجب حدوثاً وبقاءاً. (محمد كاظم)

بشأن ذاته وحمدها كما تقتضيه ذاته لخفاء ذاته عن العقول(١) وان مقابلة النعم بالحمد افضل من مقابلتها بالشكر، فالحمد رأس الشكر كماورد في الحديث وان الشكر هو تعظيم المنعم وتكريمه بما يناسب شأنه بقدر قابلية الشاكر(٢) والحمد قولي وفعلي واحوالي له تعالى، فالعبد يحمده بافعاله وفي جميع الحالات(٣) فالحمد على الذات المقدسة والصفات الذاتية (٤) وعلى اعطائه ونعمائه بخلاف الشكر فانه انما يتوجه في مقابل النعم لافي مقابل الذات والصفات الذاتية، فالشكر في مقابل الصنع الجميل والا فلامورد له والتعبير بالمدح قد يختلف عن الحمد، فالمدح ثناء على شخص من حيث صفاته فتقول مدحت زيداً ومدحت اللؤلؤ ولاتقول حمدت اللؤلؤ وان شئت قلت ان الحمد يرجع في الحقيقة الى حقيقة الذات الممدوحة وان كانت الصفات عين الذات واما المدح فيلحظ به جانب الصفات كثيراً.

---

(١) ليس هذا الخفاء كخفاء الجنة والنار والملائكة والكثير من عالم الغيب الذى هو خفاء على البشر لحكمة الهية في دار الدنيا، بل هو خفاء لقصور الذوات الممكنة عن درك محض الوجود واللاتناهى والوجوب الذاتي وقصور الممكنات ذاتي والذاتي لايعلل.

(٢) الحمد والشكر المراد من النفوس العالية غير المراد من بقية النفوس، لقصور النفوس الضعيفة ذاتاً عن شكر تدركه النفوس القوية الزكية، فكل نفس لو تنزلت عن قدر قابلية ذاتها عن الحمد والشكر كانت ملامة، فرب شاكر وحامد بعشر درجات يمدح على فعله وآخر بتسع وتسعين درجة يكون ملاماً عندالله تعالى لعظم نفسه.

(٣) في الشدة والرخاء وعلى النعمة والبلاء، لان البلايا والمحن سبل الابرار أيضاً لنيل منازل السالكين.

(٤) صفاته تعالى ثبوتية وسلبية ككونه ليس بعاجز ولاجسم وهي ←

الوالد(قده): ثم اشارت عليهاالسلام الى ما انعم منالهام لتلك النفوس العالية والارواح المقدسة من الهامها لمعرفة التوحيد واستعدادها لنيل الكمالات ووصولها لغاية العبادة والامتثال(١).

ترجع الىسلب النقص العائد الىالثبوت والثبوتية الذاتية أما تكفي فيها نفس الذات وهي الثبوتية المحضة كالعلم والقدرة والحياة، واما ثبوتية ذات اضافه كالخالق والعالم والقادر وان كانت الصفات ذات الاضافة ترجع الى الثبوتية المحضة. (محمد كاظم)

(١) هذه المرتبة اعلى مراتب الالهام التي هي نحو من الوحي تخص به بعض النفوس لعلو مقامها وقيل الالهام ان يلقي الله تعالى في النفس امراً يبعثها على الفعل أو الترك وهو نحو من الوحى يخص به الله من يشاء من عباده، ولكن الظاهر شمول الالهام بعمومه لتلك الفطرة التي فطرالله تعالى الخلق عليها فكل نفس طبقاً لفطرة الخلق والايجاد ملهمة تدرك الحسنوالقبح وتميز بينالحق والباطل لولا الحجب وان المتبادر من الالهام لخصوصية الشرع هو الهام الانبياء والاوصياء لدرك الحقائق المتعالية التيتعجز عنها النفوس البشرية بلامرشد، فالاولى القول بان لكل نفس مرتبة من الالهام وبمقدار قصور النفس والحجب يكون البعد عن الفطرة التي هي زواية الوجود المستدعى لمنع فيوضات الحق والالهام، بل الالهام بعموم كلمته يشملكل شيء فهو فطرة التكوين في كل شيء بما يعم ما الهم الله تعالى به حتى الحيوانات. (محمد كاظم)

(والثناء بما قدم) .....

ثم عطفت (ع) على مقام الحمد والشكر بالثناء الجميل والوصف بالخير على ما قدم الله للنفوس من رحمة الوجود و تمام الفيض الالهي، فقد اكمل الله نعمته على الانسان بان جعله ناطقاً شاعراً ذا عقل مستقيم وعلم وارادة وقدرة على ايجاد ما يصلح له بأختيار ويقربه الى دار الاخرة، فمن انعم عليك بهذه النعم وافاض عليك بهذا الوجود لحقيق بالثناء والمدح وقد قدم الله تعالى للانسان بعد نعمة الوجود الطافاً غير متناهية وكمالات متكثرة بحسب استعداد كل نفس، فجعله قادراً على الوصول الى ما لا يصل اليه مخلوق آخر، فقداحاطت بالانسان الالطاف الالهية، فأصبح مستعداً للفضيلة بعد الفضيلة والخلق بعد الخلق اتماماً لرحمته تعالى على عبده واكمالا لايجاده بعد وجوده.

(من عموم نعم ابتدأها) ....

لقد بدأ الله تعالى بالنعم على الانسان قبل خلقه بان جعل له الارض ظرفاً قابلا لايجاده وحياته ورشده، فأبتدأ تعالى بهذه النعم قبل ان يعمل الانسان الاعمال التي يستحق عليها الثواب وارادت عليها السلام من النعم ما يشمل النعم الظاهرية من الحياة والرزق والاولاد والصحة والنعم الباطنية من العلم والقدرة والارادة، فقد انعم الله بها على العبد و ابتدأها قبل استحقاقها كما ورد في الدعاء يا مبدىء بالنعم قبل استحقاقها، فانشاءها من غير مثال واخترعها من غير سابقة، فاسبغ النعم واتمها للعبد

(وسبوغ آلاء اسداها) ....

الالاء السابقة هي النعم التامة الشاملة والاسداء هو العطاء ثم اشارت (ع) الى النعم الشاملة التي اسداها الله على عباده وجعلها متتابعة نعمة بعد اخرى ورحمة بعد رحمة ونوراً بعد نور واشراقاً بعد اشراق على نفس الانسان وروحه سلسلة متواصلة في الفضيلة والخير، فجعله قادراً على ايجاد ما يصلح له ويقربه الى الله، فقد احاطت الالطاف الالهية بالانسان والالاء هي آثار صنع الله ومزايا تكوينه ومظاهر موجوداته في قبال اصل النعم فقد اسداها فاعطاها تمام الكمال فاوصل كلا الى كماله.

(وتمام منن والاها)

المنن جمع المنة والمراد بها النعم التامة غير الناقصة التي من بها تعالى على الانسان متوالية من غير انقطاع من معط كريم من غير منة على عباده فتابع النعمة بعد النعمة.

(جم عن الاحصاء عددها)

ثم اشارت عليها السلام الى ان هذه النعم المتوالية ليست تحت الاحصاء والعدد في الدنيا والاخرة انظر ايها الانسان الى نفسك حيث جئت من تراب ونبات ثم صرت ماء في الاصلاب ثم تطورت في ارحام الامهات خلقاً بعد خلق ونشأة بعد اخرى ربتك يد الرحمة وغذتك مشيئة الله تعالى حتى صرت آخذاً بالكمال الى ان افاض الله عليك الروح المجردة والعقل الشامخ، فأصبحت فوق كثير من المخلوقات عالماً مريداً قادراً مدبراً ثم تمم عليك النعمة بان بعث الله

الانبياء هادين ومبشرين حتى تقف على الصراط المستقيم، فعليك واجب الشكر لما الهمت به نفسك وان في التعبير في قولها (ع)(على ما انعم) من لطف البيان وعلو المعنى حيث انه يجوز ان يراد من كلمة (ما) ما المصدرية فتكون اشارة الى ان الفيض غير منقطع وان الفيض الاقدس غير محدود واما ان كانت (ما) موصولة فيكون قولها (ع) من عموم نعم أبتداها من البيان للموصول وعلى الوجه الاول فتشير (ع) الى ان الحمد والشكر انما هو في مقام وجود النعم والا فاصل الفيض، وانت اذا تأملت كلامها (ع) تراها تشير الى ان الانسان ليس له امد محدود وان الانسان وان كان حادث الوجود الا انه بعقله له غاية لا نهاية لها وامد غير محدود ليست هناك من غاية لاى مخلوق تشوبها وتصل اليها ليكون في الرفيق الاعلى ومجاورة الملائكة المقربين وقد تفاوت ادراك البشر في تشخيص هذه الغاية القصوى وعجزت عن ادراك حقيقتها العقول فلم تتمكن من معرفة هذا الموجود وأبد هذا الانسان الشاعر الدائم بمشيئة الله، فمن الجدير بالانسان ان يفهم واقع نفسه وان يعرف ما يؤول اليه امره من صلاح في الدنيا والاخرة، فسبحان من اكثر النعم حتى خرجت عن حد الاحصاء وان كان قد احصى الله بعلمه كل شيء فهى غير محصاة لخلقه (١).

---

(١) ويمكن ان يكون المراد اضافة على ما ذكر عدم امكان حصر النعم بالنسبة الى الانسان من جهة استمرار الفيض والتسلسل التقاقبى الذي هو ليس من التسلسل الباطل، فلا نفاذ لابحر كلمات الله تعالى. (محمد كاظم).

(ونأى عن الجزاء أمدها)

فبعد عن الجزاء والمكافئة في أمد تلك النعم وغايتها كل مخلوق وعجز عن أمد شكرها (١).

---

(١) لما كانت صفاته تعالى عين ذاته فكما ان ذاته غير متناهية عطائه وفضله ونعمه لاحد لها محدود تقف عليه حتى تقابل بالجزاء لعدم امكان انهاء نعمه لمخلوق حتى يتمكن من الشكر على قدر تلك النعم وان كان كل موجود امكانى محدوداً بحد، فلعل المراد من البعد القصور الذاتي للوجود الامكانى الفقير من ان يتمكن ولو بذل كل ما لديه من الجهد وسعى سعيه بكل قواه ان يقوم على وجه التفصيل لكل نعمة بشكر يناسبها حتى يكافىء ما لله عليه من النعم بالشكر لعدم نهاية للعطاء الالهى في السلسلة الطولية وعدم قدرة العبد لاحصاء النعم في السلسلة العرضية حالا وماضياً فكيف يتمكن من ان يحد العطاء حتى يقابله بالشكر المتناسب معه، نعم يمكن الشكر لنعم الله تعالى على وجه الاجمال والعموم لا باللفظ الفارغ عن واقع الشكر، بل بايقان النفس بواقعها المندك الفانى الذات بعد الايقان بالوجود اللامتناهى ذاتاً وفيضاً فهو شكر ناشىء عن مقام العبودية لكل نفس بقدر ادراكها لمقام الربوبية المتجلي حقيقة المقام العبودى بواقع الذات المحمدية والا فكم من مكثر للشكر يحكى رواسب الرياء والنفاق والجهل لقلقة باللسان لاتتجاوز الحناجر، اللهم نعوذ بك من فخ المرائين و عباد الليل الجاهلين، فانهما جنود الشياطين بأسم رب العالمين، فالانسان لقاصر مهما بلغ ان يكافىء نعم الله تعالى بما يناسبها من شكر، وبالجملة لما كانت غاية الغايات هو الحق تعالى ←

«وتفاوت عن الادراك ابدها»

ان نعم الله تعالى لانهاية لها لعدم تناهى ذاته المقدسة (١)

←

امتنع على الانسان بلوغ غاية الشكر ونهاية الغاية الممكنة مختصة بالكلمات التامات الالهية فبعد عن العقول مكافئة النعم بالجزاء لعدم امكان بلوغ غاياتها، فان فعل الله تعالى وفيضه لايحد حتى تحد النعم لتجازى وانما المحدود اثره والاثر ايضاً خارج عن حد الحصر البشرى. (محمد كاظم)

(١) فكما ان بداية نعمه تعالى وهي نعمه التي ابتدأبها لايمكن مكافأتها بالشكر المناسب لها لعدم احصائها لقدم علتها الازلية، كذلك نهاية نعمه لعدم نهايتها ولقصور الذهن عن درك اللانهايات لايمكن ادراكها حقيقة او المراد من كلمة تفاوت ليس بعد وقصر العقل البشرى عن ادراك بدايات ونهايات النعم، بل اختلف الادراك البشرى، فكل انسان يدرك من النعم المبتدئة ونهاياتها على قدر مايعقل في ميادين الوجود ومعرفة حقائق الاشياء، فاختلفت الادراكات البشرية في معانى البدايات والنهايات وهي الغايات للوجودات في سيرها التكاملي، كل على قدر عرفانه وان عجز الجميع عن درك واقع البداية والنهاية، لانها شأن المبدء تعالى، فهو مبدء الاشياء المحيط بواقعها ومنتهى الاشياء لانه الغاية القصوى في طلبها ولا غاية لفعله الا ذاته المقدسة، فأبد النعم شأن ابدية الحق الخفية على كل مخلوق وانما لنا درك اجمال بعض حقائق الامور وأنى للبشر من خبر بمجارى الخلق والدهور بداية ونهاية. (محمد كاظم)

«وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها»

ثم ندب الله تعالى خلقه ودعاهم لكي يزيد عليهم النعم الى الشكر على اتصال تلك النعم وعدم انقطاعها، فطلب منهم ان يتطلبوا نعمه وان سألوه من كرمه فرغبهم سبحانه في الطلب لازدياد النعم وان السبب لاجزالها هو الشكر منهم له لتحصيل النعمة بالنعمة والالاء بالالاء فكأنها (ع) قد جارت قوله تعالى: ولان شكرتم لازيدنكم، واللام في الازدياد لام التعليل والربط كما وان اللام في للاتصال في الخطبة للربط والغالب في حروف الجر كما حررناه في محله انها وضعت لمعنى واحد لاتعدد فيه والتعدد في متعلقاتها، فاللام أين ماجاءت للاختصاص والصلة وان اختلفت باعتبار المتعلق من التعليل والغاية ونحو ذلك (١).

(١)...، اى طلب تعالى من خلقه من اجل ان يزيد عليهم بالنعم ويجعلها متصلة ان يقوموا بالشكر له تعالى وهو الثناء على فعله الجميل بالنسبة اليهم والرضا بما يختاره لهم من سبل الخير لبلوغ الغاية وان كان قد يطرء تسآئل على الذهن انه كم من شاكر يعيش الفقر والحرمان، فأين ازدياد النعم بأزاء الشكر؟ لكن التأمل قاض على ان الشكر من العارفين لم يختص بشكر نعم المال وانما هو تبادر ابناء الدنيا لما يرون من اختصاص النعيم والتكريم الالهي للمخلق بالمال، فالعارف يعيش الشكر على الرخاء لمافيه من النعيم وعلى الشدة لمافيها من جزاء الصابرين وعلى الجاه لمافيه من الكرامة وقضاء حاجة المحوجين و على العلم لما فيه من الحياة للنفس والاخرين و على سخط الجبابرة والمجرمين منه لما فيه من جوار الانبياء والصالحين وعلى توفيق الله تعالى اياه للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ←

«واستحمد الى الخلائق باجزالها»

ان الله تعالى استحمد الى الخلائق بالاجزال والعطاء الكثير بان طلب منهم الحمد باجزال النعم عليها واكمالها لهم، فأمرهم بان يحمدوا المنعم عليهم وما الطف هذا التعبير منها(ع) حيث ان المعنى ان اجزال النعم وكثرتها على العبد مع عظم الخالق وعلو شأنه سبحانه طلب منهم الحمد فقط، فقد ورد في بعض الروايات أني احمد اليك الله بمعنى حمد الله بالنعم (١).

←

وعلى الثبات على الطريق لما فيه من رضوان رب العالمين وعلى فقد الجاه والمال والبنين لاثبات احقية رسالة سيد المرسلين، فكلما خرج الانسان من صف من صفوف الاختبار والامتحان شمله اللطف الالهي بأدخاله بصف ارقى يستدعي ثباتاً اكثر لتنمو جميع القابليات ويستحق على قدر ذاته من الدرجات رحمة منه تعالى بعباده الصالحين ليسيروا في سبل السالكين لنيل مقامات المقربين فما كان الله تعالى ليهين انبياءه واوصياءه وعباده الصالحين بما نالوا من المحن وانزواء الدنيا عنهم بل انعم ربهم عليهم بسبل النجاة والاختبار ليقطعوا اشواط الكمال نحو الغاية، فكانوا لالطاف الله شاكرين و ما كان عطاء الله للمجرمين تكريماً لهم، بل فتنة لينالوا العذاب بأستحقاق خاسئين، فأذن كلما يزداد الانسان بالشكر للنعم يزداد عليه الله تعالى بالزيادة والفضل ليبلغ الغاية ولابلوغ للغاية الا برقى قمم الكمال بالصبر وتحمل الصعاب وشق طريق الصواب بالعلم. (محمد كاظم)

(١) طلب تعالى من الخلائق الحمد ليكثر النعم وقد عرفنا ان

→

→

الحمد هو الثناء بالجميل بقصد التعظيم، والثناء هو الوصف بالخير فنقول: انه لماكان الثناء هو الوصف بالجميل والوصف اللفظي انما يحكى المعني لابدان يكون الوصف حاكياً عن قرارة النفس بقدر مشاهدتها جلال الله تعالى وجماله، فأذن الحمد والثناء متوقف على معرفة الجميل باسمائه وصفاته ومعرفة الواجب وآثاره من الممكنات طبقاًللادلة اللمية والانية أولعلوالنفس وصفائها لمشاهدة الحقائق، فيكون طلب الحمد من الله هوطلب العرفان، لان بالعرفان يكون الحمد والعرفان الحقيقي يتوقف على تطهير النفس بالتخلية والتحلية لترى كل نفس بقدر وجودها انوار الملكوت ليصبح سلوك سبل العرفان حمداً لله وثناءاً له ومن عاش هذا الواقع كان محلا لفيض الله تعالى ونعمه المتواصلة وقد تقدم ان ليس المراد من النعم هي النعم المادية الدنيوية فقط، فمن اخذ بالحمد العلمى والعملى حقيقة لا اللفظى الذي قد يكثر من كثير من الجهال والمرائين اخذ به تعالى الى بلوغ الغايات ولذا نرى الصالحين كلما خرجوا من عظيم محنة واختبار ساروا بلطف الهى الى اشواط هي اشد صعوبة من تلك، ومن المعلوم ان الحامدين الواقعيين الذين عاشوا حياتهم الحمد العلمى والعملى يقل منهم الحمد اللفظى بحسب الغالب وانما يكثرون الحمد طلباً لمزيد نعم الكمال في الخلوات وعند ما تنام العيون واذا علمنا ان الحمد الحقيقى هو الطلب من الخلائق للسير نحو مشاهدة انوار الحق ليسيروا العلم والعمل الصالح نحو الكمال وعرفنا ان الحق غاية الغايات لايحتاج الى حمد حامد فيكون اذن طلب الحمد لطفاً من الله

←

«وثنى بالندب الى امثالها» ....

بان ندب العباد وأمرهم رحمة منه تعالى الى تحصيل امثال النعم من النعم الظاهرة والباطنة، الاخروية والدنيوية، فأمر العباد بالاحسان بعضهم الى بعض والمعروف فيما بينهم والعمل بكل خير لمزيد الثواب ولحصول التضامن وحفظ الاقتصاد وتتميم مكارم الاخلاق، لان الحسنة تجلب السنة والخير يسرع الى الخير والنظير يدعو الى النظير

←

تعالى بالعباد ليأخذ بهم الى العرفان وان خلط الكثير بين الحمد اللفظى الفارغ من البناء الانساني والحمد المراد فراحوا يكثرون الالفاظ اما جهلا او مكراً وخديعة يتفننون بالحركات والسكنات والنبرات كأنهم ملائكة لاندكاك عالم الناسوت عندهم بأزاء عالم الملكوت والحال لاتراهم في ميادين الامر بالمعروف ولا النهى عن منكر ولا في ساحة علم ولا عمل، يصبحون ويمسون وهم لايهتمون بالاسلام والمسلمين وانما يتواجدون في المجالس العامة يظهرون زهدهم عن الدنيا واهلها ولكن ليس المراد ان كل من اكثر الحمد والثناء امام الناس هو من اهل المصايد والخدع ولكن تمييز الواحد من العشر من اشكل المشاكل وان كان معرفة موازين الرشاد لتغني الانسان لتمييز رجال الحق من الباطل، اعاذنا الله واياكم من الجهال والشياطين المتنسكين.

فالحامدون هم مظاهر الفضيلة علما وعملا، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بعد العلم بمصاديق الامور. (محمد كاظم)

«واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له»

الشهادة بمعنى الحضور والمعاينة وحقيقة العلم هو الحضور وهو على نحوين حضور صورة الشيء لدى العالم وتختلف مراتب الحضور من اليقين وعين اليقين و حق اليقين، فان شهادةالله تعالى لنفسه كما في قوله تعالى: **شهد الله انـه لا اله الا هـو واولوا العلم قائماً بالقسط** هي الشهادة الحقيقية والحضور العينى، فان حضور الذات لنفسها والصفات لها التي هي عين الذات من اشد مراتب الحضور واكمل مراتب العينية واتم مراتب الشهود، ثم يتبع ذلك الحضور والشهود، شهوده للمخلوقات وهوحضور المعلول لدى علته التامة واما حضوره لدى المعلولات فانه وان كانت العلة حاضرة ايضاً للمعلول ولكن على خلاف حضور المعلول لعلته التي هي على وجه الابتداء والدوام والحدوث والبقاء، فشهادة الله لنفسه ليست عين شهادته لخلقه وشهادة خلقه لـه ليست من قبيل شهادتـه لهم، فاوقف تعالى كل مخلوق على حده وكل معلول على قدر استعداده وقد عبر تعالى عن نفسه بالشهيد، قال تعالى: وكفى بربك عليهم شهيداً، وقال ايضاً، وقرآن الفجر كان مشهوداً، وليست شهادة الخلق لله شهادة عينية وحضور، وقد اطلق الشهيد على المقتول في المعركة بين يدى الامام المعصوم (ع) لان الله والملائكة والانبياء يشهدون له بالمغفرة والجنة وقال تعالى في حق هذه الامة المرحومه: وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.

فقد دلت هذه الاية الكريمة على احترام مقام هذه الامة بان

جعلتها امة وسطاً بين المادة والروح، فلم يكونوا كبني اسرائيل واليهود فانهم ركزوا دينهم وجميع طاقاتهم على استغلال المادة، فاليهودي لايعرف في الدنيا الا سبل تصيد المادة وجلبها بأي وسيلة كانت، مشروعة أو غير مشروعة ولو بالحيل وسحق الكرامات الانسانية، كما وان الاسلام ليس كالنصرانية حيث اتخذوا الرهبنة والعزلة وتوجهوا بزعمهم نحو الحياة الروحية.

فجاء الاسلام فحث على الاخرة والدنيا معاً لينال الانسان رأفة الدنيا وغفران الاخرة، فحث الناس على التكسب والتجارة شباباً وكهولا وكل من يتمكن على التكسب وترقى الاقتصاد وقد وردعن الصادق (ع) انه قال لشاب: (امض لسعدك) اي السوق حتى بلغ التعبير عن الكاسب بانه حبيب الله وعبر عنه بالجهاد الاكبر حيث فيه انقاذ نفسه واهل بيته واطفاله من الحاجة الى الناس، فان المال هو الدعامة والركيزة في كثير من الامور الدينية، الا فانظر الى ما فرضه الله من الزكاة، فكم فيه من تضامن اجتماعي وحفظ النفوس من الفاقة والاعواز وانضمام الناس بعضهم الى بعض واجتماع الغني والفقير روحياً وعاطفياً، فأن اخراج الزكاة اذا كان بنحو الاخلاص والتقرب الى الله كان فيه انخفاظ روح الغني من التكبر الى التواضع ومن التجبر الى المساواة ومن البعد الى الشفقة والرحمة وهكذا اداء سائر الحقوق كالخمس لحفظ المحتاجين وطلاب العلم عن العوز والاضمحلال وهذا معنى قوله تعالى: وجعلناكم امة وسطاً ليس فيكم غلو الافراط أو انحطاط التفريط في عالم الروح وعالم الاقتصاد والمعاش وفي مقام الاخلاص والعمل واذا كان الانسان وسطاً فهو يشهد على حد الافراط والتفريط وهذه الامة اذا كانت شهيدة على

الامم فالنبي (ص) شهيد عليها حتى لايتخلفوا عن قانونه ولايتباعدوا عن تشريعه وقد صرحت عليها السلام بالشهادة لله وحده اذ هو سبحانه واحد في الذات والصفات، فصفاته عين ذاته وان تعددت مفهوماً وهو تعالى واحد في مقام الفعل، اذ الخالق والرازق والمبدىء والمعيد والمحيي والمميت ليس الا هو تعالى ثم ثنت بقولها عليها السلام لا شريك له، فنفت عنه المثل والضد، اذ وجود الحق تعالى هو الوجود الذي لاحد له ولاتعدد فيه وليس فوقه وجود ولايساويه وجود، فوجوده آب عن الضد والنقيض وحقيقته آبية عن الشبيه والمثل، فالمخلوقات كلها مثال الله وليست بمثل له (١).

---

(١) على اضواء كلام الوالد (قده) اقول: المراد من مشاهدة الحق مشاهدة البصيرة للعالم الربوبي بمشاهدة الوجود المحض الذي هو عين الوجوب الذاتي والواقعية الحقة في قبال الشكاكين لان غيره لايكون هو الواقع في قبال السوفسطائيين لكون ذوات الممكنات عين الفناء والهلاك لولا الوجوب الغيرى وهذا الشهود والحضور هو شهود الصديقين الذين رأوا الوجوب قبل الامكان وعالم الفعلية قبل عالم السؤال والفقر ثم شاهدوا الله تعالى باسمائه وصفاته الحسنى فراحوا ينظرون الى جمال وجلال ربهم قبل كل شيء لانه نور الانوار ومشيىء الاشياء وهو مع كل شيء لانه قيومها ومالكها الحقيقي بنحو الاشراق لا بالاعتبار المقولي وهو كذلك غاية كل شيء، فكل شيء هالك الذات الا وجهه الذي استنارت به الاشياء ووجهه لايفنى، فلافناء بعد الخلق والايجاد ولاهلاك باذن الله تعالى. فالعارف يعيش شهود الوجوب الذاتي وكذا الاسماء والصفات ببصيرته التى هي فطرة الكمال ←

الوالد (قده). . . . .

→

والعقل وينتقل بلطف الله ونعمه من قرب الى قرب ومعلوم ان الشهادة لاتحصل حقيقة الا للاحرار الذين قطعوا كل قيود الشرك، فبصروا بعين الحرية واقع محض الوجود وآثاره، لانه لاشهود الا بعد نفي الالهة لتكون المجالي والمظاهر سبل الكمال الى الغاية والا فقد يعبد الانسان الجمال الزائل أو السراب فيحجب عن مشاهدة واقع النور وان كان كل شهود وحضور على قدر سعة النفس وجوداً ولاتوحيد حقيقي الا بالعلم الذي هو فطرة التكوين التي هي عين الانسان الكامل جمعاً لشتات عالم الامكان ولذا كانت نفوس المقربين تعلم لا بالاكتساب وليس العلم الذي به الخشية من الله تعالى وبلوغ غاية الكمال هو انكشاف الحقائق بل هو انطباع النفس حقيقة على طبق الواقع المنكشف وليس المراد به الانقياد الجوارحي فانه قد لايحصل ولكنه انما يحكى التخلف عن الحكمة العملية بعد ايقان النفس وذلها لمرحلة الحكمة النظرية، نعم حقيقة العلم لاتخالفها الجوارح والا لوكانت مشاهدة الواقع وعرفانه معتبرة في باب العقائد لكان من أعظم المشاهدين لنور الولاية وبحر الامامة من عرف ان قطب رحى الاسلام علماً وعملا تتوقف على امامة علي (ع) كماورد في خطبته الشقشقية والحال انه لم يتوهم احد ان هذه الشهادة بالعلم للاول تجعله من شيعة على (ع) ومن البديهي انه ليس المراد من حضور صورة الشيء حضور صورة الحق تعالى لدى ممكن مهما كان من القرب المعنوي، لان الحق لاماهية له فهو ممتنع الحصول في المدارك الادراكية،

←

←
لم يتصور بصورة ولم يتكيف بكيفية فلايحاط به خارجاً ولاذهناً بل انما هو حاضر لدى القلوب ببصيرة الايمان، فهو تعالى شهد شهادة تقويم حدوثاً وبقاءاً للكائنات، والمؤمن يشهد بنور البصيرة سبق الوجوب على الامكان وتبعية المعلول للعلة والمصنوع للصانع والفيء للشيء والحادث للقديم وهكذا آلاف المشاهدات الاخر وان كان يمتنع حضور العلة لدى المعلول بلحاظ آخر لامتناع احاطة المحدود باللامحدود والمعلول بالعلة.

واما الشهيد فاحدى المحتملات لتسميته بهذا الاسم لانه احدى الشهادات التي تخصم بها الحجج يوم القيامة فمثلا لو ادعى شخص عدم امكان معرفة الحق والثبات عليه لعدم ظروف ملائمة للعلم والعمل الصالح حينما كان يعيش في دار الدنيا يؤتى بهذا الشهيد الذي عاصر زمانه لتخصم به حجة المعتذرين.

وان الموحدين جميعاً وان اشتركوا في اعتقاد لا اله الا الله وحده لاشريك له ولكن أين شهود الذين بلغوا في العبودية اعلاها من عبودية الغارقين في وديان الظلمات والالفاظ، فالعبد بتمام معنى الكلمة هو من: دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى، وقد ورد في تفسير الوالد (قده) ان الدنو المعنوي بلغ بسيد الكائنات الى مرتبة لم يبق بينه وبين الحق تعالى الا محض العبودية والربوبية ثم اندكت مرتبة كونه عبداً في ازاء الحق تعالى فاصبح فناءاً انتهى عنده عالم الاثنينية فصار محض المرآتية لعالم الربوبية لاعبداً وذاتاً بازاء نور الحق تعالى. (محمد كاظم)

(كلمة جعل الاخلاص تاويلها)

تقصد(ع) بذلك كلمة الشهادة وهي لااله الا الله وحده لاشريك له، وهذه الكلمة هي اصل الدين ويبتنى عليها ما جاء في الشرايع من قانون العدل فهي أصل الكتاب التدويني وحقيقتها اصل الكتاب التكويني (١) فهو تعالى خالق كل شيء وموجده، والشهادة بانه لااله الاهو لاغيره منبع التكاليف وان لفظ (الكلمة) قد اطلقت في القرآن الكريم على الوجودات التكوينية والتشريع الالهى، فانظر الى قوله تعالى لعيسى بن مريم انه كلمة الله التي القاها الى مريم وكلمة ابراهيم (ع) في ذريته كلمة باقية فى عقبه وخلافة الله في خلقه وهي الامامة وقال تعالى كلمة التقوى وهي لااله الا الله وان محمداً(ص) رسول الله وكلمة ربك العليا وهي ماشرعه الله من قانون الاسلام وقوله تعالى، فمن حق عليه كلمة العذاب وماورد في دعاء كميل لامام الموحدين(ع): اللهم اني اسئلك بكلماتك التي غلبت بها كل شيء، فالمراد منها الفيض الاقدس والمراد من كلمة جعل الاخلاص تأويلها(٢) ان الشهادة لله تكون خالصة من كل شائبة

(١) الكتاب التدويني هو القرآن الكريم المطابق للكتاب التكويني وهو الوجود الامكاني بما فيه من عالم التجرد والمثال والمادة بل الكتاب التدويني هو المرآة الحاكية عن الوجود بمراتبه من الوجوب والامكان، فالقرآن الكريم قد حكى تمام الحقيقة بمراتبها النورية ليأخذ بالانسان الى غاية الكمال الممكن.

(٢) الكلمة هي ما اعربت عما في الضمير سواء كانت بأعتبار معتبر كالكلمات اللفظية الحاكية عن الضمير البشري ام كانت دلالتها ذاتية كالوجودات الامكانية التي هي مرآئى عالم الاسماء والصفات ←

لكي تتمحض القربة لله ويخلص العمل عن الرياء والاغراض الفاسدة ومقاصد السمعة والشهرة بين الناس وحب الرياسة واستملاك الناس فيخلص له تعالى بان لايرى خالقاً ولاألهاً ولاموجوداً ولامدبراً عليماً حكيماً الاالله وحده فمن ايقن بذلك كله إخلص لله في العبادة، فحقيقة الشهادة بالله ان تكون للاخلاص أو تؤول بالاخلاص، فلايراد نطقها بل ان حقيقتها هي الاخذة باعماق القلب وباليقين من العقل ولابد على هذا الوجه من تأويل كلمة الشهادة الى الاخلاص وملازمه، فليس المراد من كلمة الشهادة ان تكون لفظة يستعملها اللسان وتبرزها جارحة الفم بل المراد حقيقتها الواقعية وباطنها العميق وهو الاخلاص الحقيقي فاذا صدرت هذه الكلمة من قلب المؤمن بواقع الخلوص فقد كان الشخص حقيقاً بصفة الايمان.

← وكلما كان الوجود الامكاني أوسع دائرة كانت الحكاية أشد كالكلمات التامات الالهية محمد وآله المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فكلمة **لا اله الا الله وحده لاشريك لـه**، تحكى كلمة وجودية هي نفس المؤمن التي اصبحت لاترى مؤثراً ولامعبوداً ولاغاية الا الله، فهي كلمة تعود في واقعها الى صدق النية وطهارة النفس وسلامة الفطرة والعقل والحال انه لايكون هذا الواقع النفسي آلا بالخلوص وعدم شوب النفس بأي من رواسب الشرك بمعناه الاعم الشامل لمن عبد المال أو الشهوات أو الجاه أو ساقه ضعف النفس الى النفاق أو الرياء او مداهنة الاقوياء والطواغيت.

فكل نفس لم تتخلص من شوائب الشرك فهي انما تحمل قدراً من واقع هذه الكلمة، فالخلوص كشف ومشاهدة لحقيقة الامر فهذه الكلمة توحيد ونفي شرك، لان التأويل من الاول والمراد ان النفس ←

(وضمن القلوب موصولها)

بان فطر القلوب على فطرة التوحيد، فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، وقد ورد عن النبي(ص) كل مولود يولد على الفطرة ثم ابواه يهودانه أوينصرانه أويمجسانه، فجعل الله القلوب والعقول بالفطرة مستجيبة لدعوة التوحيد ومعرفة الايمان في الافاق والانفس، فكلمة الاخلاص قدضمنها القلب السليم والغالب في اصطلاح أهل البيت والفقهاء المتشرعين، التعبير عن العقل بالقلب كقوله تعالى: ان ذلك ذكرى لمن كان له قلب، بمعنى العقل ولايراد به اللحم الصنوبرى الذي تضمنه الصدر بل المراد منه الروح والعقل والانسان المدرك ولربما كان بأعتبار اطلاق القلب على العقل بمعنى ان كلا منهما له النفوذ والسلطة فالعقل له النفوذ على التدبير والتفكير والقلب له نفوذ على الجسم وادارته وجريان دمه واعصابه

←

اذا صارت خالصة من كل رواسب الشرك آلت ورجعت الى مبدأ المبادى وشاهدت غاية الغايات في سيرها نحو الكمال، فبالخلوص عود الى اصل الحقيقة بواقع النفس لابحسب التعبير واللفظ وان كان الخلوص متوقفاً على صحة خطى العلم والعمل، فبالخلوص تشاهد النفس واقع الامر بلاحجب، وعليه فالخلوص هو التفسير الحقيقي للالوهية والتوحيد لان الخلوص فطرة التكوين والمولودون على الفطرة عقلا وعملا هم الكلمات التامات وبالفطرة كشف الحقائق ومن اعرض عمن كانوا مرائى الفطرة عاش الظلمات.

ففاطمة(ع) تشهد هذه الكلمة لانها عين الخلوص والفطرة وان هذه الكلمة سهلة باللسان ثقيلة في واقع الميزان. (محمد كاظم)

قد انار الله وجعل النفوس بنور العلم والتدبر مستضيئة قادرة على الوصول ايضاً الى معنى كلمة التوحيد، فكما ان الكواكب مضيئة فقد انار الله واضاء في التفكير معقول كلمة التوحيد قال تعالى: ويجعل لكم نوراً تمشون به، وانزلنا لكم نوراً مبيناً وهو القرآن، فجعل لكم ذلك النور بحركة النفس بالقوة الى الوصول الى معاني التوحيد، فهي معرفة للتوحيد بعد الفطرة بالدليل والبرهان وهذه الحركة وهي النور تسمى في الاصطلاح فكراً وفي المحسوسات تخيلا بما هو اعم من الحواس الظاهرة والباطنة، فجعل تعالى في دماغ الانسان بطوناً من الحس المشترك وهي القوة التى يتأدى بها صور المحسوسات من طريق الحواس الظاهرة وقوة الواهمة وهي المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات غير المتأدية من طريق الحواس كأدراك العداوة والصداقة حتى في الشاة والذئب وجعل في الدماغ قوة اخرى وهي المدركة للكليات وهي دائمة الحركة لا تهدأ وقوة الحافظة التي بها تحفظ الاشياء والاولى ان يقال باعتبار الحس المشترك اولا ثم الخيال ثم الواهمة ثم الحافظة ثم العاقلة والعقل جوهر الانسانية ويطلق في اصطلاح الشارع كما عن علي عليه السلام بان العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فقيل له (ع) وما عقل معاوية فقال : انما هو نكر وشيطنة وليس بعقل(١)

---

(١) لان العقل بمعنى ربط الشيء وجعله في موضعه المناسب له، ومن لم يجعل الاشياء في مواضعها الموصلة الى غايتها الحقيقية التي بها نيل الكمال فليس بعاقل، فاذا عقل الانسان حقيقة الوجود ولم يحجب عن دركها بالظلمات، فسار من اجل الوصول الى معرفة ←

ويطلق العقل على الغريزة في الانسان أيضاً وهي قوة العلوم النظرية وقوة تصور العواقب لابحكم الشهوة، فقوة الغريزة بالطبع وهذه بالاكتساب، فالعقل مطبوع ومسموع وقوة ادراك التصورات والتصديقات النفسية الحاصلة من الفطرة، فتعقل التوحيد وكلمة الشهادة ينير القلب ويجليه.

←

الغاية متكاملا ينتقل من منزل الى منزل بهدى العقل والانبياء كان عاقلا، ومن ضيع واقع الحياة لخيال عالم الغرور فحقيق به ان لايكون عاقلا، فأذن على ضوء الحكمة والعقل لايسمى اشباه معاوية الذين نسوا انفسهم فاضاعوا القيم بأبخس ثمن وهي ليالي الظلمات الزائلة بالعقلاء الا بمنظار ابناء الدنيا، واعلم ان مرتبة التفكير هي مرتبة التوحيد النظري بعد مرتبة التوحيد الفطرى.

ففطرة التوحيد ونفي الشريك بمشاهدة الوجود والوجوب وامتناع تعدد محض الوجود واللانهاية قبل الاثر والامكان الذي بذاته لااقتضاء التحقق وفناء الذات اسبق انارة اورعت من قبل الحق تعالى لدى النفس من انارة الحقائق بالبرهان المحتاج الى واسطة في مشاهدة الواقع غير نفس واقع التحقق الاصيل وان كون كل ذي ماهية ووجود امكاني محتاجاً الى علة فاعلية ترجحاً والى علة غائية ترجيحاً فان هذا الترجيح والترجح بعد بطلان الدور والتسلسل لابد وان يرجع الى مبدأ اما ذى شعور وحكمة او الى مبدء هو محض القابلية والسئوال كالهيولى أو الى مبدأ فعلي على الفرض والتقدير خال من العقل والحكمة قد حصل منه النظم والحكمة المحيرة للعقول من باب الصدفة،

←

«الممتنع عن الابصار رؤيته»

الممتنع على اقسام: الممتنع ذاتاًكاًجتماع الضدين والنقيضين وشريك البارى ونحو ذلك، وامتناع للشيء لا لنفس ذاته كأمتناع الطيران للانسان وقصدت عليها السلام من امتناع رؤية الله تعالى

➔

فان العقل الفطرى والنظرى السليمين يشاهدان بكل اطمئنان رجوع الحقائق الى مبدأ ذى عقل وحكمة وان كانت فطرة العقل قدشهدت في المرتبة السابقة سبق الوجوب على الامكان.

وان النفوس القوية المتحررة من الحجب لتشاهد بنور الفطرة والعقل حقيقة الامر مشاهدة يقينية لاتقاس بها مشاهدات اليقين الحاصل بتوسط الحواس الظاهرة كالسمع والبصر لان المشاهدات الحسية قد يقع فيها الخطأ كما اثبت العلم خطأ الحواس في كثير من الموارد، والحال ان الفطرة بل والعقل البرهاني ايضاً عين مشاهدة الواقع الذي لم يتردد فيه غير السوفسطائيين لعقل عليل أو بصيرة مدخولة.

قال الامام الحسين (ع) الهى ترددي في الاثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني اليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك، عميت عين لاتراك. (محمد كاظم)

بالابصار هو الامتناع الذاتي سواء اريد من الابصار خروج الشعاع أو نفس الانطباع او خروج الشعاع اولا ثم الانطباع ثانياً، فانه تعالى لايدرك بالحواس الظاهرة اذ المعلول بماهو معلول لايمكن ان يحيط بالعلة بما هي علة فلا تدركه الابصار بمشاهدة العيان وانما تدركه القلوب بحقائق الايمان كما ورد ذلك عن اميرالمؤمنين عليه السلام على ان ادراك البصر سبيله الهواء وسببه الضياء فاذا كان السبيل محققاً بينه وبين المرء والسبب حاصلا ادرك البصر ما يلاقيه من الامور والامر الذي ليس بهذا السبيل لايشاهده البصر.

وبعبارة اخرى ان العلم والادراك وجميع شؤون النفس لايمكن ان تحيط بالواجب تعالى كما قال اميرالمؤمنين (ع) كلماميزتموه بأوهامكم بأدق معاينة فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم، فكيف بحاسة الباصرة التي هي اقل ادراكاً من سائر القوى (١).

---

(١) الضدان هما الامران الوجوديان غير المتضايفين الذان لايجتمعان على موضوع واحد كالسواد والبياض والنقيضان هما الامران الذان لايجتمعان ولايرتفعان معاً كتقابل السلب والايجاب كزيد موجود وليس بموجود مع ملاحظة شرائط التناقض المعروفة في المنطق وامتناع شريك الباري مما امتنع بحسب ذاته فان وجوب الوجود الذاتي الذي هو محض التحقق ولانهايته لايعقل تعدده فان مثل امتناع شريك الباري وكون الممكن محتاجاً الى علة لانه بحسب ذاته لا اقتضاء، قد يتوهم البعض انها ليست من البديهيات ولكن هذا التوهم انما نشأ من عدم تصور اطراف هذه القضايا فان من عرف مفهوم اللااقتضاء اللازم للماهية ومفهوم العلية حكم بلاتردد ←

بأحتياج الممكن الى علة وكذا من عرف مفهوم الوجوب الذاتى حكم ايضاً بلاتردد بامتناع تعدده ولكن خفاء الاطراف للقضية مفهوماً قد يوهم البعض انها ليست من القضايا البديهة وجوباً او امتناعاً، فالتردد في مثل هذه القضايا ليس في حكمها و انما هو من جهة عدم بداهة مفهوم اطرافها لدى بعضهم.

واما مثل الطيران للانسان فأنه من الممكنات المحتاج ثبوتها الى علة لعدم كون ذات الانسانية ممتنعة الطيران ومن تردد في امكان طيران الانسان فعليه ان يرجع الى ما قرر في الحكمة من عموم القدرة الالهية على الممكنات ولما ورد من الاحاديث في ثبوت الطيران بالنسبة الى جعفر بن ابيطالب واما الممتنع الذاتى فلا يمكن تحقيقه أبداً لاباء ذاته عن التحقق وقصورها لالقصور في فاعلية الفاعل تعالى، ولذا كان شريك البارى ممتنع التحقق.

وقد قالت الحكماء ان وجوب الوجود يقتضى تجرده فيدل على نفي الرؤية بالعين لانه تعالى ليس بجسم ولالون له ولا جهة، والالكان في مكان كما وان الوجوب يقتضى نفى الحيز واشغال المكان عنه لان كل مرئى فهو في جهة يشار اليه بانه هنا أو هناك ويكون مقابلا أو في حكم المقابل ككون المرئى في المرآة، وسؤال موسى عليه السلام كان لقومه وان سئل ظاهراً الرؤية لنفسه فقال: ربي ارني انظر اليك ولهذا الظاهر قال البعض لوكانت الرؤية من الممتنعات ذاتاً لماصح السؤال من موسى(ع) والجواب ان سؤال موسى(ع) كان لاجل ان يثبت لقوله امتناع الرؤية لانهم قالوا له: لن نؤمن

«ومن ألالسن صفته»

ومن الممتنع ايضاً ان يوصف الحق تعالى باللسان (١).

←

لك حتى نرى الله جهرة ولذا قال موسى(ع) أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا، والنظر فيقوله تعالى: الى ربها ناظرة لايدل على الرؤية بل على المعرفة التامة، فانك تقول نظرت في امور كثيرة وانت قد حققت وتأملت فيها مضافاً الى كون النظر قابلا للتأويل اذا خالف العقل والبرهان ويضاف على كل ذلك الادلة النقلية الدالة على عدم الرؤية، كقوله تعالى: لاتدركه الابصار، وبهذه الفقرة ابتدأت عليها السلام بذكر الصفات السلبية. (محمد كاظم)

(١)- بعد كون العقول عاجزة عن تصوره كان من الاولى عجز الالسن عن صفته، لانالالسن تحكيمشاهدات العقول، فكيفالوصف والصفات عين الذات وهي محض اللاتناهى وما يحصل في الذهن تبعاً للذهن لابد ان يكون محدوداً والذهن انما يحكى من الخارج جواهره واعراضه، لانالوجود الخارجى لايحضر فيالذهنوالحاضر هيالماهيات بوجودها الذهنى والحق تعالى لاماهية له ومعلوم ايضاً ان الوجوب الذاتى لايكون حاضراً لدى الامكان بل الامر بالعكس.

نعم فطرة العقل قاضية بانه لاممكن بلاواجب ولا حسن عرضى بلاذاتيوانالحسنذاتأله الاسماءالحسنىلبداهةاس المطالبلدىالعقل، فكل الصفات الواردة في الشريعة تنفى التوصيف بنحو الحدود والوصف الزائد على الذات وتشير الى ان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فهو لانهاية تحقق الكمال وليس هذا التوصيف بوهم متوهم والوهمانما هو تنزيل ما ادركه العقل

←

«ومن الاوهام كيفيته»

وكذا من الممتنع تكيفه لقوة الواهمة المتصورة للجزئيات(١).

«ابتدع الاشياء لامن شيء كان قبلها وانشاها بلااحتذاء امثلة امتثلها»

انشأ الله تعالى الاشياء من غير مادة سابقة ولا اتباع لصورة قبلها موجودة، قال تعالى (لقد خلقنا الانسان من قبل ولم يك شيئا) فانشأ الاشياء من غير اقتداء بامر كان قبلها، فلم يكن الله تعالى قداحتذى مثالا واقتدى به واتبعه في فعله لتمامية قدرته (٢).

←

بالبداهة والبرهان الى مستوى الحدود المقولية والاوهام الذهنية، إذن لاتنافى بين ما ورد من الاوصاف العديدة الواردة في الشرع وبين نفى الصفات عنه كقوله (ع): كمال الاخلاص نفى الصفات عنه وان من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله وانه ليس له صفة تنال ولا حد يضرب له الامثال وعليه فلا يلزم تعطيل العقول عن درك قدس كبريائه تعالى كما وانه لايلزم أن تكون مدركة لكنه جماله، تعالى ربنا عن اوهام العقول.

فهو اول البديهيات لدى العقل في حين كونه من اوائل الممتنعات. (محمد كاظم)

(١) ـ التكيف شأن الممكنات وهو تعالى وتقدس عن صفات الامكان فهو مكيف الكيف وثانياً الانسان من الممكنات وما يأتى في ذهنه ممكن آخر والامكان غير الوجوب ومحال انقلاب الوجوب الذاتى الى الامكان. (محمد كاظم)

(٢) ـ بعد مابينت (ع) توحيد الذات والصفات من كون التعدد

←

اوجدالاشياء وحده بقدرته المطلقة ومشيئته على حسب قابلياتها واستعدادها، قال تعالى: انما امره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (١).

→
بحسب المفهوم لا المصداق جاءت لتشير الى التوحيد في مرتبة الفعل، وان الابداع هو الخلق والاحداث والاحتذاء هو الاقتداء والمثال هي الصورة. (محمد كاظم)

(١) ـ لعموم قدرته على الممكنات وتمامية العلية والجود الذى هوعين الذات وكون بعض الممكنات متوقفة على اقدارها الخاصة في عالم المادة لقصور ذواتها عن التحقق قبل ذلك لا لقصور في فاعلية الفاعل لاينافى كون الفيض قديماً بحسب الزمان لان الحق عين الكرم وهذا لايستوجب الجبر على الله تعالى، وهو النور الظاهر بذاته المظهر لغيره، فذاته عين العلم والقدرة والارادة فهى عين الاختيار وليس كما توهم بعضهم ان هذا يستلزم كونه كالشمس وشعاعها وتقريباً للذهن اقول: ان سيد الكائنات معصوم عن الذنب ببداهة العقل كما تقدم بيانه فى مقدمة الخطبة واذا ورد من الشرع شيء بذلك فهو ارشاد لما ارشد به العقل، ومن الواضح ان العصمة عن الذنب ليس معناها انه (ص) مسلوب الاختيار وليس بقادر على فعل مايستوجب الذنب بل العظمة والطهر لايجتمعان مع الظلمة والدنس، فهو (ص) فطرة التكوين ومرآة الاسماء والصفات التى بها تجسدت القيم واصبحت مقياساً واسوة للاخرين، ومن الواضح
←

«وذرأها بمشيته من غير حاجة منه الى تكوينها ولا فائدة له فى تصويرها الا تثبيتاً لحكمته وتنبيهاً على طاعته واظهاراً لقدرته وتعبداً لبريته واعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب على طاعته و وضع العقاب على معصيته، ذيادةلعباده من نقمته وحياشةلهمالى جنته»

اوحت الزهراء عليها السلام ان التكوين والايجاد فرع لقدرته الذاتية، فكون الاشياء بقدرته على حسب مالها من استعداد ثم ذرأها بان خلقها بمشيئته قال تعالى: (هو الذى ذرأكم) و قال: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) فالمشيئة بعد الذات والمشيئة تنشأ عن الارادة وقد تطلق على الارادة وقد ورد في الحديث: خلق الله الاشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها، فالاشياء مخلوقة بالارادة والارادة عين ذاته تعالى، وقد جاء في التوحيد ان لله ارادتين ومشيئتين، ارادة حتم وارادة عزم، وكذلك بالمشيئة ينهى وهو

→

انه لايجوز لاحد ان يقول انه(ص) ليس بمختار ما لم يرتكب الذنب مرة وليس بكريم مالم يبخل كذلك لان فعل الخير والصلاح والكمال منه (ص) دائماً يدل على انه مجبور على فعل الخير، فكما ان مثل هذا الكلام ليس بمرضى لاحد كذلك قول القائل لوكان فيض الله تعالى قديماً لوجب ان يكون تعالى مجبوراً على الفعل، فأذن يجب ان يمسك عن الفيض والكرم ثم يبدأ بالفيض والاشراق حتى يثبت لي انه تعالى مختار في فعله.

نعم لا قديم بالذات الا الله تعالى فهوالواجب بالذات والممكنات واجبات بالغير. (محمد كاظم)

يشاء ويأمر وهو لايشاء، نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ان يأكلا ولولم يشاء ان يأكلا لما غلبت ارادتهما مشيئة الله تعالى وأمر ابراهيم عليه السلام ان يذبح اسماعيل وقيل اسحق، ولم يشاء ان يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة ابراهيم مشيته تعالى، فقد أمر تعالى ولم يشاء وشاء ولم يأمر فقد أمر ابليس ان يسجد لادم وشاء ان لا يسجد ولو شاء لسجد (١)

فقد اقتضت حكمة الله تعالى ان يضع كل شيء في موضعه من غير حاجة الى تكوينها وايجادها ولا فائدة له في تصويرها على اختلاف الايجاد والاشكال والصور، فلاحظت (ع) في التكوين اصل الايجاد وفي التصوير كيفيات الايجاد وما ذاك الا بياناً واظهاراً

---

(١) المراد بحسب الظاهر المشيئة التشريعية لا التكوينية وهي مشيئة بيان الحقائق طبقاً للمصالح والمفاسد وهذا ما احبه الله تعالى للمختار ان يسير عليه من اجل ان يبلغ الكمال، فاراد منهما تشريعاً إن لا يأكلا بعد ان اعطاهما صفة العلم والقدرة والارادة التي هي واقع الاختيار، فقدما على الاكل باختيارهما بعد المشيئة البيانية بعدم كون هذا الاكل صالحاً ولولا مالهما من القدرة التي اعطاهما الله اياها بمشيئته وفيضه التكويني بان صيرهما قادرين على مخالفة التشريع لما تمكنا من المخالفة، فأذن لو لم يشاء لهما لما اكلا من الشجرة، فليس هنا شائبة جبر والا لتحقق قول المجبرة:

(القاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك اياك ان تبتل بالماء)

(محمد كاظم)

لحكمته التي هي وضع كل شيء فى موضعه، وان شئت قلت وضع الاشياء طبقاً للعلم الالهى الذى لاتبديل ولا اختلاف فيه، قال تعالى: (ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً) لان العلم يدعو الى العمل ومن يؤتى العلم والعمل فقد اوتي الخير كله على قدر استعداده وشأنه وقال تعالى: (ادعوالى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن) وان لفظ الحكمة قد يراد به الموجودات العينية من واجب وممكن ومن نبوة وامامة ووجود الدنيا والاخرة، فهى نفس الوجود وكيفيته والموعظة والتشريعات للكتاب والكتب المنزلة من السماء وجادلهم بالتى هي احسن اى بمقالات تطابق الحكمة وخطابات مقنعة نافعة وتعليم وتهذيب واخلاق وطرق مستقيمة من الذوق السليم والاهداء الى مشاعر الانسان ومن هناكان اطلاق اسم الحكيم عليه تعالى حقيقة اذهو الحكيم بالاصالة وغيره بالتبع والعرض، كل ذلك تنبيهاً وايقاظاً على طاعته، فالانسان اذا رأى آيات الله وتأمل فيها حصلت له يقظة الضمير وارتفع عنه حجاب الغفلة، وسيأتى منا انشاءالله تفصيل هذه المباحث بمايرشدالسامع الى تفصيل المطالب.

اظهاراً لقدرته و تعبداً لبريته بأن يوصلهم و يرشدهم الى انحاء الطاعة واستكمال العبادة والوصول الى الغاية المطلوبة، اعزازاً لدعوته مما دعى الناس اليه، فقد ورد في الحديث اللهم رب هذه الدعوة التامة، من اصول المعرفة التي تستتبع الدعوة بالقيام بالوظائف الشرعية واستكمال النفوس بما جاءت به الشريعة الاسلامية، فقد دعا ابراهيم ربه: (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن

ذريتي وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) فطلب من الله تعالى بالنسبة الى العباد امراً ونهياً يجب امتثاله وان الثواب يترتب على الطاعة وان العقاب على المعصية فالطاعة اتيان العمل لما امر الله والعصيان على مخالفته والتجاوز عن امره كل ذلك ذيادة ودفاعاً وحياشة بان جمع الناس وخلقهم ليكونوا ابناء الجنة ونعيمها(١).

---

(١) الله تعالى واجب الوجود بالذات فهو واجب الوجود من جميع الجهات، وعليه فلا معنى لاستكماله بفعل واحتياجه اليه، فالفعل ليس معللا بغرض وراء ذاته تعالى حتى تكون له حالة منتظرة يتوصل تعالى اليها بذلك الفعل والايجاد.

فخلق الكائنات ليس عبثاً بعد كونها طالبة لعلتها الغائية تكويناً ومرشدة اليها تشريعاً، كل كائن على قدر مايسمع من نداء السلام فكان هذا اعزازاً لدعوة الحق التي دعا اليها الكائنات فهي فطرة الخلق تكوينياً وتشريعاً.

فالحق نور ظاهر بنفسه مظهر لغيره والارادة الذاتية عين ذاته والفعلية عين تجلى الاسماء والصفات فهي وجود الاشياء خارجاً، وفي الخلق اظهار وتحقيق لحكمته. فالحق تعالى العلة الحقيقية التي منها حقائق الامور ومايسمى من الكائنات باسم العلة فانما هو مجرى الفيض أو معد، فسار كل شيء خاضعاً لمشيئته، فقد اشعر الكائنات اشعار تكوين بانه لامطاع الا الذات الاحدية الصمدية وان عالم الامكان ظهور الحكمة المعربة عن العالم الربوبي لان الفيض والكرم شأن ذاته المقدسة والكائنات عين الربط لامرتبطة به وقد
←

←

اخذ على نفسه الاخذ بايدي السائلين ولذا قال تعالى: **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** اي ليخضعوا لعرفان هو تحقيق الحكمة النظرية والعملية معاً، فهو تعالى مبدأ المبادىء وغاية الغايات (انا لله وانا اليه راجعون) وقد قالت الحكماء أيضاً انالحب والرضا والابتهاج المقابل للنفرة والغضب يدور مدار العلم والادراك، فمن ادرك كمالا احبه وابتهج به وان شدة الحب تدور مدار شدة الادراك فان كان المدارك بالكسر محض العقل والادراك حصل اتم ادراك حضوري وان كان للادراك مراتب اخرى كالادراك الحسي أو التخيلي أو الوهمي، فان هكذا ادراك عقلي حضوري يكون عين الابتهاج والحب فيصبح المدرك بالفتح والمدرك بالكسر شيئاً واحداً وهو علمه تعالى بذاته الذي هوعين العلم بالاثار المعبر عنه بالعلم الاجمالي في عين الكشف التفصيلي والاجمال بمعنى البساطة، فحبه وارادته لذاته اشد حباً، فهو تعالى مريد لنفسه ومن احب شيئاً احب آثاره لان الاثر من حيث هو اثر محبوب، فرضاه بذاته يتبعه رضائه بآثاره وظهورات ذاته.

واما الحياشة فهي جمع الناس وسوقهم الى الجنة بجعل الثواب للمحسن والعقاب للمسييء لطفاً منه تعالى أو هي المجيء للشيء من جميع حواليه أو الردع من جهة والسوق الى اخرى فهي لطف الله تعالى الذي رغب الى الجنة وخوف من النار فساق الخلق الى الصراط المستقيم لكي يتعرضوا لرحمته وينساقوا الى جنانه. (محمد كاظم)

(واشهد أن أبى محمداً عبده ورسوله اختاره وانتجبه قبل اناجتبله واصطفاه قبل ان ابتعثه) وفي بعض النسخ وانتجبه قبل ان ارسله وسماه قبل ان اجتبله.

قد اشتق الله تعالى اسم محمد(ص) من الحمد والخصال المحموده ولم يسم بهذا الاسم نبياً من الانبياء، فقد ألهم آباءه فسموه بهذا الاسم وقيل لعبدالمطلب سميت ولدك محمداً وليس هذا الاسم من اسماء آباءك ولاقومك، فقال: رجوت ان يحمد في السماء والارض وقد حقق الله تعالى رجاء عبدالمطلب، وقد ورد اناسمه في الارض محمد وفي السماء احمد، قال تعالى: (هو الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ففي لحظة واحدة سار جميع العوالم من الاكوان الجسمانية والروحانية وعالم البرزخ والاخرة وشاهد الجنة والنار على تفاصيلها.

ثم اعلم ان معنى النبوة في نبينا هي اتصال روح النبي(ص) بالمبدأ الاعلى من غير واسطة الملائكة أو روح القدس، فان من الانبياء من يرى الوحي في النوم ومنهم ذلك في النوم ويسمع الصوت ولايشاهد ملكاً في اليقظة ولايبعث الى احد من جانب الله تعالى وقد يترقى به الحال فيشاهد الملك في اليقظة ويتصل بالمبدأ الاعلى في بعض الحالات من غير واسطة اصلا كما في نبينا محمد(ص) فمحمد(ص) عبدالله ورسوله، انتخبه واستخلصه واجتبله على فطرة الكمال التي ليس احد مثلها واصطفاه لنفسه والاصطفاء خيرة الشيء فهو المختار له من بين جميع خلقه، فبعثه رسولا وسماه قبل ان اجتبله في عالم الوجود واصطفاه بالنبوة قبل ان بعثه رسولا ونبياً

للبشريه كافة(١).

---

(١) اقرار بالنبرة بعدالتوحيد فانها(ع) بعد ما اخذت بالنفوس نحو الكمال الى معاني التوحيد الدقيق جاءت لتلفت نظر البشرية الى ان اعلا صفة لمخلوق هي العبودية التي بلغها محمد(ص) بلوغ عرفان ودراية لاشهادة تعبير والفاظ.

فقد انزل الله تعالى على قلبه (ص) كتابه التدويني الحاكي لعالم الاسماء والصفات وكتابه التكويني بمافيه من الخيرات والشرور في عالم التزاحم المادى واختاره اى انتقاه كما ينتقى الشخص خيرة الشيء من بين العديد من ابناء جنسه، وانتجبه من النجب وهو من كرم حسبه وحسن فعله فاختار الله محمداً(ص) لما فيه من حسن كمال الحكمة النظرية والعملية وحسن الاصل والحسب فانتخبه للرسالة قبل خلقه اياه لعلمه تعالى بمجارى الامور وحوادث الدهور قبل الاربعين وقبل ان اجتبله اى فطرة واوجده.

والاسم هو اللفظ الموضوع على جوهر أو عرض لتعيينه وتمييزه عما سواه وقد يراد بالاسم واقع الشيء بماله من الحدود والرسوم، فالاسم هو المبين لحدود الشيء بلحاظ جواهره واعراضه، فاذاكان الاسم يحدد الشيء ويحكيه حكاية واقعية لاتزيد عن ذاته ولاتنقص كان الاسم اسماً حقيقياً مطابقاً للمسمى، والله تعالى لم يحدد ذاتاً بأسم من الاسماء الا لحكاية ذلك الاسم واقع تلك الذات لاكأسماء الاعلام التي تجعل في الغالب لتميز الفرد عن غيره فلم يقصد من حسن وعباس الحسن والعبوسة ولكن هنا في تسمية الله تعالى هذه الذات باسم محمد اريد به الحكاية عن واقع هذه الذات من انها المصداق الاتم في دائرة الامكان للحمد والثناء والصفات الحميدة.

←

(اذ الخلائق بالغيب مكنونة)

اصطفى محمداً (ص) واختاره من بين الخلائق اذ لم يكن للخلائق الا الستر والخفاء وان كلما غاب وستر عن الادراك الظاهر والباطن فهو غيب وهو من المعاني النسبية وقد يكون هناك غيب لجاهل ومشاهدة لعالم، فان البرزخ والاخرة من عالم الغيب فهو تعالى عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وقد يطلق الغيب بالنسبة الى ماكان محجوباً عنا وان كان هو مرقوم في عالم المحو والاثبات وقد يكون هناك شيء وراء عالم المحو والاثبات بان يكون ثابتاً في عالم ام الكتاب وقد يكون غيباً بالنسبة الى ماعدا ذاته المقدسة بان يكون غائباً على العوالم كلها وليس علمه الا عنده تعالى فاصطفى محمداً (ص) والخلائق مستورة بالغيب(١).

←

والجبلة هي الطبيعة والفطرة والخلقة بكسر الخاء فالله تعالى لعلمه المطلق قبل ان يخلق خلقاً سمى تلك الذات المقدسة بهذا الاسم لعلمه بانها جوهرة الفطرة والاعتدال والمرآة للاسماء والصفات والحقيقة الجامعة لكمال الكلمات الالهية.

وان كان لايبعد استفادة كونه (ص) بنوره وتجرده متحققاً قبل خلقه في عالم المادة من كلمات الصديقة الطاهرة عليها السلام.

(محمد كاظم)

(١) الخلائق بحسب ذواتها الامكانية غيب وخفاء عن دائرة الوجود والتحقق وانما اقتضت التحقق بالغير، فالغيب عن الوجود سترها الذي لايزول لولا العلة فقد عين الله تعالى محمداً (ص) لهذه السفارة

←

(وبستر الاهاويل مصونة وبنهاية العدم مقرونة)

فان العدم أبعد عن الوجود في الغاية لسبق العدم على مراحل الوجود الامكاني علماً منه تعالى بما ترجع اليه امور الخلق من الطاعة والعصيان(١).

←

قبل خلق الكائنات لان العلم بالعلة علم بالمعلول لان المعلول شأن من شؤون العلة وليس من شيء عندالله سابق أو لاحق بل الكل حاضر عنده بمرتبة واحدة فمحمد(ص) المصطفى من بين الخلائق لهذه الرسالة الهامة قبل ايجاد الكائنات بوجودها العيني وان كانت الكائنات في علمه حاضرة بحضور واحد لعلمه تعالى المحيط بالاشياء ابداً وازلا وهو علمه بذاته الذي هو علم بجميع الحقائق.

ومكنونة اي مستورة بستر العدم والظلمات بحسب ذاتها قبل ان تلبس حلة البروز والتحقق بنور الحق تعالى، فالخلائق بذاتها ستر وخفاء وبعلتها تحقق ونور. (محمد كاظم)

(١) الستر هو الغطاء والاهاويل من الهول وهو الفزع والشيء المخوف والمصونة من الصون وهو الحفظ، فأشارت الى ان الوجودات الامكانية بحسب ذواتها اللااقتضائية مستورة بستر ذواتها الظلمانيه لولا ايجادها من قبل الحق تعالى واى ستر وحجاب اشد من ستر العدم واى هول مخوف أشد من شر اللاشيئية واى قيد لايمكن التخلص منه اشد من صون العدم، فهو تمام الشر، فالكائنات مصونة محفوظة بحسب ذاتها في العدم.

فأشارت(ع) ان غاية الكائنات بحسب ذاتها مطلق العدم وان كانت غايتها بالحق تعالى لانهاية الوجود، فالممكنات بذاتها قرينة

←

(علماً من الله تعالى بمآئل الامور واحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع المقدور، ابتعثه اتماماً لامره وعزيمة على امضاء حكمه وانفاذاً لمقادير حتمه)

احاطة منه تعالى بحوادث الدهور ومعرفة بواقع كل أمر مقدر وكائن ابتعثه رسولا اتماماً لامره ومشيئته وتصميماً على امضاء حكمه وانفاذاً لمقادير حتمه، كيف لايحيط الله تعالى بمخلوقاته ومعلولاته وهو العلة لها في الايجاد، فقد تمم حكمته التي خلق الاشياء لاجلها وعزم بالحكم عليها من أمر السعادة والشقاوة والهداية والضلالة، لاعزم جبر واقهار، بل هو عزم على طبق قابليات الخلق بماله من استعداد وقضى بذلك على حسب علمه تعالى وعلى طبق هذا تكون الاعمال من العبيد على وجه الاختيار لا الجبر (١).

←

العدم وبحسب وجودها الظلي والرابط قرينة النور وغايتها لانهاية الوجود، كل ممكن يطلب لانهاية الوجود بقدر سعة وجوده وان كان بلوغ اللانهاية للمتناهي محال ولكن سير الكائنات لانهاية له للانهاية الغاية. (محمد كاظم)

(١) المآئل جمع مآل وهو من آل الشيء يؤول اي رجع يرجع، فهو تعالى العالم بمايؤول اليه امر الكائنات وبما تقع فيه من المواقع بلحاظ مراتبها الطولية والعرضية، لانه العلة الفاعلية والغائية للكائنات (انا لله وانا اليه راجعون) فمحمد (ص) غاية عالم الامكان والحق غاية الغايات.

فقد اشارت(ع) بالعلم بمآئل الامور الى العلم الربوبي التفصيلي

→

في مرحلة الذات بكلشيء لان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فهو تعالى حضور تمام الحقيقة ومايرتبط بها من اشراق، فالله تعالى قبل مرتبة العلم الفعلي عالم بالاشياء في مرتبة الذات الازلية، واحاطة بحوادث الدهور، لعله للاشارة الى محالية الحادث بلا محدث وعلة وان العلة محيطة بالحادث في كل اطوار وجوده حدوثاً و بقاءاً، فالاحاطة هيمنة العلة الحقيقية التي منها الوجود وهي حقيقة الملك القهار ذوالقدرة المطلقة ولانهاية الادراك، المدرك للاشياء ظاهراً وباطناً باحاطة وقدرة هي عين العطف والرأفة.

والحادث هو الكائن بعد العدم وهو يعم جميع الممكنات فلاقديم ذاتاً الا الله تعالى، والدهور هي العوالم كافة ماديها ومجردها لا الدهر بمعنى عالم المادة فقط كماهو بأذهان العامة ولا الدهر بمصطلح بعض الفلاسفة بمايختص بعالم المجردات فقط لان الكلام عن اصل الخلق والايجاد فالكائنات جميعاً خاضعة لمشيئة الله تكويناً بما يعم العصاة والكفار لانهم بعد منحة الاختيار منه تعالى كانوا على الله متمردين ليحل كل موجود محله اللائق به طبقاً لحكمة الله وعلمه بالنظام الاحسن.

ومعرفة بمواقع المقدور: لعله للاشارة الى انه تعالى عالم بالجزئيات ايضاً في جميع مراحل الاقدار والحدود، والمقدورات

(فرأى الامم فرقاً فى أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لاوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بـأبى محمد (ص) ظلمها و كشف عن القلوب بهمها وجلى عن الابصار غممها وقام فى الناس بالهداية وانقذهم من الغواية وبصرهم من العماية وهداهم الى الدين القويم ودعاهم الى الصراط المستقيم).

فرأى رسول الله (ص) الامم متفرقة في اديانها من عابد للنار

←
هي الوجودات الامكانية طرأ والممتنعات آبية عن التحقق ذاتاً لا لقصور في جانب العلة.

ابتعثه اتماماً لامره: امرالله هو الوجود الامكانى واتمام الوجود ببلوغ الغاية ولابلوغ للغاية فيمن له اهلية ذلك الابالتشريع، اذن اتمام التكوين يكون بالتشريع وقد كان هذا منه تعالى حكماً لازماً لامضاء الحكمة التي تقتضى وضع الاشياء في محالها الحاكية عن تجليه بأسم الحكيم.

وعزيمة على امضاء حكمه: العزيمة هي الارادة المحتمة المعبر عنها بالارادة الحتمية والحكم هوالقضاء والانفاذ هو الامضاء، فقد جعل المقادير مستندة الى الارادة الحتمية بمعنى الوجوب ومقادير حتمه هي الاقدار المحتومة طبقاً لعلمه الازلى للنظام الاحسن والقدر اعم من الكمية وهي ما يجب ان يكون للشيء من ماهية جوهرية أو عرضية في كل مراتب الفيض الالهى.

وبتعبير آخر ابتعثه اتماماً لامره، فان امر الله فعله ولا يبلغ فعله غاية الكمال الا بتشريع يرسمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.
(محمد كاظم)

وآخر للحجر وثالث يعبد الاصنام ورابع عابد لآلهة متعددة من ذهب وفضة أو الشمس والقمر وبعض الكواكب، اديان متفرقة ومذاهب متشتتة فهي منكرة لله تعالى مع عرفانها بحسب الفطرة والعقل أو مع العلم بالله جاحدين له تعالى، فأنار الله ظلم تلك المذاهب بمحمد صلى الله عليه وآله، فأزاح شبهات الجهل بنور المعرفة كما قال تعالى: (أومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) واي ظلمة اعظم من غواية الجهل وعدم المعرفة من موت العقل وقد سمي الظلم ظلماً لاخذه من الظلمة وهو خلاف العدل واعلم ايها القارىء الكريم ان تقديم المفضول على الفاضل كما صدر من بعد وفاة الرسول (ص) ظلم يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، والظلم هو التعدي عن حدود الله، فكشف رسول الله (ص) عن القلوب تلك المبهمات والمشكلات من مشاكل الانحراف عن التوحيد الحقيقي واصول المعرفة والتوجه للطاعة والعبادة، فازاح الشبهات وجلى عن الابصار الظلم والالتباسات وجلى الغمم وقام بالهداية بنصب اعلامها للناس.

وبتعبير آخر الامم جمع امة مأخوذ من المتابعة سواء كانت المتابعة لنبي أو اجتماع أو جمعية خاصة على اختلاف المشارب والاذواق وتعدد الاديان، فمنهم العاكف على النار وحابس نفسه على عبادتها ومنهم العابد للوثن المعمول باليد على شكل الادميين أو غيرهم وقوم يعبدون النار بدعواهم انها مظهر من مظاهر الخير فهي وجه من وجوه الله ومظهر لبعض الاثار، فلقد كان في بداية الامر ان النار من مظاهر الله تعالى ثم سرى الجهل والوهم بالامة الفارسية

بأن جعلت النار هي المعبود وانكانوا لاينكرون اله الخير، ثم انظر الى الامة العربية في الحجاز فقد اتخذت الاصنام والاوثان هياكل للكواكب المنيرة وصورة للملائكة المقربين ثم تجاوزوا في الامر والجهل حتى عبدوا الاصنام ارضاء لله تعالى بزعمهم ليشفعوا لهم عند الله وتقربهم الى الله زلفى وربما كانت هذه الصور والتماثيل من الاصنام والاوثان صور علمائهم وزهادهم ثم اخذوا بالجهل حتى عبدوها ونسوا بداية الامر، فكشف الله تعالى بمحمد (ص) غمم السحاب المتراكم من الجهل وكشف البهم عن القلوب وقام بين الناس بالهداية والارشاد فأنار بمحمد(ص) ظلم تلك الامور وكشف عن القلوب الاجمال وجلى عن الابصار ذلك الستار فقام بهداية البشر كافة فانقذهم من الغواية والضلالة والانهماك بالباطل وخلاف الرشد فجاءهم بما فيه رشدهم فقال تعالى **(فاعتبروا يا اولى الابصار)** فجاء الرسول لكي لايبقى الجهل مخيماً فيبقى العمى فانه من كان في هذه الدنيا اعمى فسيبقى في الاخرة واضل سبيلا، فهداهم الرسول (ص) الى الدين القويم قال تعالى: (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) فدلهم دلالة موصولة انتفع بها من لم يكن انطوت نفسه على رد الهداية والانحراف عن الطريقة المثلى، والمراد من الدين هي الشريعة والصراط المستقيم والقانون الالهى الخالي عن الاعوجاج، فالدين صراط الامم المؤدى بهم الى الخير والجنة، والمرشد الى سبل الحق والعدل وهو لايتحقق الا بالتسليم لانبياء الله واوصياءه واولياءه،

فالطريق المستقيم كما ورد عن امير المؤمنين(ع) هو طريق المؤمن الى الجنة وهو الطريق الذى ليس فيه غلو ولاتقصير وهو الوقوف على الاستقامة وقد ورد عن الصادق (ع) ما ملخصه: ان الامام المفترض الطاعة هو الصراط في الدنيا والاخرة وهو الجسر على متن جهنم.

فكل مورد اطلق فيه الصراط يراد به النهج المعتدل في العقيدة والعمل فهداهم رسول الله(ص) الى الدين القويم ودلهم على الصراط المستقيم فاهتدى من اهتدى وكفر من كفر، لان في كل انسان جهة نور وجهة ظلمة، جهة النور من ربه وجهة الظلمة من ماهيته، ففيه جهة عقل ونفس يتمكن بهما من عمل الخير والشر من صفات الملائكة أو الشياطين، فجهة توحيده هي فطرة الله التي فطر الناس عليها والاخرى جهة شركه وطغيانه وقد جعل الله تعالى الانسان مختاراً في العقيدة والعمل خيراً او شراً.

فالانسان عند ما افاض الله تعالى عليه العلم والقدرة والارادة اصبح مختاراً في عقيدته وعمله وقد اوقفه الله على نقطة ملتقى الخطين من الخير والشر، قال تعالى (انا هديناه النجدين اما شاكراً واما كفورا) (١).

---

(١) - يحتمل انها(ع) ذكرت عبدة النيران والاوثان بالخصوص لانها اسخف العبادات وابعدها عن الحق فهما مصداقان لابرز مراحل الانحطاط العقائدى مع كونهما تحت رداء الدين بخلاف الانحطاط ←

الوالد (قده). . . . .

←
العقائدی الذی اصاب اليهود والنصاری فانه اخف منه.

ويحتمل ان يكون المراد انه (ص) رأی الامم عاكفة مقيمة على جهلها لان من اقام على الجهل والظلمات ابتعد عن النور فلا ترجى له الهداية بعد ما اخذت الظلمات تمام قلبه والذی يرجى هديه من بقى له من مشاهدة النور نافذة، فالمنغمس في الظلمات لايمكنه مشاهدة النور ليرجع اليه لموت فطرته وعقله فهو ابكم اصم وان هذا الانغماس في الظلمات يسوق الامم الى غضب الله ونيران جهنم فهم لولاالهداية لكانواعكفاً على النار بسبب انحرافهم وهذا اشارة منها الى البشرية كافة كتابيها ومشركيها لاالى عبدة النيران الحسية فقط والعبادة من المتابعة والخضوع والطاعة والوثن هو الثبات والدوام على العهد، فالامم جميعاً لحجابها الذي حجبها مشاهدة النور اصبحت طائعة للجهل ثابتة عليه لاترجى يقظتها مما هي عليه.

ولعل المراد من انكار الامم جميعاً للتوحيد وفي ضمنهم اهل الكتاب لعدم بلوغ الجميع لدرك حقيقة التوحيد فهم بين مجسم ومثلث.

وبالجملة رأی الامم عاكفة على نيران الله بلحاظ فعلها الذی يؤول بها الى سخط الله وناره يوم القيامة لكون النتيجة تابعة للمقدمات وهي جميعاً تعبد الاوثان، لان هذا يعبد المال وذاك الجاه وثالث الصنم ورابع الرهبان والاحبار جهلا لما عبدوا الاهواء والميول. (محمد كاظم)

(ثم قبضه اليه قبض رأفة واختيار ورغبة وايثار، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من تعب هذه الدار في راحة قدحف بالملائكة الابرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على ابي، نبيه وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه وصفيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته)

قالت عليها السلام، ان الله قبض نبيه (ص) قبض رأفة بان خرج من الدنيا بتمام اللطف والعناية من الله، قبض رأفة واختيار، فلم يخرج رسول الله من الدنيا الا بنفس راضية مطمئنة كما قال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضيه) فرغبة من النبى الكريم وايثاراً من الله تعالى بأن آثر الله نبيه بأيثار فوق ايثار البشرية واعطاه فوق ما اعطى الانبياء والاولياء لان الخدمة من النبى (ص) تستدعى الايثار وتوجب المزيد من الفضل فقبضه بلطف ورأفة لا بشدة وعنف وهو الرؤوف بعباده الصالحين باختيار من رسول الله (ص) أو باختيار من الله له دار القرار.

فآثره تعالى باللطف على سائر بريته فاسكنه دار المقام والخلد ليريحه من تعب هذه الدار بعد ماقام بالوظيفة باختيار منه بالانتقال لاباكراه واجبار الى دار لا اعياء فيها، قال امير المؤمنين (ع) (الارواح تكل كما تكل الابدان) فروح محمد وبدنه مثقلة باداء الوظيفة وثقل اعباء النبوة.

وقد ورد في الدعاء اللهم اسئلك الروح والراحة عند الموت، فقد ألقى محمد (ص) ثقل متاعب الدنيا من التكاليف والمشاق من الحروب وشدائد الجهاد وهو المراد بالقياس الى النبي(ص) لا الثقل

بمعنى الاثم من باب اطلاق السبب على المسبب، محفوفاً هذا النبي الكريم بالملائكه فهو مسرور بأولئك الابرار من الملائكة والصالحين من عباد الله من أهل الخير والفضل والتقى ورضوان من الله ورضوانه عطاءه ولطفه وهداياه الى عباده، هدايا ذلك الغفار المتفضل كثيراً ومجاورة الملك الجبار مجاورة القريب من القريب والحبيب من الحبيب، فأي جوار احسن من ذلك الجوار واى حسن احسن من ذلك الحسن واي قرب افضل من ذلك القرب، جوار المعطي بالنعم والحفظ، وقد اطلقت المجاورة لله بمجاورة مكة حيث فيها بيت الله تعالى، ففي الاخرة جوار ذلك الملك المستولي على كل شيء مالك الملك ذو السلطنة والاستيلاء.

وان شئت قلت الملك الجبار اي الجابر والمصلح لما انكسر من الامور فأقام القلوب على فطرتها من المعرفة لا بالاكراه والجبر والقهر.

فالجبر في الامور التكوينية دون التشريعية، فالنفس بعد ايجادها واستكمال عقلها وتوازن صفاتها وقابلياتها تكون مختارة بل يقال لاجبر في هذه الحالة اذ معنى الجبر ان يكون للشيء استعداد واقتضاء وعند تحقق اقتضائه يمنع ويجبر واما اذا لم يكن للشيء اقتضاء فلا يقال انه مجبور اذ الجبر والتفويض من باب الملكة والعدم كالبصر والعمى، فاذا كان الشيء ليس له استعداد واقتضاء البصر لا يصلح اطلاق العمى عليه كما لا يقال للجدار اعمى، فايجاد الموجودات بالارادة التكوينية وليس هذا من باب الاكراه والغلبة على ارادتهم واما بالنسبة الى الانسان فبعد وجوده جعله الله مختاراً إي أوجده

مختاراً وان شئت فعبر ان الانسان مضطر في وجوده ومضطر في اختياره وليس بمختار في الوجود والاختيار.

هذه هي الفطرة التي فطرةالله الانسان عليها من وجوده وصفاته اذ لامؤثر في الوجود الا الله، فمع الاختيار جريان المشيئة، فلولا مشيئة الله واستمرار فيضه لما تمكن الانسان من العمل ولكن هذا ليس جبراً رافعاً للتكليف ومبطلا للثواب والعقاب كماقالت الاشاعرة، فان الجبر خلاف القدرة والعدل الالهى بان يجبر الله عباده على فعل المعاصي بل هو قضاء بما اراد وقوعه منهم وهو الجبار يفعل في ملكه ماشاء ويحكم في خلقه ما يشاء.

فمذهب الامامية كما عن الصادق(ع) لاجبر ولاتفويض بل امر بين الامرين.

وأما القدرية فيزعمون ان كل عبد خالق لفعله من المعاصي وغيرها باسنادهم في افعالهم الى قدرتهم وفي الحديث: لايدخل الجنة قدري فيقول مالايشاء الله ويقول مايشاء ابليس، وفي الخبر: القدرية مجوس (نجوس) هذه الامة.

والصلاة بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى: وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم، والصلاة في مصطلح الشرع الاسلامي عمل فيه اتصال بين الله وعبده وارتباط بين المخلوق وخالقه، وتطلق الصلاة على الرحمة كقوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وكقوله تعالى: ان الله وملائكته يصلون على النبي، فالصلاة من الله الرحمة ومن الانسان الدعاء لطلب الرحمة ومن الملائكة استغفار طلب الرحمة وفي الدعاء اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم والظاهر انها بجميع المصاديق بمعنى

واحد، فقد دعت(ع) بالصلاة على ابيها الامين الذي أتمن على وحي الله وتشريعه وعلى الامور التكوينية على ما يقوله الحكماء من وساطة التكوين بين الله وخلقه وان النبي وآل بيته عليهم السلام شرائط قابلية المعلول وليس المراد انه وأهل بيته من شرائط فاعلية العلة وهو الله اذ لايقول بهذا مسلم موحد، ثم وصفت(ع) اباها بالمصطفى والخيرة وهو المختار والمرضي وهو المرتضى والراضي بالقضاء والقدر فلا يداني هذا الرجل احد ولايحد مداه مخلوق، فهو العبد الحقيقي الذي ليس فوقه عبد والله تعالى راض عنه بتمام معنى الرضاء كما ان النبي(ص) راض بالقدر والقضاء وهذا هو معنى رضاء النبي (ص) عن الله لا الرضا بالمعنى المعروف بين الناس(١) والسلام عليه (ص) بمعنى عدم انقطاع الفيض الالهي وعن امته وشيعته بل ولجميع الخلق كافة بل وفي البرزخ فدعت(ع) لابيها(ص) بجريان الفيض الالهي ووصول النعيم اليه والى أهل بيته واجمالا فان الصلاة والسلام الكاملين على محمد(ص) لانه هو امام البشرية من المتقدمين والمتأخرين.

---

(١) تحمل كلمة اليه عظيماً من المعاني بما فيها القرب والحنان والرضا، وافضل مراتب الرحمة واعلى مصاديقها هي الرأفة فقد بلغت رحمة الله على هذه الذات المقدسة اعلى مراتبها وان كان عطاء الله لايقاس بفعل العبد ولايقدر به ولكن الكرم والفيض انما يكون (جزاء وفاقا) و (تجزون ماكنتم تعملون) فالكرم اللامتناهي بما يناسب النفس وعملها، فالعبد اذا رفع قدماً نحو الخير مع مافيه من القصور والتقصير ناسب ان يبادل بآلاف الدرجات من العطاء من قبل الله تعالى فكيف بعبد كان عين الفناء في ذات الله تعالى ومصداقاً لتمام واقع العبودية التي لامقام اعلا منها. (محمدكاظم)

(ثم التفت الى أهل المجلس وقالت: انتم عبادالله نصب امره ونهيه و حملة دينه ووحيه وامناء الله على انفسكم وبلغائه الى الامم، زعيم حق فيكم وعهد قدمه اليكم وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به اشياعه، قائد الى الرضوان اتباعه، مؤد الى النجاة استماعه.

ثم قالت منادية هذه الامة على وجه التوجيه والتنبيه بان الذي تلقيه على اسماعهم خطر عظيم، فعليهم ان لايغفلوا عن هذا التنبيه ومما يدل عليه في لسان الادب حذف حرف النداء في هذا المقام، فلم تقل لهم يا عبادالله، بل نادتهم بدون حرف نداء كما قال امير المؤمنين عليه السلام اوصيكم عبادالله بالرفض لهذه الدنيا مصرحة لهم بانهم نصب امر الله تعالى ونهيه اي انتم المنصوبون لانزال دينه وشريعته لتحمل اثقال التكليف فانتم الموكلون اولا وانتم المبلغون للامم وانتم الحملة لاوامره ونواهيه في الاعقاب والعصور، فانتم حملة الدين والوحي وانتم محط الامر والنهي، فعندكم امانة انفسكم وامانة لتبليغ الامم، فأنتم تحملون ثقلين من التكليف ثقل حمل التكاليف لانفسكم من اصوله وفروعه اذا نتم الحاملون والمتحملون لاعباء الشريعة والاثقال بالاوامر والنواهي، وانتم أيضاً الواسطة الى اعقابكم في العصور واي امانة اعظم من امانة الله في تكليفه واى امانة اشد نطاقاً واوسع دائرة الى الامم منها، فقد حمل الله تعالى الانصار والمهاجرين اثقالا مع اثقالهم للاجيال، فكان الدين امانة عندهم.

ثم قالت(ع): وبقية استخلفها عليكم تريد البقية التي ابقاها وهي ماقاله(ص) **انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتى**

ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً احداهما اكبر من الاخرى فان كتاب الله الحبل الممدود من السماء اليكم طرف منه بيدالله والاخر بايديكم فجعلهما خليفتين عليكم وهماالباقيتان الى يوم القيامة.

وما قالته(ع) نظير قول اميرالمؤمنين(ع) في نهج البلاغه حيث يقول: اختار لمحمد(ص) لقاءه ورضي له ماعنده فاكرمه عن دارالدنيا ورغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريماً وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبيناً حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله ناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه وعزيمته ورخصته وامثاله وقصصه ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه، فالقرآن هو المعجزة الخالدة من جميع النواحي من العبر والامثال ومن حيث الاقتصاد والاخلاق ومن حيث النفس والعقل والغيب والشهود والبلاغة والفصاحة، فهو التشريع الكامل الذي ليس فوقه تشريع من كل كتاب سماوى بعث الى الوجود الاكمل في عالم الامكان وهو النبي(ص)، فالقرآن الكتاب الكريم وهو النور المبين والذكر الحكيم وامام هدى فارق بين الحق والباطل قد نزل في ليلة القدر جملة ثم نزل نجوماً وهو الساطع وهو النور اللامع المرتفع (بينة بصائره) فان بصائره ظاهرة واضحة للبصائر والحجة القائمة للضمير وان سرائره منكشفة واضحة وتطلق السرائر على الاعمال كما تطلق على النيات والبواطن ويراد من سرائر القرآن المقاصد الخفية، فان القرآن واضحة منكشفة دلائله وقد تجلت باوضح التجلى وانكشفت باوضح الانكشاف وان المؤمن يغبط ولا يحسد واحباط الحسنة هو عدم ثوابها والاشياع هنا بمعنى الفرق وسميت الشيعة شيعة لمتابعتها لاهل البيت والذي تريده(ع) ان

العمل بالقرآن اتباع اوامره ونواهيه وانهم مغبوطون بين الناس يوم القيامة وبين الامم السالفة من أهل الاديان والكتب السماوية لعلو درجاتهم ومكانتهم الشامخة عندالله تعالى والقرآن قائد الى رضوان الله تعالى ودار رضوانه فمن اتبعه وجعله أمامه ولم يجعله خلفظهره، فتابعالقرآن رأياً وعملا نال الفوز العظيم، ففيالحديث تابع اللهم بيننا وبينهم بالخيرات، اي بمتابعتهم في الاعمال الصالحة بان نؤدىالامانة والدين الى الله تأدية كاملهواداء اليه تعالى باحسانناجين خالصين منالهلكه، ناجين فيجميعالاعمال بالصدق والامانة، داعين بالاخلاص منهلكةالاخرة والدنيا، متبركين بالايات القرآنية في رفع شدائد الدنيا والاخرة والمراد من الاستماع هو الاصغاء ويراد من الاستماع هنا الانقياد والطاعة، فالانقياد الى القرآن باتباع احكامه وامتثالاوامره ونواهيه، فانهيؤدى بالانسان الى النجاة من الضلال والوصول الى دارالكرامة وجوار الانبياء والصالحين، ولعله يراد منالاستماع هوتلاوة القرآن أيضاً وهو من جملة الطاعة (١)

---

(١) نصب اي منصوبون والنصب في اللغة العلم المنصوب والمراد من البلغاء هنا المبلغون واللامع المضيء والبصائر جمع بصيرةفالمراد انوارالقرآن وادلتهواضحة والساطع المرتفع البين اي القرآن نوريذهب الظلمة ونوره ساطع مرتفع بينلكل ذىبصيرة وان هذا النور الساطع به خصوصية وهي اللمعان اي نوره ليس كشفاً للحقيقة فقط بل نور يجذب الناظرين ويتلالا لهم ويأخذ بهم الى الرقي ومتجلية اي منكشفة والغبطة هي تمنى مثلحال المغبوط

(به تنال حجج الله المنوره وعزائمه المفسرة ومحارمه المحذرة وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية وفضائله المندوبة ورخصه الموهوبة وشرائعه المكتوبه)

بالقرآن تنال حجج الله الواضحة من البراهين والدلائل ليكون حجة عند المخاصمة اذ الغلبة بالحجة، ففي الحديث اللهم ثبت حجتي في دنياي وآخرتي، وقال تعالى: الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله: فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم الى آخر الاية، فلعل الحجة والدليل اخذ بمعنى القصد لكل شيء كقوله يوم الحج الاكبر: **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** القائمة

←

من غير حب زوال نعمة المغبوط الذي هو الحسد والغبطة بالكسر حسن الحال والاشياع هم اتباع الشخص ومشايعوه وانصاره والجلى هو الواضح والزعيم هو القائد وسيد القوم.

فقد اشارت(ع) ان الله لم يجعلكم بدون قادة وسادة الهيين، فجعل تعالى للرسالة زعيماً وهو محمد (ص) ولحفظ الرسالة وبيانها بعد عهد الرسول (ص) اثناعشر نقيباً كما كان نقباء الانبياء السابقين والمراد من زعيم الحق الذي عهد به الله الى المهاجرين والانصار هو الامام علي(ع) الميزان الذي جعله الله لحفظ الرسالة بياناً وتطبيقاً وان الشيعة هم المتابعون لاوصياء رسول الله في العقيدة والعمل كأمثال عمار والمقداد وحجر بن عدي وصعصعة وسلمان ومالك وهشام بن الحكم وزرارة ومحمد بن مسلم واضرابهم من الصلحاء على ممر الزمن والا فمن احب الاوصياء ولم يسر بسيرهم كثيرون، فالشيعة هم النخبة القليلة على طول التاريخ ولكن المحبين كثيرون قد يطلق عليهم الشيعة بنحو من التسامح. (محمد كاظم)

على اصول المعرفة وبه تعرف العزائم من الفرائض التي الزمك الله بها وعزمها الله عليك وسميت سورة العزيمة كقوله تعالى: فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وكل واجب عزيمة والمفسرة صفة للعزائم المبينة والمحارم حرمات الله التي قررها القرآن التي حذر الله الناس عنها والجلاء في البينة ظهورها، فبينات جلية الى عزائم وبراهين كافيه اي المحارم والفضائل من الاحسان والفضيلة، وتطلق الفضائل على الاوصاف المتعدية كالسخاوة وعلى الاوصاف اللازمة كالحسن ولعل المراد بالاصطلاح في الفضائل هي ملكات الاوصاف والفضائل آثارها ويراد من الفضائل هي المندوبات كالنوافل وصلاة الليل وسائر القربات لكي لايكون على الناس حرج فى اعمالهم وتكون لهم التوسعة في تكاليفهم، فقد اوهب الله هذه الفضائل من النوافل للعبيد فألزمهم بالبعض ورخصهم في كثير من الامور، فجوز لهم ترك المستحبات وقد وسع الله في الرخص في المعاملات والايقاعات، فاذا كثر العطاء والهبات من احد اطلق عليه لفظ الوهاب واطلاق الوهاب على الله اولى من كل أحد لانه الوهاب الحقيقي، فشرع الله القانون وقرره على العباد فجعله محفوظاً عليهم بمافيه من احكام تكليفية ووضعية واجبة ومستحبة أو محرمة. (١)

---

(١) العزائم جمع عزيمة وهي الفرائض التي اوجبها وافترضها الله على العباد، والجالية هي الواضحة والمندوبة من الندب والدعوة وهي المستحبات التي دعى الله اليها لنيل الكمالات والدرجات الاكثر وتفسير العزائم بيان اجزائها وشرائطها وعلى من تجب وعمن تسقط وفي اي وقت تجب او لاتجب وهكذا. (محمد كاظم)

(فجعل الله الايمان تطهير لكم من الشرك)

فان الاعتقاد باصول الدين والعمل بالفروع تطهير للضمير ونظافة من الشرك وان للايمان مراتب وان لكل درجة منها تفاوتاً واستعداداً بحسب الاشخاص وان كانت كل هذه المراتب في نفسها نظافة وطهارة ولكن تختلف مراتب الطهارة حتى تبلغ الى مرحلة قوله تعالى في اهل بيت النبوة: انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، فهذه هي نهاية مراتب الايمان ودون ذلك بقية الانبياء والاولياء والصالحين من عباده كالحواريين لرسول الله (ص) وأهل بيته(ع) من ابي ذر والمقداد وعمار وحجر بن عدي وسلمان ومالك الاشتر واضرابهم، ثم مراتب أهل الزهد والطاعة ثم مراتب التقوى والعدالة وهي المطلوبة من الناس التي لايختلف فيها عالم ولاسائر الناس، فان على العدالة قام سوق الايمان والمعاملات والاحكام والمرتبة التي دونها قد تجامع المعصية كما هي في كثير من الناس المؤمنين، والظاهر من قولها(ع) تطهيراً لكم من الشرك ثبوت الايمان بأقل مراتبه لاالعدالة، فتكفى العقيدة، لان الشرك تارة يكون في العقيدة واخرى يكون في الافعال كعمل المرائين الذين يعملون للناس والسمعة لا لوجه الله خالصاً ولذا ورد في الحديث عن النبي(ص) الشرك اخفى في امتي من دبيب النمل فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، يريد بذلك الرياء في العمل وهو الشرك في العمل.

واعلم ان الايمان الكامل ما طهر النفس من كل شك في العقيدة والعمل، فان الله اذهب بالمنهج الاسلامي عن هذه الامة دنس الشرك ورجس الجاهلية، فجعل خير بدل عن الجهل طهارة الايمان ونزاهة العلم، فأزال الشبه عن القلوب وعند ذلك تبين من اهتدى بنور الايمان

ومن ظل وغوى، فسلام على عبادالله الذين اتبعوا الهدى(١).

---

(١) ثم شرعت ببيان علل التشريع من المصالح والمفاسد التي دعت إلى تشريع الاحكام وهو ما عليه الامامية والمعتزلة من تبعية الاحكام للمصالح والمفاسد خلافاً للاشاعرة.

والايمان من الامن والاطمئنان والمراد به اطمئنان النفس وسكونها عند بلوغ الغاية بمشاهدة حقيقة الوجود والنور الالهى بعد العروج اليه بمدارج العرفان من الاصول والفروع.

ومعلوم ان لسان الجعل هنا تشريعى وان بات يحكى هذا التشريع العلة الغائية من خلق البشرية، لان كل مخلوق كما ان له علة فاعلية لابد له أيضاً من علة غائية تناسبه.

فغاية الانسان هو الكمال اللامتناهي وحبل العروج اليه هو الايمان المستند الى العلم، وطلب الكمال فطرة كل مخلوق كان شاعراً ام غير شاعر وانما الشاعر من علم بانه يعلم كما قال بعض اكابر الحكماء ولكن الانسان قد يخطأ في تشخيص المصاديق، وانه كما قد تعرض للبدن نجاسات تطهر بالماء قد تعرض للروح نجاسات بواسطة الشرك المفسد لتحقيق ما هو المناسب من الغاية التي خلق الانسان من اجلها وبابطال الغاية يكون فساد ذلك المخلوق كما لو منعت الموانع النطفة من بلوغ الانسانية، فالايمان هو المطهر للنفس من دنس الجرى نحو الحضيض وانه يشمل عبدة المال والجاه والشهوات وان اختص بحسب الاصطلاح بعبدة الاصنام، اذن التوقف عن مسيرة الكمال بالشرك نجاسة معنوية وابطال لغاية الخلق والايجاد ومن المعلوم ان حقيقة الايمان باطلاق الكلمة لاتجتمع مع العصيان ←

(والصلاة تنزيها لكم عن الكبر)

اذ الصلاةاداة الخضوع والخشوع والتذلل والعبودية فهي المبعدة عن الكبر والكبرياء، فان الصلاة من بدئها الى ختامها ابلغ مظاهر الخضوع والتذلل الذي يصل الى القمة بالسجود والقول سبحان ربي الاعلى وبحمده، فيثبت الانسان لنفسه غاية العبودية ولمولاه غاية الرفعة والعظمة والعلو، والمراد من كبر الله وكبريائه عظمة وجوده لا بمعنى التكبر على مافي اذهان الناس، فالكبر بمعنى عظمة الذات وكمالها ولانهايتها الوجودية، وقد جاء في الحديث في ذم التكبر: انه لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال من خردل من الكبر، والمراد من الحديث التكبر التكبر على الله تعالى والجحود لنعمائه(١).

أو التوقف عن مسيرة الكمال لانقياد الجوارح عند تمامية الاذعان لان من ايقن بالسعادة والكمال بات هائماً في طلب المراد، اذن الشرك يوقف مسيرة الكمال التي هي السير اللامتناهي نحو غاية الغايات وبالايمان سير العارفين نحو الغاية المطهرة للنفس من رواسب الجهل والظلمة. (محمد كاظم)

(١) أخطر صفة بعد الكفر هي صفة الكبر وقد ردع عنها القرآن الكريم في مواضع شتى وبالاخص في مطاوى ذكر قصة ابليس ومن المعلوم ان الكبر لم يختص بالكبر الاخلاقي بل هو شامل لكل موضع جعل فيه الانسان نفسه فوق مستواه معتقداً ذلك لجهله المركب، فقد يعتقد العلم من نفسه حين كونه جاهلا والشرف لنسب يخرجه عن جوهر الانسانية حين كونه وضيعاً في نفسه، فاذا اصيب الانسان بالكبر أصبح اعمى لايبصر الحقائق وكان علمه جهلا، فلاينفتح له

←
الباب امام حقيقة العلم والايمان الا بأذهاب الكبر.

فعلى الانسان اذا ابتلى بشيء من هذا المرض الخطير ان يفحص عن اسباب حدوثه ليبادر الى العلاج قبل تحكيم هذا المرض سواء كان الكبر على الله تعالى كفرعون أو على اوامره تعالى كأبليس أو على عبادالله، فان الكبر يمنع النفس من مسيرة الكمال، لان المتكبر يرى نفسه قد بلغت غاية المطلوب فلايسعى لنيل الغاية التي خلق الانسان من اجلها واذا بطلت غاية الخلق كان الوجود باطلا وقد يسوقه جهله الى مخالفة الحق.

فلاجل اصلاح الفرد والمجتمع شرع الله تعالى الصلاة التي هي اداة الخضوع امام الواقع والتسليم للحقيقة لتكون سداً منيعاً امام الطغيان وشطحات النفس وعجبها وزهوها والصلاة أيضاً اداة تقوية الايمان وليس للصلاة معان متعددة، بل هي الصلة والارتباط والدعاء تلبية لنداء السلام والسير نحو الكمال الذي هو حقيقة الوجود اللامتناهى وان كانت مصاديقها تختلف بحسب الموارد والافراد.

فأذن نفع تشريع الصلاة عائد لمصلحة البشر لاالى غاية الغايات التي لاحالة منتظرة لها من الكمال، فان البشر بلاعبادة اى بلاخضوع لنداء الكمال والسير الحثيث نحو الغاية سوف يعيش الكبر والطغيان الذي هو عين الجهل لان وجود الانسان ومايحمل من علم لايعد كنقطة في بحر لانهاية الوجود والعلم، فما لم تذلل النفس بدرك واقعها الفقري وفنائها الذاتي الذي لايحصل الا بحقيقة الصلاة لايمكن ان تخضع لواقع وتسترشد للكمال مع مافيها من حب الذات والجهل بواقع من عرف نفسه فقد عرف ربه.

←

(والزكاة تزكية للنفس ونماءاً في الرزق)

الزكاة تزكية للنفس عن الخبث، فقد افلح من تزكى وادى زكاته من زكاة البدن والمال قال تعالى: (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم) (واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً) (و قد افلح من زكاها) فان طهر النفس بالعمل الصالح، وتطلق على المال المزكى وقد يأتي لفظ يزكى بمعنى المدح كما قال تعالى: ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى، وقال تعالى: وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون، فان زكاة المال مرحلة من زكاة النفس وتطهيرها وان الزكاة تنمى المال (١)

←

ومعلوم ان كل ماهية لابد ان تترتب عليها آثارها ترتباً لازماً لايعقل انفكاكه، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومعراج المؤمن وقربان كل تقى وعمود الدين فاذا لم تتحقق منها هذه الاثار دل ذلك على عدم تحقق تلك الماهية وعليه فاذا اسقطت مثل هذه الصلاة الامر الالهى كان محض تفضل وان كان كل شيء هو من فضل الله تعالى. (محمد كاظم)

(١) الزكاة تستعمل بمعنى الطهارة والنمو ولايبعد ان يكون النمو المعنوى مترتباً على الطهارة فمالم تطهر النفس بالصلاة بقدر سعتها الوجودية بشرائط التخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل من نفس تعيش الفطرة والعقل بعيدة عن الكبر المانع من سير الكمال لا تستعد للنمو والتكامل ولعل بعض معانى الاية الكريمة تشير الى ذلك كقوله تعالى: (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) فاولا الزكاة

←

←
للنفس باسبابها المعنوية والمادية لتستعد النفس لمعرفة الكتاب ثم من العرفان الى الحكمة التي هي الخير الكثير وروح المعرفة.

والزكاة هي عنوان لكل مال شرعه الله تعالى لحفظ النظام الاجتماعي وزرع روح الاخاء في المجتمع سواء كان واجباً أو مستحباً فهو يعم الخمس ايضاً. ولما كان الدين هو المحبة بين الانسان وربه والانسان و بقية الناس فيكون البذل المالى من نفس طهرت من الكبر بالصلاة موجباً لصيرورة المجتمع روحاً واحدة يعيش الود والسلام مسلمه وغير مسلمه فضلا عن المسلمين فيما بينهم.

واعلم ان كل دعوة على خلاف الفطرة لاتكون دعوة حق ولايمكن ان تأخذ اطاراً عاما نافذاً في اعماق الضمير على ممر الزمن وان كانت قد تؤيد من بعض النفوس لمصلحة خاصة أو اعوجاج في الفطرة.

فهاهي بعض الفرق النصرانية حينما دعت البشرية لزكاة النفس من طريق عدم الزواج قد اصيبت بنكسات احتاجت لاعادة النظر لحفظ طهارة كنائسها للتأمل في ذلكم القانون، كما وان الدعوة لزكاة النفس من طريق بعض المدعين للعرفان والعزلة في المنهج الاسلامي آلت بالفشل ايضاً.

وهاهم قادة الشيوعيين الذين دوى صوتهم في العالم فترة من الزمن على الرغم من كونهم يعيشون نهمة الزعامة وحب الاختصاص المالى انكشف للناس منهجهم الخيالى المغطى باعذب الكلمات الخلابة حينما دعوا البشرية الى الفردوس المزعوم واعدام الطبقية بايصال البشرية تحت قيادتهم الى تكامل ينسي حب الاختصاص بصيرورة
←

الوالد (قده). . . . .

←

الخيرات للجميع على حد سواء في حين انهم يعيشون في القصور الحمراء، فانهم لماكانت دعوتهم الى انكار الفطرة البشرية الكامنة في اعماق الوجود الانسانى المشاهدة في الطفل قبل ان يكمل حولا ويلقن الملكية من ابوية كما يزعمون انهارت هذه الدعوة ايضاً بمجرد انهيار سيوفهم الدموية.

ولكن الاديان السماوية دعت دائماً الى تعديل الغرائز حذراً من الافراط أو التفريط، فحث الاسلام على طلب المال والتكسب وجعل بعض الضرائب الواجبة والمندوبة حفظاً للاجتماع وسعياً لزرع الود في المجتمع بل وحفظاً لمال المثرين ايضاً من سخط الجماهير المحرومة الثائرة.

فقد جعل الاسلام الزكاة تزكية للنفس لتنزيه النفس عن الحرص والشح والانهماك على المال الذى قد ينسى الانسان ما هي الغاية من الخلق والايجاد فيظن الغاية هي جمع المال فيبتعد عن روح الاخاء البشرى والاحساس بالتضامن الاجتماعى واي عدم زكاة هي اشد من نفس تغفل عن الغاية ولاتشعر بالمسؤولية الاجتماعية ولا تتألم عند مشاهدة المحرومين ولاتندفع لبناء الحضارة والاسس الانسانية، اضف الى ذلك ان ببذل الزكاة ضمان المال من فورة شعبية تحرق الاخضر واليابس فان تزايد المحرومين وبذر الحقد في المجتمع لعدم الاعتناء بحوائج المعوزين يؤول بالمجتمع الى فورة تطيح بنعيم المترفين، كما وان عدم بذل الزكاة من اصحاب المال أو

←

←

الحيف ببيت المال بتوسط الحاكمين يميت استعداد آلاف من القوى العاملة التي يتمكن بها ذلك المجتمع من نيل أعلى مقام في خطى رفعة الاقتصاد فان بتحقيق المال تنمو الكثير من سبل الكمال اذا كان الصرف في محله المناسب له ويكفيك دليلا على الخروج عن الدين لمن لم يشترك في صنع البناء الاجتماعي ببذل المال سورة الماعون حتى ولو اظهر الشخص الزهد وطول الصلاة وكثرة الصيام.

فزكاة المال بما فرض الله تعالى وندب اليه احدى الامارات الحاكية عن تحقق زكاة العقيدة واما كون الزكاة نماءاً في الرزق فلعل من جملة المراد ان الله تعالى اذا علم من الشخص حسن النية وان ازدياد ماله احدى السبل لنشر الخير وسع عليه حتى يسد بواسطته حاجة المحتاجين ويجعل ايضاً البركة في ماله، يهديه الى سبل حقة لكي لا يصرف ماله في غير محله ولا يصبح صاحب المال حارساً للمال فقط لايصاله الى الوارثين، فاذا اصبح الصرف في محله لا في مثل الخمر والميسر وأشباههما والمال مورد الاستفادة لصاحبه كان كثيراً نامياً لان غير هذا المال ليس بمال حقيقة بل هو مشغلة وقد يكون عذاباً في الدنيا قبل الاخرة.

ولعل من جملة المراد أيضاً ان المال غير المزكى ليس برزق في واقع الامر لان الرزق لايطلق الاعلى المال الحلال فتقول عليها السلام ان بأداء الزكاة يصبح الانسان محلا للطف بأن يفتح الله عليه سبل

←

←
كسب المال الحلال وتنميته، واما المال الذى فيه حق اليتيم والارملة والمحروم فليس برزق بل حطب جهنم، فان ببذل الزكاة من المثرين وصرفها في مواردها لو وقعت بايدى الحاكمين يضمن المال من سخط جماهيرى قد يؤدى بالمال الى الذهاب، فان العدالة الاجتماعية وان لم يكن الغني تمام العلة فيها اذا اخل بها الغني بقدر والحاكم بقدر آخر والعالم كذلك اخذت بالمجتمع الى الانهيار الاقتصادى والاخلاقى بل والدينى ايضاً.

ولعل من جملة المراد ايضاً ان نماء الرزق نماؤه عند الله تعالى وعطاء الله كثير.

ولعل من جملة المراد ايضاً ان القوانين الاسلامية لما كانت كسلسلة واحدة مترابطة قد لايحسن بعض فقراتها الا بحسن تطبيق بقية الفقرات، فلرب قانون كالقصاص الذي به حياة الامة يصبح موحشاً حينما يجرى تطبيقه في ضمن اطار اسلامي ظاهرى لايضمن للمجتمع واقع السلام والعدل والرفاه الاجتماعى والاقتصادى ويكون القانون المسمى باسم الاسلام هو السبب لكثير من الجنايات والتخلفات، فتشير عليها السلام الى ان بذل الزكاة اضافة على ما به من الثمرات العديدة لوكان في مجتمع يعيش واقع الاسلام لا الشعارات والصور الظاهرية لاصبح مصداقاً لقوله تعالى (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون). (محمد كاظم)

(والصيام تثبيتاً للاخلاص)

ان اظهر مظاهر الخلوص هو الصيام حتى جاء في الحديث القدسي (الصوم لي وانا اجازي عليه) وذلك لانه موجب لضعف القوى البدنية وكسر شهوات النفس وهو الباعث على تصفية النفس وتطهيرها وتخليتها من هواجس الذنوب وهو الجهاد الاكبر كما قال(ص): ان الجهاد الاكبر هو جهاد النفس (١) .

---

(١) من أجل تقوية روح الطهارة والايمان وتشييد روح الخضوع والتباعد عن الكبر ونمو روح التزكية والكمال شرع الله تعالى الصيام للبشر للحصول على الوسيلة لتقوية روح التكامل والطابع لتشديد روح الخلوص الذي لولاه لما كان القرب والفناء في ذات الله تعالى.

فقد ارشد الله تعالى دائماً البشر الى السبل المؤدية الى النجاة والخلود وهداه الى الدعائم التي تهديه نحو الرفعة والكمال، فجعل الصوم داعياً للصفاء والخلوص والتذكير نحو الفطرة والاعتدال، فقال تعالى (فذكر ان الذكرى تنفع المؤمنين) فبالتذكير تستيقض النفس من غفلتها وترجع بروح الايمان الى فطرتها وبالصيام تقوى اركان الخلوص لما في الصوم من معنوية عالية وصبر على تحمل المشاق ودافع من الخير يستمر مع الانسان شهراً كاملا يمنعه من الشهوات والرغبات ويدنيه من الاعتدال فيسهل عليه الخير في ميادينه الاخر ايضاً ولما في الصوم من يقظة ضمير تنبه الانسان على الاحساس بالمسؤولية تجاه المحرومين والبؤساء من بعد ما احس الصائم احساساً عملياً مرارة الجوع شهراً كاملا.

←

اذ بالحج مظهر الاسلام (١)

←

فالصوم الاداة المقوية لروح الصفاء والخلوص في كل عمل خيرى ولسنا الان بصدد بيان بعض الثمرات للصوم التي تمكن البشر من معرفتها مادية كانت او معنوية. (محمد كاظم)

(١)، الحج في اللغة بمعنى القصد والمراد به هنا قصد بيت الله تعالى بأتيان مناسك خاصة والتشييد بمعنى الرفعة والعرفان والاحكام.

فقصد بيت الله بتلك المناسك الخاصة به رفعة الاسلام وعرفان روحه واحكام اركانه وان كان الحج كالصلاة اصبح ماهية لم تحمل في واقعها الاثار المطلوبة منها.

لان هذا المؤتمر الاسلامي العظيم شرع لتشييد اركان الاسلام واظهار اثر الدعوة وتأثير نفوذ كلمة صاحب الدعوة في القلوب لكنه اصبح اطاراً بلا محتوى، اذ بالحج توحيد كلمة المسلمين فلا عربى ولا اعجمى ولا ابيض ولا اسود ولا شرقى ولا غربى ولامولى ولا عبد ولا رجل ولا امرأة، كل ينادى لبيك اللهم لبيك، فلو كانت هذه الكلمة تحكي واقع الضمير لازالت اركان الجهل والعصبية والشتات والقبلية والحقد ولاصبح الاسلام قائداً للمسلمين حقا، تحت لواء التوحيد، فياله من موقف عظيم لو بذل اهل الارض خزائنهم لتشكيل هكذا مؤتمر يسوده السلام ليتيح للامه الاسلامية الفرص للتعارف والاخاء وتبادل الافكار والاطلاع على المصالح المشتركة

←

(والعدل تنسيقاً للقلوب)

ان العدل في امور الدين والدنيا والاعتدال على طبق قوانين الدين تنظيم للقلوب واعتدال لها حتى تسير على الجادة الحقيقية وتحصل الطاعة من العبد الى ربه (١).

←

البشرية فضلا عن الاسلامية لما تمكنوا على ذلك.

ولكن من المؤسف ان يأخذ الصراع بين المسلمين الى درجة تمزق وحدتهم حتى تعدد الشوارع فضلا عن كثرة المذاهب والقوميات، فأين حبل الله المتين الذي جعله تعالى حياة للقلوب وسعادة للدارين.

وقد ورد عن الامام الصادق في المجلد ٥ كتاب الحج ص ٩.

عن هشام ابن الحكم، قال سئلت ابا عبدالله عليه السلام: فقلت له ماالعلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟ فقال: ان الله خلق الخلق وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين ومصلحتهم من أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد الى بلد ولينتفع بذلك المكارى والجمال، ولتعرف آثار رسول الله (ص) واخباره ويذكر ولاينسى الى آخر الحديث. (محمد كاظم)

(١) ذكرت (ع) العدل هنا للاشارة الى انه لاتتوحد القلوب بمسيرة واحدة يكون فيها الحج حجاً والصلاة صلاة والزكاة زكاة وهكذا الا بعدل يشمل الجميع تنمو تحت رايته القابليات ويصل تحت ظله كل ذى حق الى حقه ويوقف المعتدى عن عدوانه، فان العدل وقاية

←

عن حصول الثورات وبذر الاحقاد في المجتمع.

نعم بالعدل تنسيق القلوب وتنظيمها وهو الذي يمسكها عن الانحراف وقيل تنسكاً للقلوب اي العدل عبادة للقلوب به تسير نحو الهدى وتخضع لصواب الامر او ان العدل بعد معرفة القانون يكون العبادة العملية التي تنبيء عن صدق المعتقد ونفوذه في الضمير فهو الجرى العملى على طبق الصراط المستقيم.

قال تعالى: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) فبالعدل تنسيق امور المجتمع وتنظيمها فهو السلسلة الرابطة بين الفقير والغني والضعيف والقوي فلو انقطعت هذه السلسلة اختل نظم المجتمع وأكل القوي الضعيف، فبالعدل يحصل جعل الامور في مواضعها ويتحقق اعطاء كل ذى حق حقه و يوقف المعتدى عن تعديه ومن المعلوم انه لايمكن ان يحلم مجتمع بالعدل والسلام مالم يعتدل فيه الراعى والرعية والا فباعتدال الحاكم ففط لايتحقق تطبيق المنهج السوى مادام المجتمع يعيش روح الطغيان.

نعم لوكان العدل واقع حياة الامة لامتنع ان يحكمها الجائرون ومن الحقيق بالذكر ان يقال ان الحياة بلا عدل جحيم على اهلها فان تحت ظلال السيوف لايبقى من الدين والحق والعدل الا اسمه.

فبالعدل نظام الامة وبالاحسان بث روح الاخاء والمودة فيما بينها، فاذا احسن الحاكم بعد تطبيق العدل واحسن افراد المجتمع بعضهم الى بعض عاشوا روح الحنان والسلام، فبالعدل تطبيق الحق

(وطاعتنا نظاماً للملة وامامتنا أماناً للفرقة)

لو اتجه الناس بعد الرسول الاعظم (ص) الى خلفاءه واوصياءه لما اصيبوا بالفرقة ولما تشتت القلوب بالاهواء الى ائمة الضلال، فان امام الهدى امان للناس من الفرقة والاختلاف. (١)

←

فلا اصلاح الا بالعدل والاحسان، فالعدل قانون الزام وحتم والاحسان قانون الخلق الرفيع الذى به الصفح وقرب القلوب بعد اعتدالها وقد يعطى العدل حقاً لشخص يتنازل عنه احساناً وتجسيداً للخلق الكريم راجياً مرضاة الله تعالى وصفاء القلوب. (محمد كاظم)

(١) تشخيص الحق تم الجري عليه من اصعب الامور، فالصراط المستقيم الذي شرعه الله تعالى مالم يطبق بايدى من هم ميزان الحق لايمكن انتظام الملة، فلو اهتدت الملة بعد الرسول (ص) بهدى اثنى عشر نقيب لاصبح السلام واقع حياة الامة ولتمكنوا بعد انقضاء فترة الامامة من السير على النهج السوى بعيداً عن الخطأ العلمي والعملى.

فبالاوصياء نظم الامة واعتدالها وصيرورتها وسطاً تشهد على الامم يوم القيامة وبأمامتهم وقيادتهم توحيد الطريق للسير نحو الكمال الذى رسمه الله تعالى لخلقه.

وبالجملة طاعة اهل البيت الذين هم الثقل الثاني للرسالة نظم الملة بقانون الاسلام نظماً به تعيش واقع السلام بعيداً عن الافراط والتفريط وقيادتهم حفظ للملة من التفرق العقائدى والتشتت العملي في مسيرة الكمال، فما حصل من الشتات والتفرقة والجهل والتطاحن بين المسلمين هو نتيجة تلكم التخلفات عن الطاعة والامامة لاهل البيت. (محمد كاظم)

(والجهاد عزاً للاسلام والصبر معونة على استيجاب الاجر)

اذ بالجهاد بذل النفوس والاموال وقمع اعداء الدين واقامة شعائره، وكل ذلك مما يوجب العز للاسلام، والصبر معونة على استحباب الاجر، فان حبس النفس على طبق القانون والصبر عليه تستقيم به الطاعة وتترك به المعصية وان الصبر اول مراتب جهاد النفس، قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) فبالصبر يستحق العبد الثواب.

وان للصبر مراحل كثيرة، صبر على الطاعة من واجب ومستحب، وصبر على ترك الشهوات والمحرمات والمكروهات، وصبر على البلاء، وصبر على حبس النفس عن الرذائل والصفات الذميمة كالحسد والحقد والنميمة ونحو ذلك وصبر فوق ذلك وهو حبس النفس عن تصور المحرمات والمكروهات (١).

---

(١) للجهاد معنى عام وهو السعي وبذل الجهد لتحقيق الحق ونصرته، فمن جاهد النفس للطاعة وترك المعصية وبعث كلمة التوحيد وتطبيق الحق في المجتمع ودفع الباطل والظلم فهو مجاهد، وللجهاد معنى خاص وهو حمل السلاح لنصرة الاسلام تحت لواء معصوم مفترض الطاعة وان امكن القول بصدق الجهاد دفاعاً عن بيضة الاسلام وكيانه، ولا شك ان امة لم تعش الحزم والتضحية عند ما تتطلب الظروف ذلك دفاعاً عن معتقدها لا تعدياً وطغياناً على الاخرين تصبح ذليلة حقيرة تأكلها الامم وتستعبدها الجبابرة والطغاة.

فشرع الله الجهاد لعز الاسلام وكرامته سواءاً منه الجهاد بالمعنى الخاص أو العام.

←

←

وان كان ليس من المستبعد لدى من تتبع سيرة الرسول(ص) ان يرى الجهاد الذي وقع في عهد رسول الله (ص) ماكان الا دفاعاً عن الاسلام والمسلمين حتى بالنسبة الى فتح مكة وليس بغزوا بتدائى، لان الاسلام يكفيه غزو الامم بالعلم والبرهان لو سار المسلمون بهدى الرسالة لتحمل الامم بقرارها النفسي روح الاسلام بكل حرية لا تمت ظلال السيوف.

فلو ان المسلمين بعد رسول الله(ص) ساروا على المحجة البيضاء بجعل البلاد الاسلامية ضياءاً يستنار به ومثالا للحرية والعدل والعلم وجميع القيم واخذوا ببث الدعوة بالتي هي احسن ورفع السدود المانعة عن نشرها ولم يقتحموا الامم بالسيف ودافعوا عن كيانهم لفتحوا العالم طراً بفتح تستسلم له قلوب جميع الامم ولما كان فتحهم وسيلة حقد تزرع روح التعصب القومي والعنصرى بين الامم.

واما الصبر فهو الثبات والحزم والاستمرار من اجل تحقيق مدارج الكمال وتطبيق الحق على النفس والمجتمع بعد عرفان الحق وعدم الجزع واليأس عند مواجهة الملمات.

فالصبر مفتاح الفرج الذى تحل به العقد وتنال المقاصد والغايات دنيا وآخره، ومعلوم ان سند الصبر لبلوغ الغاية هو الايمان كما وان الصبر هو المعين على تحصيل الثواب، فلم ينجح طالب لم يصبر على تحمل مشاق العلم ولا صاحب مهنة لم يصبر على اتقانها، فبالصبر تنال القلل الشامخات وتذوب النوائب وتحتقر الحوادث.

وليس المراد من الصبر الممدوح الاستسلام لصعاب الامور فانه

←

(والامر بالمعروف مصلحة للعامة)

ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر صلاح الفرد والمجتمع ولولاه يختل نظام الاجتماع ويقع الاختلاف بين الامة ولاينتظم امر المعاش ولاالمعاد، فمتى ترك الناس الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما هو حاصل فى هذه العصور تسلط شرار الناس على خيارها فيدعون فلايستجاب لهم كما ورد فى الحديث(١).

←

واقع الذل والجبن والهوان الذى قد تلبس باسم الايمان واصبح يفسر بأسم الرضا بالقضاء والقدر، بل الصبر هو القاعدة التي عليها البناء لتحقيق كل حق، وعليه فمن عاش الاستسلام والذل بأسم الصبر ان ينتظر بدلا من الثواب سخط الحق تعالى، لان هكذا صبر هو الذى فتح الباب امام الطاغين، فالمسلم رجل الاباء والوعى والعلم والثبات والدفاع عن القيم لاالمعتدى الاثيم ولاالجبان الحقير، وبالصبر كان نيل الكمال واماتة الضلال. (محمد كاظم)

(١) المعروف مأخوذ من الوضوح والمنكر من الجهل والمصلحة بمعنى الخير، وقد ورد فى تعريف المعروف والمنكر: ان المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالفطرة والعقل والشرع، والمنكر ماينكره ويجهله وينفر عنه العقل والفطرة والشرع.

فلايصلح المجتمع صلاحاً عاماً الا ان يسود فيه الوعى والكمال وتنمو فيه روح الدعوة الى الخير والتواصى بالحق والتباعد عن الشر، ليصبح حركة واحدة نحو الغاية والسعادة واسوة تقتدي به الامم.

والظاهر ان المراد من الامر بالمعروف هنا الدعوة الى مطلق الخير بما تعم الامر بالمعروف الواجب والامور الاخلاقية.

→

(وبر الوالدين وقاية من السخط)

فقد وردت الاحاديث الكثيرة (ان الجنة تحت اقدام الامهات) (وان عقوق الوالدين يوجب السخط الالهي)، قال تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه حسناً) وفي الدعاء (اللهم اغفر لي ولوالدي كما ربياني صغيراً واجزهما بالاحسان احساناً وبالسيئات غفراناً)(١).

←

ولم تذكر الصديقة(ع) النهي عن المنكر اما لانه من لوازم الامر بالمعروف فكأن الكلام يتضمنه بل قد يكون مشمولا للامر بالمعروف بالمطابقة، أو لان المجتمع المتواصي بالخير والصلاح المتباعد عن روح الانزواء واللامبالاة بمآسي الاخرين تموت فيه نزعات الشرور من تلكم الفئة القليلة المحبة للرذيلة ولو لارادة التعايش مع الاغلبية الصالحة والله تعالى هو العالم بتمام مراد العظماء والمسدد الى الصواب.

وان كان قد ورد في بعض النسخ ذكر النهي عن المنكر أيضاً وهو: (والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين).

اي شرع الله تعالى النهي عن كلما هو مخالف للفطرة والعقل والشرع ليبقى الدين الاسلامي كما هو بحسب واقعه نزيهاً عن شوب الرذائل فبالامر بالمعروف يكون الحفاظ على سلامة الفطرة والعقل والدين ليبقى نور الهداية مستمراً على وجه الارض وبالنهي عن المنكر يكون البعد عن الظلمة ليبقى الحق حقاً والباطل باطلا لم يختلط احدهما بالاخر في كل من مراتب الحكمة النظرية والعملية.

(محمد كاظم)

(١) قد وردت الاوامر بما لاتحصى في الكتاب والسنة بايجاب

←

(وصلة الارحام منماة فى العدد) وفى بعض النسخ (وصلة الارحام منسأة للعمر ومنماة للعدد)

صلة الارحام والاحسان للاقرباء والتعطف عليهم واللطف بهم مكثر للعدد والنسل وان قطيعة الرحم تدع الديار بلاقع(١).

بر الوالدين، قال تعالى: **(واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا)** وقال ايضاً: **(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)**، وقد ورد في مدح النبى يحيى بن زكريا(ع): **(وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيا)** ولاشك انه ما من حكم شرع فى الاسلام الا وهو واقع الكمال والبعد عن الظلام، فان الفطرة البشرية لوكانت سليمة لكان لديها من الاوليات مبادلة الاحسان بالاحسان مهما كان الاحسان قليلا ولاشك انه مامن محسن بعدالله تعالى واوليائه على الانسان هواشد عطفاً وحناناً وارق نفساً واجلد صبراً على تحمل المشاق من الوالدين فمن لم يشعر بمسؤولية الوفاء بالاحسان بالنسبة الى والديه كيف يعقل في حقه ان يحسن لاحد بروح الاحسان والا فالاحسان بدافع المصالح الشخصية قديصدر حتى من المرآئين والمنافقين، كما وانه كيف يعقل في حق عاق لوالديه ان ينصدع على يتيم أومظلوم أويتأثر لكارثة تحل بالمجتمع، فحقيق بمثل هذه القلوب ان تكون محلا لسخط الله تعالى لان من لم يشكر المخلوق لايشكر الخالق.

فبالحث على بر الوالدين تقوية روح الانسانية والاحسان والسلام. (محمد كاظم)

(١) بعد بر الوالدين جعل السعى للترابط بين الارحام بالاحسان اليهم ولو بالزيارة والسلام من احسن الامور فقد قال تعالى **(فهل**

→

عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) فجعل تعالى قطيعة الرحم فى سياق ذكر الافساد فى الارض، وقال تعالى (اتقوا الله الذى يتساءلون به والارحام).

فان بتقوية روح الاحسان وزرع الاخاء الاجتماعي يسود المجتمع ويصبح يداً واحدة في الشدة والرخاء لنصر الحق واماتة الباطل.

فلعل هناك آثاراً وضعية تترتب على صلة الرحم توجب ازدياد العدد وكثرة النسل ولعله لمجرد الفضل الالهى بجعل البركة فى نسل من وصلوا ارحامهم وان لم تكن صلة الرحم من الموجبات الطبيعية لطول العمر وكثرة النسل فلم يصل لحد الان العلم البشرى الى سر الاثر التكوينى المودوع فى صلة الرحم لطول العمر وكثرة النسل وان امكنت بعض التوجيهات التي لعلها بعض الثمرات لذلك الحكم كما وان العلم البشرى لم يتمكن لحد الان من معرفة الكثير من العلل للاحكام التى نشأت لتلك المصالح والمفاسد ولكن عدم العرفان لايدل على عدم الوجود، نعم لايمكن ان يرد حكم شرعى على خلاف الفطرة والعقل.

وبالجملة فصلة الرحم احسان والله تعالى يحب المحسنين ومن لم يحسن لارحامه ولم يتألم لمآسيهم فمن الاجدر به ان لايتألم للاخرين، إذن مهما امكن لايجوز للشخص قطع الرحم ولوكان الرحم مسيئاً لان به تفكيك عرى المجتمع والتدريب على اماتة روح الاحسان والود والحنان.

ولعل هناك بعض الشبه تطرأ على بعض الاذهان وهي ان الكثير

←

(والقصاص حقنأ للدماء)

فان بالاخذ بدم المقتول حماية للدماء لئلا تذهب هدراً لكثرة المعتدين، فان الله تعالى جعل القصاص حقناً للدماء، قال تعالى **(ولكم فى القصاص حياة يا اولى الالباب)** فبالقصاص حياة المجتمع

→

من واصلي الرحم لم يطل عمرهم ولم يزدد نسلهم والحال ان بعض قاطعي الرحم طوال العمر، كثيرى النسل.

فأن المتأمل يرى بوضوح اولا ان المراد من كثير من تلك العلل هي المعدات أوالثمرات أوالمقتضيات المحتاجة الى حصول الشرائط وارتفاع الموانع وليست بعلل تامة ولعل من جملة شرائط ترتب آثار بعض علل التشريع هو تحقيق القانون الاسلامى فى المجتمع لان القانون الاسلامي كسلسلة واحدة قدلاتحصل بعض ثمراته فيما اذا لم يطبق فى جميع جوانبه المختلفة، وثانياً على فرض كون بعضها عللا تامة ككون الايمان تطهيراً من الشرك أو الصلاة تنزيهاً من الكبر يقع الشك فى كون الحاصل من الفرد هو حقيقة الايمان والصلاة حتى يترتب عليهما اثرهما المطلوب امليس كذلك لان الاثر التام لايترتب الا على تمام حقيقة الايمان والصلاة، فمالم يحرز من الدليل الشرعى ان الذى ورد بعنوان العلة للحكم هو العلة التامة المنحصرة وجوداًأوعدماً لايمكن الحكم وتوجيه الايرادات والترددات فى علل الاحكام، فكم من علة فى لسان الشرع بما اريد منها الا بعض الثمرات كماورد في غسل الجمعة انه لرفع عرق الاباط والحال ان المغتسل قد يكون فى بلاد لم يعرق فيها. (محمد كاظم)

لان القتل قصاصاً ينفى القتل والعدوان(١)

---

(١) القصاص بمعنى القود والقص هو القطع والحقن بالفتح هو الحفظ. مقتضى العدل من جهة وتحقيق الامن للاخرين من جهة ثانية وايقاف المجرمين عن العدوان من ناحية ثالثة حقناً للدماء ودفاعاً عن المظلومين شرع الله تعالى حكم القصاص.

فبالقصاص حياة المجتمع، واى عدل ان يقتل برىء ويقضى على حياته ومسيرته الكمالية التي خلقه الله تعالى من اجلها وتصاب عائلته وذووه بالحزن والشتات ويقع الرعب فى النفوس ليبقى مجرم متوحش على وجه الارض والحال ان بحكم العقل حفظاً للفرد أو المجتمع لابد من قطع العضو الفاسد.

فمن المؤسف ان يصفق بعض المسلمين تأييداً للغرب ظناً منه ان تأييد الاقوياء يلبسه لباس المثقفين فيقول: ماهذه الاحكام الخشنة كالقصاص مثلا التي جاء بها الدين الاسلامى؟ ولكن المتأمل بروح العقل والعلم سوف يرى ان تطبيق قانون القصاص وغيره من الاحكام الجزائية فى الاسلام لو طبقت بشرطها وشروطها لماكانت الا عين الرحمة والحنان كطبيب يقطع عضواً فاسداً لحفظ البدن، فمثلا القود لايثبت الا ببينة عادلة أو باعتراف نفس القاتل عن عمد لاخطأ والحاكم عادل مجتهد مطلق والحدود تدرء بالشبهات فلايجوز الحكم الا بعد الجزم وقد جعل الله تعالى القصاص حقاً لاحكماً اى يجوز لولي الدم ان يتنازل الى الدية أو العفو وقد شجع الاسلام الناس على العفو فيما بينهم، فبعد تمامية الشروط لايكون القصاص ولاغيره من الاحكام الجزائية حكماً قاسياً، نعم اذا طبقت بعض القوانين الجزائية والتربوية طبقاً للميول كانت عين الخشونة والقسوة. (محمد كاظم)

(والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة) وقيل الوفاء بالعهد.

قال تعالى: **(يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً)** والنذر لغة الوعد والمعاهدة وشرعاً التزام المكلف الفعل أو ترك، ولانذر في معصية الله تعالى، فلايصح النذر الا فى امر محلل، فمن يفى بعهده يعرض نفسه لغفران الله تعالى(١).

(وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس)

التوفية كمال الشيء بان يعطى ذا الحق حقه بلانقص اياه والفرق بين الوزن والكيل معروف عند اهله ومأخوذ من الكيل والوزن، فانه تغيير للبخس وهوازالة الشيء عن مكانه وتبديله ونقصه، قال تعالى: **(ولاتبخسوا الناس أشيائهم)** فتريد عليها السلام ان التوفية للمكاييل والموازين تزيل البخس لكى لايعرض على المعاملة النقصان وان توفية المكاييل والموازين بركة في الرزق وكثرة فى المال وحفظ لحقوق الانسانية، قال تعالى، ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٢).

---

(١) فمن وفى بعهده مع ما به من الضعف البشري وفي له بالعهد من قبل الله القدير بالرحمة والعطاء، فتشريع النذر لتقوية روح الوفاء بالعهد ومن قوت فيه روح الوفاء بالعهد لم ينكث على عقبيه في حق عاهدالله تعالى عليه سواء في نذر أوغيره فيصبح محلاللمغفرة والعطاء الالهى. (محمد كاظم)

(٢) من لايفى المكيال والميزان شخص لايرى حق الحياة لغيره فهو ماكر محتال ولو تلبس بلباس الاتقياء والزهاد فى عباداته وصلاته

←

(والنهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس)

المراد من الخمر المسكر مطلقاً وسمي الخمر خمراً لانه يستر العقل وان كل ما يسكر فهو حرام ومن جملته الفقاع، قال تعالى **(انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)** فان للخمر مضاراً كثيرة منها اذهاب العقل وافساد النسل والبدن والجرأة على ارتكاب المحرمات وعدم القيام بوظائف الانسانية الى غير ذلك، فقد نهى الله تعالى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس والرذيلة وللنجاسة العارضة من الخمر(١).

(واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة)

القذف هو رمي الانسان بالفاحشة، فان اجتناب القذف ستر عن

←

ومن المؤسف ان يعيش الخيانة والمكر في معاملاته الكثير ممن يدعى الاسلام قال تعالى فى سورة المطففين **(الا يظن اولئك انهم مبعوثون)** نعم من اعتقد بموقف يوم القيامة لا يرتكب مثل هذه الخيانة ولايعيش حب الحياة لنفسه فقط واضرار الاخرين، ومن المعلوم ان بالتلاعب بالموازين والمكاييل يتعرض الامن الاقتصادى الى الخطر وتذهب الثقة فيما بين الناس. (محمد كاظم)

(١) من اراد ان يعرف مضار الخمر ونجاساته البدنية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها فعليه بمراجعة الكتب المختصة ببيان هذا الموضوع اعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل. (محمد كاظم)

اللعنة والطرد من الله تعالى والناس، ومعلوم ان لعنة الله تعالى لايتحملها العبد لما فيها من البعد عن الرحمة، فمن منع نفسه عن قذف الناس فقد حجب عن لعائن الله تعالى(١)

(وترك السرقة ايجاباً للعفة)

فان افضل العبادة العفاف كما في الحديث وان النزاهة عن رذيلة السرقة والتعفف عن التصرف في اموال الناس من غير اذن شرعي من اظهر موارد العفاف، فربما يصادف السارق اموال يتيم أومظلوم أوارملة

---

(١) من اتهم الناس بالفحشاء وعرضهم للعن وسقوط الكرامة لابدان يتعرض للعن الله وسقوط الكرامة دنيا وآخره، وان حكم القذف وان كان ثمانين جلدة لايقاف المعتدين على كرامات الناس لكن عذاب الله يوم القيامة اكبر، لان شدة الحكم التأديبى وخفته لاتحكي واقع الجريمة شدة وضعفاً عندالله تعالى يوم القيامة فلربما الصلاح الاجتماعى يقتضى شيئاً في دارالدنيا بحكم الاسلام والحال ان الجريمة عظمى قد تستوجب سخطاً دائماً الهياً، واما كون القاذف يلعن نفسه فلانه بفطرته يحس بخروج نفسه عن الحق، ولذا يحس بقبح الجريمة لو صدرت من الاخرين بالنسبة اليه واما لعن الشخص لنفسه يوم القيامة فلان المجرم لاشك سيندم على ما صنع من ظلم نفسه لان كل انسان بفطرته يميز الحق من الباطل ولكن تدعوه الميول والاغراض الى الانحراف عن المنهج السوى فاذا كشف عنه الغطاء كان بصره حديداً، قال تعالى **(فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)**. (محمد كاظم)

فعندها يكون الذنب اشد(١).

(والتنزه عن اكل اموال الايتام والاستيثار بفيئهم اجارة من الظلم)

الوالد (قده) (٢). . . . .

(١) السرقة اخذ الشخص مالا يملك سراً، فهي بمفهومها العام تشمل كل من نهب اموال الناس بوجه غير شرعي باختيار وارادة من غير حاجة ملجئة، فاذن الحاكم الذي ياخذ اموال الناس بغير حق سارق وكذا الكاسب المحتال أو غيرهما، كما يشمل الاطلاق لمثل العلماء الذين يحيفون على الحقوق الشرعية ويصرفونها في رفاه انفسهم أو في الوجوه والاعتبارات، نعم للعالم حق كبقية الناس ان يأخذ من الحق الشرعي بقدر الحاجة ان كان من المحتاجين وان كان حكم قطع اليد خاصاً بمن سرق المال من حرز بشرائط خاصة ولكن عدم قطع اليد لايدل على ان من نهب اموال العامة اقل جريمة بل قد يكون حكمه الالهي اشد لانه مؤتمن خان الامانة ولم يتعفف عن السرقات.

(محمد كاظم)

(٢) التنزه هو التباعد والاستيثار هو الاستبداد بالشيء وتخصيصه بالنفس فقط والفيىء بمعنى الرجوع والمراد به هنا سلب مايرجع الى اليتيم من مال فهو اعم من الفيء بحسب الاصطلاح، فقد جعل الله تعالى التباعد عن اموال اليتامى والاستبداد بها وتخصيصها بالنفس ومنع اليتيم منها بتاتاً حفظاً من الظلم لليتيم وظلم النفس وهو ظلم المعتدى لنفسه.

فالاستيثار اخص من الاكل، فآكل مال اليتيم قد يشرك اليتيم معه في الاكل ولكن الاستيثار هو اكل الظالم مال اليتيم مع منع اليتيم

(والنهى عن الزنا تحصناً عن المقت)

الوالد (قده) (١). . . . .

→

من الاكل، قال تعالى (ان الذين يـأكلون اموال اليتامي انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً).

فكما ان للعلم والايمان وغيرهما من صفات الكمال مراتب كذلك للرذيلة والدناءة مراتب، فمثلا الكفر قد يصل الى انكار الصانع وقد يصل الى انكار التوحيد بجعل الشريك له تعالى او الى الشرك في مرتبة العمل لا في مرتبة العقيدة كأن يعبد المال او الجاه والشهوات، كذلك للظلم العملى مراتب فكما ان اعظم مراتب الظلم العقائدى انكار الصانع، فان اعظم مراتب الظلم العملي هو العدوان على اموال اليتامى لانه يحكى غاية الخسة والسقوط عن الشرف الانساني، فالمعتدى على اموال الكبار يحكى روح العدوان والسبعية ولكن المعتدى على اموال اضعف خلق الله تعالى وهم الايتام الذين لا دافع لهم ولا مانع غير الله يحكى خسة النفس وجبنها وقسوتها التي لاقسوة فوقها، لان اليتيم الذي بحسب الفطرة البشرية ترق له كل نفس، لاتتحمل العدوان عليه نفس الا بعد الخروج عن واقع الانسانية والتكذيب بالدين و جميع القيم الحقة.

(محمد كاظم)

(١) حصن حصانة كان منيعاً فهو حصين والحصن جمعه حصون والحصين من الاماكن هو المنيع وقد يراد من الحصانة العفة والمقت هو شدة البغضاء.

←

(والعدل ايناساً للرعية) وقيل وعدل الحكام ايناساً للرعية.

الوالد (قده) (١). . . . . : : :

←

فكما هناك بعض الامور تسبب شدة التحبب الى الله تعالى هناك ايضاً بعض الامور توجب شدة المقت والبغضاء الالهية.

فقد جعل الله تعالى بتشريع النهى عن الزناء الحصن المنيع للانسان ليبتعد عن مقت الله ولا يتعرض لشدة سخطه وبغضائه تعالى.

(محمد كاظم)

(١) الايناس ضد الوحشة والرعية بمعنى الناس من رعيت الماشية اذا سرحت بها فيقال راع لانه يقوم بتدبير امور الناس.

فلا شيء املك لقلوب الناس من العدل وان اساء بعض الخاصة، فبالعدل وضع الامور في محالها، فعند قانون العدل لا قوى ولا ضعيف ولا حاكم ولا محكوم كل يسير تحت ضوابط القانون يردع بالعدل المعتدى عن العدوان ويوصل ذوالحق الى حقه.

فأين المستسلمون للحقيقة بواقع الايمان ليذوقوا حلاوة العدل بطلعة الرحمن، فتملىء الارض عدلا وقسطاً من بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فلا حياة للرعية بلا عدل، فبالعدل حياة الحرية والكرامة والشرف والانسانية وبالظلم اماتة القيم وان تلبس الظلم برداء الصالحين وترنم فوق منابر المتقين.

نعم لابد للصبح من ساعة تسكت فيها حناجر المبطلين وتفند فيها آراء الماكرين وتفر فيها جيوش الظالمين، فيستأنس عندها طلاب اليقين، اللهم وفقنا لمشاهدة الطلعة السنية وخدمة الراية

←

←

العلوية، فبالخلف الميمون لابغيره الفرحة والامان وان تكثرت قبله رايات المدعين، اللهم اجعلنا ممن هم عند الصباح يحمدون.

(محمد كاظم)

(١) الجور هو الميل عن الحق الى الباطل والوعد يكون بالخير والوعيد أو التوعيد يكون بالشر والعذاب.

فيصبح المعنى ان الله تعالى جعل ترك الجور في الحكم فيجميع الاشياء بما يعم الحكم في باب القضاء والميل الى الحق والرشاد دليلا يحكى ويثبت قدر الاعتقاد بالوعيد والعذاب الالهى ورسوخه في الضمير، فكل انسان يجتنب الباطل على قدر اقرار النفس بيوم الحساب وعلى قدر ضعف الايمان تكون المعاصى، فترك الجور في الحكم بأى قدر منه يدل على قدر منزلة الشخص باعتقاد الوعيد الالهى، أو المراد ان الله تعالى لما شرع ترك الجور في الحكم في جميع الاشياء وأمر بالميل الى الحق والرشاد كان ذلك دليلا يرشد الخلائق الى انه ما كانت لتشرع هذه النواهى لولا ثبوت العقاب على من خالف النهى الالهى، فأذن تشريع ترك الجور في كل موضوع كان فيه مفسدة يقتضى ويدل على ان المخالف يستحق العقاب الالهى لوخالف ما نهى عنه.

وتوضيحاً لمعنى ترك الجور في الحكم بما يعم الحكم في باب القضاء وانه ما من موضوع عقلى أو غير عقلى الا وله حكم ايجاباً أو سلباً نضرب له بعض الامثلة فنقول: من عدل عن انكار الصانع

←

(وحرم الله الشرك اخلاصا له بالربوبية)

منع الله تعالى من الشرك ليعبد العبد ربه مخلصاً له الدين (١).

الى وجوده و من الشرك الى التوحيد ومن زيادة الصفات على الذات الى كونها عين الذات مصداقاً كان تاركاً للجور في الحكم الى العدل فيه بالنسبة الى مسائل التوحيد وهكذا في كل باب سواء كان من العقائد كالنبوة والامامة والعدل أو كان من الفروع واحكامها اذا عدل الانسان من الجور في الحكم الى العدل والحق فيها كان على المعنيين اثباتاً للوعيد.

فأذن ليس من الجور في الحكم فقط مالو حكم القاضي على خلاف الشرع بل الجور اعم من ذلك وهو الحكم على الموضوعات على خلاف ما هي عليه في جميع الامور سواء كان جوراً عقائدياً اوعملياً ولعلها عليها السلام ارادت غير ذلك والله العالم بتمام مراد العظماء.

(محمد كاظم)

(١) من بعد ما اشارت (ع) الى بعض علل التشريع توجهت لتنذر البشرية اعظم خطر يأخذ بها الى عقر الظلمات وهو جعل الشريك للمبدء تعالى في الخلق والتأخير في الكائنات لانه اذا حصل الاقرار النفسي حقيقة بانه لامؤثر في الوجود الا الله توحدت الحركة الكمالية نحو الغاية بالخضوع لمبدء الكمال وانتهت بذلك عبادة الشمس والقمر والجن وبعض المجردات وذهب الخوف من تأثير اله الشرور وعرف الانسان انه ما من شيء الا وهو بقضاء وقدر الهي وابتعد عن اوهام المجبرة والمفوضة وعاش الامر بين الامرين

→

وماتت عنده نزعات النفاق والرياء وصغر كل شيء عنده في جنب الله تعالى.

فالشرك اكبر الكبائر بعد الالحاد وانكار المبدء تعالى كما هو صنع الشيوعيين، لان بالشرك ابطال الغاية التي خلق الله تعالى الخلق من اجلها وهي الحركة بالسبل التي ارشد اليها الله تعالى نحو غاية الغايات والكمال المطلق.

ومعلوم ان الشرك انما يكون في مرحلة الفعل والايجاد والتأثير في الكائنات، فما كان مشركوا قريش ينكرون مبدء العالم ولكنهم كانوا يقولون ان هناك ارباباً للاشياء تقربهم الى الله زلفى كما وان من الراجح ان المجوس ما كانوا ينكرون المبدء ايضاً بل كانوا يقولون بوجود مبدء واحد وهو الاهورا مزدا ولكن بعدهذه المرحلة يرجع امر الخلق الى الهين، اله النور والخير وهو اليزدان واله الشر والظلمة وهو الاهريمن ولعل المشركين عموماً هم حصيلة انحراف عن الاديان الالهية الذي قد حصل شيئاً فشيئاً حتى وصل بهم الامر الى مرحلة النجاسة المعنوية بل والبدنية ايضاً وما كان ذلك ليحصل لولا انحراف الناس بعد الانبياء عن الاوصياء ورجال الصلاح من بعدهم، حتى اصبح الحكم بأيدى الجائرين والعلم بايدى الماكرين.

وقد وردت الروايات ان صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه حينما يدعو الناس الى الاسلام يقول الناس الامن طهرت نفوسهم انه قد جاء بدين جديد، أجل انه يأتى بدين جديد على الناس سنة وشيعة

←

من بعد ما ابتعدوا عن المنهج السوي وبقيت الاسماء لم تحمل واقع المسميات والقيم والا فذلك المنجى العظيم لم يأت الا بشرح رسالة الاسلام بكل بطونها السبع والسبعين المشيرة الى لا نهاية الكمال علماً وعملا.

وبالجملة من ايقنت نفسه ايقاناً نافذاً في الضمير بان مربى الكائنات طراً تكويناً وتشريعاً هو الله تعالى وانه لاموجد ولا مؤثر ولا ضار ولا نافع الا الله، وان ماينال الانسان من خير او شر ظاهري انما هو طبقاً لحكمة الاختيار والاختبار وان السير التكويني والتشريعي الربوبي يسير بالبشرية نحو الجنان وبالمخالف لنهج الكمال نحو النيران، وان (كل نفس بما كسبت رهينه) فمثل هذا الشخص لايمكن ان يعبد ويتابع في قول او فعل غير الحق ومنهجه السوي، فأذن من سار على خلاف المنهج السوي كلا أو بعضاً قد اشرك مع الحق غيره ولو بقدرما، وعليه فعبدة الاصنام هم المصداق البارز لعنوان الشرك وللشرك مراتب مختلفة وقل من لم يتلوث ببعض مراتب الشرك.

ولعل القرآن الكريم لم يشدد الهجمة على الملحدين كما صنع بالنسبة الى المشركين والمنافقين، لان الالحاد مهاجمة الفطرة بكل صراحة ومن هاجم الفطرة حكم على نفسه بالفناء فهم اقل خطراً من المشركين والمنافقين ولكن الخطر كل الخطر في تمويه الباطل بالحق.

(فاتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون)

الوالد (قده) (١). . . . .

فالشرك جرثومة فساد داخل الهيكل السوي والمنهج المستقيم، فلذا اخذ الاسلام يضرب بيد من حديد على المشركين الذين كانوا في خارج الهيكل الاسلامي يتترسون بأحد اكبر رواد السلام ابراهيم عليه السلام وعلى المشركين الذين كانوا في داخل الهيكل الاسلامي كما صنع مثل ذلك بالقياس الى المنافقين ولكن اخذت تتضاءل الهجمة عليهما بعدرحيل الرسول الاعظم(ص) لان بقيادة الرسول صلى الله عليه وآله الحكيمة ما كانا قادرين بالامتزاج تماماً بصفوف المسلمين، فلما رحل(ص) الى جوار ربه عميت السبل على الابصار، فاصبحت الابصار بعد متابعة الهوى غير قادرة على مشاهدة الحق حقاً والباطل باطلا، لان من عرف الحق عرف اهله، كما قال على(ع) لا يعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف اهله.

(محمد كاظم)

(١) التقوى من الوقاية والصون، واتقى الرجل اى صان نفسه ومنعها عن الباطل، فالمراد صونوا وامنعوا انفسكم عن الباطل بالحق علماً وعملا لما في الحق من المانعية والصيانة ومالم تقوا انفسكم تماماً بالحق لايمكن ان تأمنوا اذى الباطل من الانحطاط عن الكمال والفضيلة الذي يلزمه البعد عن رحمة الله تعالى الذي بعض آثاره هو ما يعيشه البشر من الجهل والتطاحن والعدوان، فالوقاية بحمى الحق عن الباطل وهي حصن الله الحصين. والتقوى لله تعالى حق تقاته نسبية لاختلاف العقول والقابليات علماً وعملا نعم حكم الجاهل ←

الوالد (قده). . . . .

القاصر يختلف عن المقصر والا فلو اريد حق التقوى المناسبة لشأنه تعالى لكان من الطلب بما ليس مقدوراً الا بالنسبة الى من هم اعلام الهدى وحاشا الله تعالى ان يطلب ما ليس مقدوراً من احد، فأذن التقوى المطلوبة من ذروة عالم الامكان وجامع الكلم الرسول الاعظم (ص) لو فرضت بمائة درجة فلو اتقى (ص) على الفرض بتسع وتسعين درجة لما كان قد اتقى الله تعالى حق تقاته وكذا من له من القابلية خمسين درجة لو اتقى الله باربعين درجة لكان مسؤولا عن عشر درجات فقط ولا يسأل عن حق التقوى بمائة درجة ولعل آية (واتقوا الله ما استطعتم) تكون مفسرة لاتقوا الله حق تقاته وان كان المطلوب من الكل التقوى بقدر امتثال الاوامر والانتهاء عن النواهي أو المراد من اتقوا الله حق تقاته اتقوه تقوى ارادها منكم على لسان رسوله الاعظم (ص) وهي ما بينت لكم باوامر الله ونواهيه وكل تقوى لم ترد فيها الاوامر والنواهي فهي ليست من التقوى بل من الاوهام والجهل المركب وقد ورد عن الصادق (ع) في بيان التقوى: (ان لا يفقدك حيث امرك ولا يراك حيث نهاك) ولا يحصل امتثال تتحقق فيه التقوى الالهية الا من طريق العلم.

ولما كان الاسلام هو حقيقة الاستسلام للحقيقة الذي به قطع جميع قيود العبودية لغير الله تعالى وان اكتفى الله عزوجل بالاعتراف بالشهادتين لفظاً للدخول في المجتمع الاسلامي في دار الدنيا حذرت عليها السلام المسلمين من ان يموتوا وهم يعيشون الردة عن واقع الاسلام. (محمد كاظم)

(واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فانما يخشى الله من عباده العلماء)

يخشى الله تعالى من عباده العلماء الذين عملوا باحكامه وعرفوا مقامه، فان من كان علمه اكثر كانت خشيته من الله اتم، فكأنها عليها السلام قالت: ان الخشية الكاملة هي وظيفة العلماء وانه لا خشية الا بالعلم والمعرفة وتطبيق القوة العملية على طبق القوة العلمية والا فقد حق قوله تعالى على هذه الامة (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) فقد اشارت(ع) بخطابها هذا اليهم لوكانوا يهتدون بان الاسلام دين الاخلاص والتسليم لاوامر الله ونواهيه لادين الاغراض والشهوات وحب الرياسة، فقالت لهم اتقوا الله حق تقاته ولكنكم لم تتقوه ومن لم يتق الله حق تقاته لم يكن مسلماً بالقول والفعل تماماً، فالذى ينبغي لكم ان تطيعوا الله فيما امركم به وتنتهوا عما نهاكم عنه حتى تكونوا مصداق قوله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء.

فقد ادت ام الائمة الاطهار ما كان عليها من الوظيفة والواجب من تنبيه هذه الامة التي أخذت بالسير نحو الشبهات وتركت قانون الله وقرآنه وراء ظهرها طمعاً في الرياسة وحب الجاه والمقام، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (١).

---

(١) ليس المراد من قوله تعالى: فانما يخشى الله من عباده العلماء، ان العلماء يخشون الله بل المراد ان لا خشية تتحقق بدون علم، فالجهال يخشون ماحكت لهم اوهامهم، فكلمة انما اداة حصر ←

(ثم قالت(ع) أيها الناس اعلموا انى فاطمة! وأبى محمد! اقول عوداً وبدءاً ولا اقول غلطا ولا افعل شططا)

ان فاطمة (ع) افادت الامة الاسلامية من المهاجرين والانصار

←

تفيد ان الخشية لله لا تتحقق من جاهل وكيف يخشى الله من لا يعرفه، فكلما ازاد الانسان علماً امكن ان يزداد خشية لله تعالى، لان بالعلم استنارة الطريق والجهل ظلمة وان حسب الجاهل انه يحسن صنعا ولكن العلم ليس علة تامة للايمان بل مقتض لو حصلت معه الشرائط وارتفعت الموانع كان مؤهلا للخشية والا فكم من عالم اضل امة واقتحم كبريات الجرائم وقدم على تشويه السبل وتأويلها طبقاً للميول والاغراض، قال امير المؤمنين: **قصم ظهرى شخصان، عالم متهتك وجاهل متنسك**، فان من ابراز مصاديق الجهال الناسكين خوارج النهروان اصحاب الجباه السود، كما وان العلم بمجرده لا يكفى لتحقيق التقوى لان به انكشاف الواقع ودرك الحقيقة وهو المقدمة للجرى على الصراط المستقيم.

وقد يراد من العلم هنا ما انطبعت على طبقه النفس انطباعاً تاماً فاصبح العلم عين الالتذاذ بالسعادة والكمال فان مثل هذا العلم لا تتخلف عنه الجوارح فانه علم العاشقين الهائمين في سبل الكمال وطريق النور وهو العلم بمعناه الحقيقى الذي يصبح والنفس شيئاً واحداً فيكون وجوده كافيا لحصول الخشية.

(محمد كاظم)

جميع الحقائق وذكرتهم بها ولم تقل يا ايها الناس اشارة لضيق الوقت والاهتمام بالمطلب، فقالت: ان قولى هو قول الحق الذى لا يمازجه باطل فهو قول عود وبدء اي اولا وآخراً، ولا اقول ما اقول غلطاً ولا افعل ما افعل شططاً ولا أتجاوز عن الحدود، فليس قولى سرفا ولا فيه تجاوز عن الحق. (١)

---

(١) بعد الثناء وبيان علل التشريع جاءت (ع) لتظهر انحراف السلطة عن منهج الحق وتنذر مغبة العدوان بأسم السلام، مخاطبة الانصار والمهاجرين بانكم انتم العرفاء بهذا الدين فعليكم بمتابعة الحق والبعد عن الهوى فقالت (ع) انى فاطمة بنت محمد (ص) تريد بذلك التأكيد على اتمام الحجة على المجتمع الاسلامى الى يوم قيام الساعة لانه من المسلم عند الجميع ان قولها الحق وان غضبها غضب الجبار ولكي لا يدعى بعض الحاضرين بعد ذلك انه ما كان جازماً آنذاك بانها فاطمة بنت محمد (ص).

ولعل المراد من العود على البدء انه اول كلام وآخر كلام اتكلم به فان افقتم من سباتكم والا كان اقامة للحجة او المراد به انه كلام متناسق مترابط قائم على العلم والبرهان والاسس الاسلامية كله بمتانة واحدة بدءاً وختاماً لانه روح الاسلام وتجسيمه فختامه عين بدئه لان الحق لاتنافر ولا تناقض فيه أو المراد انى لا اقول الا عين الصواب لانى اتكلم عن يقين وجزم بحقائق الامور.

(محمد كاظم)

(ولقد جاءكم رسول من انفسكم)

اي من البشر ومنكم ايها العرب الذى هو من ذرية اسماعيل الذبيح فهو من اطيب بيوتات مكة لم يكن من الجاهلية في شيء فلم يعبد الاوثان.

(عزيز عليه ما عنتم)، العنت من المشقة بمعنى انه شاق عليه عنتكم ومايلحقكم من الضرر لترك منهج الحق والايمان وهلاككم في الاخرة بانكاركم ما جاء به الرسول (ص) .

(حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)، فانه حريص على اصلاحكم رؤوف رحيم بالمؤمنين.

(فأن تعزروه وتعرفوه تجدوه أبى دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى اليه)

ان هذا النبي ان نسبتموه وعرفتموه فانكم تجدوه ابي دون نساءكم وتجدوه اخا ابن عمي دون رجالكم فهو في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها وانا ابنته فأن غزرتموه فلا تجدوه أباً لنساءكم ولا اخاً لاحدكم غير ابن عمي علي عليه السلام وكفت النسبة اليه وهو خاتم الرسل وسيد الانبياء (١)

---

(١) فلعل هذا يفيد مسئلة تأريخية وهي انه ليس لرسول الله (ص) من خديجة عليها السلام بنتاً غيرها وما نسب اليه من البنات فأنهن ربائب، فأن الربيبة تسمى بنتاً عند العرب ولعل هذا مما يقرب عند التحقيق تأريخياً واضف على ذلك انه تأكيد لما هو مسلم في قلوبهم من ان ابوة الرسالة حقاً لم تتحق الا بينه (ص) وبينها (ع) واخوة الرسالة كذلك لم تتحقق الا بينه (ص) وبين ابن عمها علي (ع) كما ←

(فبلغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلا عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يكسر الاصنام وينكث الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه واسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق)

قد بلغ الرسالة على احسن وجه واكملها، صادعاً بالنبوة، قال تعالى: وانذرهم يوم الازفة، وقال أيضاً: انما انت منذر من يخشاها، وقال الامام الباقر (ع): أما والله ماذهبت الهداية منا ومازالت فينا الى يوم القيامة، فالرسول الاعظم (ص) هو المنذر والمخوف من اهوال القيامة والبرزخ، مائلا عن مدرجة المشركين، فانه (ص) قد اعرض عن مذهب المشركين وسلوك الفاسقين، ضارباً ثبجهم فانه (ص) ضرب على معظم جماعاتهم ورؤوسهم حتى قمعهم بالبرهان، آخذاً باكظامهم حيث قبض على انفاسهم حتى ضاق بهم المجال كما يضيق بالانسان عندالاخذ بمخرج نفسه فقدكان(ص) لايبالي بكثرة المشركين، داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة ←

→

وان اخوة الاسلام قد تحققت بين المسلمين حينما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم فجعل الاخوة فيما بينهم على قدر منازلهم في القرب والبعد الديني، فآخى بين القريبين في المنهج، فقد أخى بين نفسه(ص) وبين علي(ع) وكذا بين ابي بكر وعمر وهكذا بين بقية المسلمين فجعل(ص) ايمان علي(ع) في الاسلام ايمان نفسه صلى الله عليه وآله وايمان ابي بكر في الاسلام ايمان عمر. (محمد كاظم)

(وفهتم بكلمة الاخلاص فى نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطىء الاقدام تشربون الطرق وتفتاتون القد والورق اذلة خاسئين، تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم، فانقذكم الله تعالى بمحمد ←

→

الحسنة كما قال تعالى: ادعوا الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن، فاظهر (ص) البراهين القاطعة والموعظة الحسنة والخطابات المقنعة والعبر النافعة والاخلاق العالية، متجنبا فى ذلك كله طريق المغالطة والشعر والجدل، يكسر الاصنام وينكث الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، فانهزمت جيوشهم بأذن الله تعالى، قال تعالى: اقطع دابر الذين ظلموا، فتريد عليها السلام انهم ادبروا أو ذهبوا وتفرق جمعهم حتى تفرى الليل عن صبحه وانكشف الصبح وأضاء كما قال تعالى: والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر فاسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين بالحق والزعيم هو السيد والكفيل والمطاع فهدأت الشقشقة وانطفأ الخلاف واشرف على الهلاك وخرست شقاشق الشياطين وهى اصوات المفسدين وابيد نفاقهم وانحلت عقد الكفر والشقاق، فذهب النفاق والرياء بقوة الاسلام وجهاد أهل الايمان حتى اختار الله دينه لعباده واذهب عنهم الكفر واضمحلت عبادة الاصنام وانحلت عرى النفاق واستحكم الايمان وابرمت وثائق الدين، والصادع هو المظهر، والنذارة من الانذار والتخويف، والثبج وسط الشيء، واسفر الشيء اذ انكشف واضاء، والمحض هو الخالص الذى لاشوب فيه، والوشيظ هم الخدم والاتباع.

صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، بعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما اوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف اخاه في لهواتها فلاينكفيء حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه)

قالت(ع) فهتم اى حتى نطقتم بكلمة الاخلاص فى نفر ورهط، ونفر الانسان ورهطه عشيرته والنفير الخروج مطلقاً والفزع من الشيء فارتحلوا وأسرعوا في نفر من البيض الخماص اى خالين من الطعام كما تقول: خمص البطن وكما في الحديث: ان الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ممتلئة الاجواف ومن ذلك المخمصة بمعنى المجاعة وتريد من البيض الخماص أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهو كناية عن بياض وجوههم أو سريرتهم وشرفهم وانهم ضمر البطون بالصوم وقلة الاكل وعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل وقد يعم التعبير من آمن بالرسول(ص) وثبت على الحق كأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر وسلمان واضرابهم من الانصار والمهاجرين وهو كناية عن الاخلاص فى عملهم وانهم بيض القلوب والوجوه، بخلاف أهل الشرك والنفاق حيث يوصفون بسود الوجوه والقلوب. فكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها بان ارسل اليكم رسول الهدى، فلما أجبتم انقذكم الله من النار بعد ان اشرفتم عليها و اوشك ان تقعوا بها وشفا حفرة الطرف من الشيء وشفته المنهارة كاشراف المريض على الموت وشفا جرف موضع نزول السيول عند ما تأكل السيول الاراضى وتنهار.

ومذقة الشارب، المذقة بضم الميم شربة من اللبن الممزوج بالماء

←

وتريد بذلك الذوق والقوة الادراكية كما تقول اذا ابدا الله وبال أمره.

ونزهة الشارب والطامع كناية عن القلة اى كنتم اذلة قليلين تكاد ان تتخطفكم الناس من الروم والفرس وبعض العرب.

وكنتم قبسة العجلان، اى كالقبسة من النار والاخذ منها شيئاً قليلا على نحو العجلة وكنتم موطىء الاقدام لشدة ذلتكم.

تشربون الطرق وهو ماء السماء الذي تبول فيه الدواب والابل والطارق وهو النجم المضيء الثاقب، وتقتاتون القد اذلة خاسئين، تريد بذلك ورق الشجر وأكلهم من الاشياء الخشنة وشربهم للمياه المتعفنة كالنقيع صاغرين مبعدين عن المدنية والحضارة وهو يشبه قوله تعالى: كونوا قردة خاسئين، فكنتم خاسئين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم من الامم.

فأيدكم الله بنصره ورزقكم من الطيبات فماشكرتم بل ظهرت فيكم غرائز الشقاق ومظاهر الكفر والنفاق، فانقذكم بأبى محمد (ص) من الانحطاط والرذيلة والملكات السيئة الى اوج الكرامة وشرف الدين وكرامة الانسانية، بعد اللتيا والتي واللتيا تصغير التي وهو كناية عن الدواهى الكبار والصغار تشبيهاً للمقام بالحية حيث انها اذا صغرت كثر سمها وقصة اللتيا والتي معروفة كما هو المنقول عن قضايا العرب وشرح الفيلسوف البحراني الشيخ ميثم فقد نقل ان رجلا تزوج امرأة قصيرة سيئة الخلق فقاسى منها الاذى، فاضطر الى طلاقها وتزوج بعد ذلك امرأة طويلة فجرعته اضعاف السابق، ثم سئل هل تزوجت بعد طلاق الثانية فقال: لاأتزوج بعد اللتيا والتي، فصار مثالا يضرب في كل حادثة مؤذية اذا جاء الاشد منها.

ثم قالت (ع) بعد ان مني ببهم الرجال اي بعد ان ابتلي بشجعان العرب ومن بهم بأس شديد وذؤبان العرب من اللصوص والصعاليك ممن يسلبون الناس اموالهم كالذئاب ومن بعد ما ابتلي بالمردة وهم العتاة من المنافقين الذين عتوا عن أمر ربهم كالشياطين المردة الظاهر شرهم اي العتاة المتكبرين والمتجاوزين للحدود الالهية من أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك المجوس بناءاً على انهم من أهل الكتاب ولعلهم كالكثير من أهل الكتاب قبل عيسى وموسى ممن قد انقرضوا وخرجوا عن كونهم كتابيين ولذا لم يعامل الاسلام غير اليهود والنصارى معاملة أهل الكتاب لانهم ليس لهم استناد الى كتاب ولاخضوع الى قانون الهي وان انتحل بعضهم الى بعض الانبياء فهم كاذبون في دعواهم.

ثم قالت(ع): كلما اوقدوا ناراً للحرب اى جعلوا وقودها من الانفس اطفأها الله واخمدها كما تطفأ النار بالماء وكلما دبروا امراً على رسول الله(ص) ابطله الله.

أو نجم قرن للشيطان والمراد بقرن الشيطان هم المتابعون له وفغرت فاغرة، بان انفتحت نافذة من المشركين ويراد بها ظهور الفتن قذف ابن عمه وهو علي(ع) فيها، فيقذف الرسول(ص) الحق على الباطل، فقد قذف اخاه في لهوات تلك الحروب فلاينكفىء ولايرجع حتى يطأ صماخ الحرب باخمصه اى حتى يجعل على آذانهم مالايصيب الارض من باطن القدم وهو كناية عن شدة اذلالهم بواسطة علي(ع) ويخمد لهب نار الحرب بسيفه، فالصديقة(ع) تريد من هذه العبارات الغلبة على المشركين واخماد نيران الحرب والفتن بسيف علي(ع) وما كان من رفيع مقام على(ع) ضد الباطل.

(مكدوداً فى ذات الله)

بيان حال علي(ع) في ذات الحق من انــه اتعب نفسه الزكية في اوامر الله ونواهيه.

(مجتهداً فى أمر الله)

اي باذلا كل مايملك من القــدرات بكل جهد في سبيل اعلاء كلمة الحق والاجتهاد هو الجد الشديد.

(قريباً من رسول الله)

فهو ابن عمه واقرب الناس اليـه في المعارف الالهية ووصيه وخليفته فهو قرب الامامة من النبوة واي قرب كقرب علي(ع) مـن رسول الله (ص) فلاريب انه اقـرب الناس نسباً ومصاهـرة ومعرفة من رسول الله (ص).

(سيداً فى اولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً)

ان علياً(ع) سيد اولياء الله تعالى كما ان محمداً (ص) سيد انبياء الله وخاتم رسله وانه (ع) هـو المشمر المسرع والمتهيء للطاعة الالهية دائماً، ناصحاً بصدق وعمل واي نصح اعظم من نصح علي(ع) لرسول الله(ص) في النصف واخلاص النية والنصيحة لله هي الاخلاص والاعتقاد في وحدانيته الكاملة وفي اخلاص العبادة وفي نصرة الحق وجهاد الكافرين والتصديق بكتابه ودفع تحريف الغاليين وانتحال المبطلين ونصيحته لرسول الله(ص) تصديقه اياه في نبوته والثبات معه في كل حق والانقياد لكل ما أمر ونهى.

فعلي(ع) هو المجد والكادح الساعي في العمل بكل جد ورغبة واجتهاد.

(وانتم فى رفاهية (بلهنية) من العيش)

وانتم في رفاهية وسعة في المأكل والمشرب والمرادمن العيش هي الحياة وأما التعيش فهو تكلف اسباب المعيشة وتهيئة ادوات الحياة(١).

(وادعون فاكهون آمنون)

فقد كنتم تعيشون الراحة وعدم الاضطراب، آمنين كما ان الوديعة آمنة بحفظ الامين لها، منعمون في الحياة، تتفكهون كما يتفكه الانسان في المأكل والمشرب.

(تتربصون بنا الدوائر)

فقد كنتم تنتظرون بنا نزول البلاء وحوادث الايام وزوال النعم التي انعم الله بها علينا وتنتظرون في كل حين وآخر وقوع الشدائد والمصائب على أهل هذا البيت.

---

(١) من هنا بدأت(ع) بتقسيم المسلمين الى قسمين رئيسيين وكان التقسيم بلحاظ الجنس والاغلبية لابنحو الشمول لكل فرد فرد من الفريقين والا ففي المهاجرين بعض العظماء وفي الانصار بعض قادة المنافقين، فالقسم الاول هم معظم المهاجرين الذين دخلوا في الاسلام افواجاً بعد الفتح أو من قبل ذلك فكانوا جمعاً منظماً يتربص الفرص ويعيش الامن والبعد عن الاخطار ولكن بعد تمام الامر فرضوا انفسهم على المجتمع الاسلامي ولذا عليها السلام ماعاتبت هؤلاء وانما كان عتابها مع الانصار من انهم كيف اصبحوا بعد ←

(وتتوكفون الاخبار)

اي تتوقعون وتنتظرون وقوع الفتن والبلاء بنا.

(وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال)

تنكصون اي ترجعون القهقرى كما ينكص الرجل على عقبيه وتفرون من القتال وهذا اشارة منها عليها السلام الى نفاقهم وعدم ثباتهم على الدين في عهد رسول‌الله (ص)(١).

(فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى اصفيائه)

وهي دار الرفعة والجنان والرحمة والغفران وما اعدالله فيها لانبيائه من عظيم الدرجات.

(ظهر فيكم حسكة «حسيكة» النفاق)

ظهر فيكم من الحقد والاضغان ما انطوت عليه نفوسكم من الشرور، وقد استعارت(ع) هذا من قول العرب حسكة السعدانة وهي ←

صدق النية مصداق لقوله تعالى: (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم...).
(محمدكاظم)

(١) من راجع التاريخ ثم لم يحجب بروح العصبية سيرى بوضوح مصاديق الفارين عند النزال والطالبين الامن من مشيخة الكفر والراغبين في اللين مع المشركين والمتشفعين لهم اذا وقعوا اسرى بايدي المسلمين. (محمد كاظم)

→
كناية عن كثرة الشرك (١).

---

(١) هذه الفقرة من الصديقة التي لاتنطق عن الهوى ولاتنطلق من منطلق الظنون تثبت ان المقصودين في الخطاب كانوا يعيشون واقع النفاق بمافيه من تمام الخشونة والقسوة على الدين والكن ظهر هذا الباطن عند وفاة رسول الله (ص). (محمد كاظم)

(وسمل جلباب الدين)

اي اصبحت ثياب الدين كالاسمال البالية والثياب الممزقة وبعبارة اخرى أصبح جلباب الدين من لباسه بالياً والجلباب الثوب الذي يغطى البدن أو مطلق اللباس الشامل للازار والمقنعة التي تستتر بها المرأة أو الرجل.

(ونطق كاظم الغاويين)

أي حتى نطق كل من كان يكظم غيظه وهو كل من كان غاوياً ومنافقاً وخارجاً عن منهج رسول الله الا انه كان يخاف اظهار واقع نفسه لسلطة رسول الله (ص) وعظمته فلما سمل جلباب الدين اظهر هؤلاء انفسهم.

(ونبغ خامل الاقلين)

اي حتى نبغ خامل القوم الذى هو في قلة عدد في قومه وضعيف في قدرته وهو من ليس له ظهور ولاقيمة، منهار لايحسب له حساب و المراد من الاقلين الاراذل من القوم والساقطين من الناس الذين ليس لهم شرف ولاكرامة.

(وهدر فنيق المبطلين)

الفنيق الفحل من الابل، فهدر فنيق المبطلين اي ردد صوته كما يردد البعير في صوته فأخذ يردد الباطل والمنكرات وتريد(ع) ان بعد وفاة رسول الله (ص) اظهروا حقدهم ونفاقهم الذي كانوا كاظمين له لهيبة وقدرة رسول الله (ص).

(فخطر فى عرصاتكم)

تريد(ع) ان الشيطان او من يمثله تردد وسار سير المتبختر الذي يختال في مشيه في عرصاتكم يا معاشر المهاجرين والانصار وهو كناية عن تمركز اغراض الشيطان في نفوسهم واستحكامه في عقولهم.

(واطلع الشيطان رأسه من مغرزه)

اي ظهر الشيطان من مكان اختفائه الذى كان مختفياً فيه خوفاً من الحق وذلك حينما مالت النفوس عن الحق نحو الشهوات، فظهر الشيطان واظهر مقاصده وحيله نظير القنفذ اذا امن اظهر رأسه.

(هاتفاً بكم)

اي منادياً اياكم باعلى صوته.

(فألفاكم لدعوته مستجيبين)

اي وجدكم مطيعين لامره، ممتثلين لغرضه، وكيف لايهتف بكم ولايناديكم بصوت عال وقد استجابت نفوسكم له وتحركت نحوه

حينما اعرضتم عن الحق من خلافة علي(ع) يوم الغدير بعد ان عقدتموها وبايعتم غيره اليوم على غير هدى ولاسبيل واضح ولاطريق مستقيم، فلما ألفاكم ووجدكم الشيطان في غفلة عن الحق وعن عواقب الامور دعاكم لامره.

فتريد (ع) ان الشيطان وجدكم مستعدين لندائه لشدة قبولكم للانخداع والتوجه الى الباطل.

(وللغرة فيه ملاحظين)

الغرة هي الانخداع وملاحظين اي ناظرين مراعين اى فلما وجدكم الشيطان ملاحظين لامور الدنيا من السلطة والملك وحب الامارة على المسلمين وخلع وصي رسول الله(ص) وترك منهج الحق وراء ظهوركم دعاكم لامره.

(ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً)

الاستنهاض طلب النهوض اي طلب الشيطان نهوضكم ومساعدتكم لاغراضه فوجدكم خفافاً مسرعين.

(واحمشكم فألفاكم غضاباً)

اي حرضكم وسارع بكم الى الباطل فوجدكم غضاباً عن الحق، مندفعين بكل جد نحو الباطل فأصبحتم غاضبين لغضب الشيطان، مندفعين لاوامره، وقد روى أيضاً **(فاحمشكم فوجدكم عطافاً)** اي منقادين له بعطف وحنان وهو كناية عن رغبتهم في الرئاسة وحب الدنيا والاثرة على أهل الحق وعزل صاحب الحق عن منصبه ولعل تبديل

غضاب بعطاف اولى هنا.

(فوسمتم غير ابلكم)

فوسمتم يا معشر المسلمين بان جعلتم السمة والعلامة على غير ابلكم السائرة على طريق الحق وهو كناية عن مشاهدة معالم الحق في رجال الباطل والضلال.

(واوردتم غير شربكم)

اي ثم وردتم على ماء فشربتموه وهو غير ماجعله الله تعالى لكم فقد جعل لكم الشراب لسعادة الدارين من النمير الاصفي والفرات الذي لاخبطة فيه ولاتغيير وان الماء الذى شربتموه غير ماء الامامة الصالحة التي تأخذ بكم الى المحجة البيضاء فصيرتم الامامة خلافة دنيوية ورئاسةسياسية من غير معرفة بشؤون الامامة الالهية التي بها تحقيق واقع الاسلام والا بقي الاسلام جسداً بلاروح.

(هذا والعهد قريب)

اي انكم نكثتم ماكنتم عليه على عهد رسول الله (ص) وغيرتم ما ابرمه الرسول (ص) والعهد برسول الله قريب، فقد اشارت(ع) بان وصية رسول الله (ص) عهد وعقد لايحل للمسلمين حله، فقد عبرت عن خلافة علي(ع) بافضل تعبير وهو انه ليس مجرد وصية بل عقد ومعاهدة وابرام وكل ابرام مع الانبياء لايجوز حله وتغييره بحسب المصالح الدنيوية والاغراض الشخصية(١).

(١) تحذر عليها السلام المسلمين خطراً عظيماً يواجه الحاضر ←

(والكلم رحيب)

الكلم هو الجرح والرحيب هو الواسع وغرضها(ع) ان ماحصل من الجرح الواسع بوفاة رسول الله(ص) لم يلتئم بعد، وقد عقدتم واحكمتم امر الباطل، فتريدان الجرح بموت رسول الله (ص) واسع عظيم على الامة الاسلامية وهذا الجرح شامل للامة جميعاً من صغيرها وكبيرها، رجلها وامرأتها وحرها وعبدها وان هذا المصاب الجلل وان شمل الاجيال جميعاً ولكن يجب ان يكون بالنسبة اليكم اعظم.

(والجرح لما يندمل)

قد اختلفتم والجرح لم يلتئم والصدع باق وقد نقضتم عهدالله في خليفة رسول الله(ص) الذي نصبه يوم الغدير والزم به الامة الاسلامية حينما خاطب الرسول (ص) الامة قائلا: ألست اولى بكم من انفسكم قالوا اللهم بلى فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادى من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

(والرسول لما يقبر)

ثم ان هذا النقض للعهد الذي ارتكبتموه والانتكاص على الاعقاب قدكان منكم في حين ان الرسول(ص) بعد لم يقبر، فنكثتم قبل ان

←

منهم والغائب والاجيال على طول التاريخ البشري بانه اذا كان العهد برسول الله (ص) قريباً وقد حصلت هذه الردة عن الحق وانطمست معالم الدين وظهرت رايات الردة والنفاق فكيف سيصبح حال الاسلام والمسلمين اذا بعد العهد برسول الله(ص) في حين انكم حملة الامانة والرسالة الى الامم حاضرها ومستقبلها. (محمدكاظم)

يغسل(ص) وقبل ان يدرج في اكفانه، فلو كنتم على حق ويقين وثبات على دين لما استعجلتم هذا الاستعجال ولما عدوتم هذا العدو على الخلافة وطلب الرئاسة ولما نازعتم علياً(ع) والانصار هذا الامر.

فان المسلم اذا سار بهدى العقل والاسلام لاتأخذه مطامع الزعامة والجاه، ولكن قد كشفت اعمالكم هذه عن سوء سريرتكم وقبح نياتكم وخبث باطنكم وتصميمكم على الشرور.

(ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، الا: في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين)

أجل كل ماجرى منكم كان مسارعة للفتن وانقياداً للشهوات وحب الرئاسة والسيطرة وان اعتذرتم عن اقدامكم هذا ومسارعتكم لحب الدنيا بانكم تخافون وقوع الفتنة في امة رسول الله(ص) فان هذا هو الوقوع في الفتن والسقوط فيها وليس دفعاً للفتن واخمادها، فهو اغلاق لباب العدل وسد لباب الانصاف والمروءة لما فيه من تقديم رأيكم على حكم الله ورسوله، ولو انكم كنتم مؤمنين حقاً لاطعتم الله والرسول ولما اختلفتم مع الانصار، فانكم بعملكم هذا غرزتم الخلاف الذى لامفر منه على طول الزمن وشرعتم من انفسكم في الدين احكاماً وجعلتم الخلافة بالمسارعة والابتدار والخلافة حقاً لبعض الناس وفئة خاصة على حسب شهواتكم واغراضكم، فقد جعلتم الحق يدور مدار الشهوات وابتعدتم عن غرض الله ورسوله، فوقعتم في الفتن لما تخطيتم نظام الله تعالى في خلقه واحكامه في بريته بترككم لخليفته الذى عينه الله تعالى لكم وان جهنم لمحيطة بالكافرين الذين خالفوا اوامر الله والرسول.(١)

---

(١) اللهم انك لتعلم كم من حق اريد به باطل وكم من كبرى ←

(فهيهات منكم! وكيف بكم، وانى تؤفكون)

ثم قالت(ع) هيهات بمعنى انكم بعدتم عن الحق وواقع كلمة لااله الا الله ومحمد رسول الله، وارادت من كلمة كيف التعجب مما فعلوه واستغراباً منهم كل ذلك مع دعواهم الاسلام والسير على طبقه وهم يشاهدون الكتاب والسنة ومافيهما من التصريح بخلافة اهل البيت وولايتهم وانهم هم القائمون مقام الرسول في بيان تشريعه واحكامه، فالقرآن دال على اثبات الامامة بعد النبوة وان النبوة والامامة توءمان لان من لوازم النبوة هي الامامة الصالحة والاتذهب متاعب النبوة ادراج الرياح اذا وقعت بايدى الطامعين والجاهلين، فالى اين قد اخذ بكم الشيطان.

(وكتاب الله بين أظهركم)

هذا والقرآن الكريم وآياته وحججه ومافيه من الانذار والتبشير بين ظهرانيكم وانتم تدعون العمل به في اقوالكم وافعالكم، فكيف تجعلون القرآن خلف ظهوركم و تتركون العمل به فيصبح القرآن نسياً منسيا كأنه ماجاء ولم يبشر به الرسول (ص).

←

عدل وصلاح طبقتها ايادي الظلم فأصبحت تروى احاديث الضلال، فأشارت عليها السلام الى خطر الباطل اذا تلبس بلباس الصالحين فقد يصل امره الى مرحلة يخاف فيها فرعون من ان يبطل موسى(ع) معالم الدين والحق على الناس، فالحكم بالجور بنفسه اخف خطراً من جور امات سنة النبيين باسم رب العالمين. (محمد كاظم).

(اموره واضحة «ظاهرة» واحكامه زاهرة واعلامه باهرة وزواجره لائحة واوامره واضحة وقد خلفتموه وراء ظهوركم)

وهذا القرآن فرائضه واضحة وزواجره لائحة، مرفوعة احكامه كالعلم المرفوع في القبيلة اوكرأس الجبل الشاهق الذي ينظر اليه القريب والبعيد، واذكانت واضحة احكامه بينة سننه كيف جازلكم ترك ذلك الكتاب وراء ظهوركم وعدم العمل به، فكيف تحكمون وأنى تؤفكون.

(أرغبة عنه تريدون؟ ام بغيره تحكمون؟)

ثم انها(ع) انكرت عليهم ووبختهم بقولها ارغبة عنه تريدون اى أترغبون عن القرآن وبغيره تحكمون طبقاً لارائكم وشهواتكم.

(بئس للظالمين بدلا)

فبئس البدل الذى جعلتموه بدلا عن كتاب الله تعالى والمراد من البدل هو الباطل المستوجب لدخول النار والعذاب الاليم وغضب الملك الجبار.

(ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين)

الوالد (قده) (١). . . . .

---

(١) لما كان الاسلام هو تلك المسميات المحققة لتلك المصالح والمبعدة عن تلك المفاسد التي اظهرها الله تعالى باحكامه فجعلها قانوناً لهدى البشرية واعتبر المسلم هو المستسلم لتلك القيم الحقة ←

(ثم لـم تلبثوا الا ريث ان تسكن نفرتها ويسلس قيادهـا ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى واطفاء نور الدين الجلى واخماد سنن النبى الصفى)

ثم قالت عليها السلام لم تلبثوا الا قليلا من الزمن بعد اقدامكم على غصب الخلافة حتى تعرضتم لمثل هذه الفتن عندما سهلت لكم

→

والا فمن خالف نهج الصواب كان كافراً ولو بقدرما، وليس المدار على التسمية الا بقدر ترتب الاحكام الظاهرية، فلرب مسلم يلعنه الله تعالى ورسوله وتلعنه السماوات والارض.

فقد اخذت (ع) تحذرهم من ان يخدعوا انفسهم ويرضوها ببقاء الاسماء بدون تحقق المسميات، كما كان ذلك شأن النصارى واليهود حينما انحرفوا عن منهج انبيائهم.

فالكتب السماوية قبل الاسلام حرفت لفظاً ومعنى وقد حاول الكثير من المنحرفين تحريف الكتاب الكريم تفسيراً وتأويلاو تطبيقاً ولكن ابى الله تعالى الا ان يبقى هيكل القانون والكتاب بنصه محفوظاً بتمام الحفظ لم تطرأ عليه اي زيادة ولانقصان ليبقى منار هدى للمتقين ولم يدع تحريف القرآن لفظاً الا بعض الشواذ كيف وهو القائل (نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) بل اقول وكذلك سنة الرسول صلى الله عليه وآله واحاديث اهل البيت محفوظة الجانب لمن تتبعها بشروط الصحة والعرض على الكتاب والنظر اليها بعين الحرية لاتقليداً لاقوال العلماء المتقدمين مهما بلغوا في جلالة القدر، نعم لولا جهود علمائنا الابرار قديماً وحديثاً لما امكن السير في مدارج المقربين. (محمد كاظم)

السلطة الانحراف عن الصـراط المستقيم، ففي وقت قليل تبدلتم وغصبتم الخلافة وتقمصتم بها فلبستم ثوباً ليس ثوبكم وهو ثوب لمن له الاهلية للرئاسة الالهية علـى المجتمـع وقد شبـهت الخلافة الباطلة في صعوبة امرها بـالدابة الشاردة التي يصعب قيادها، ثم قالت (ع) أوقدتم ناراً ملتهبة بعقدكم الخلافة لافراد لاصلاحية لهم وابعدتم الامرعن اهل بيت نبيكم، فاتبعتم هتاف الشيطان بان تورون الجمرة حيناً بعد حين وتغصبون الخلافة زمناً بعد زمن، فقد حاولتم اطفاء نورالدين الجلي واخماد سنن النبي (الصفي) فجعلتم سنته خامدة.

والريث هوقدرما، ويسلس اي يسهل وتورون اى تخرجون النار.

(تسرون حسواً فى ارتغاء)

الوالد (قده) (١). . . . .

(١) تسرون من الاسرار وهـو ضد الاعـلان فـالمـراد به اخفـاء الشيء والحسو هـو الشرب شيئاً بعد شيء والارغاء المراد به شرب الرغوة وهو زبد اللبن.

وان هذه الجملة وهي تسرون حسواً في ارتغاء مثل يضرب لمن يظهر امراً ويريد غيره ومن باب المثال كما قالوا ان يأخذ الشخص اللبن فيظهر انه يريد الرغوة فقط ولايريد غيرها فيشربها وهو ينال من اللبن شيئاً بعد شيء، فيصبح المعنى انكم تظهرون السعي للدين وانتم لاتريدون الا الدنيا. (محمد كاظم)

(وتمشون لاهله وولده في الخمر والضراء) وقيل في السراء والضراء

الوالد (قده) (١). . . . .

(١) الخمر بفتح الخاء والميم ما يستر الشخص من شجر وغيره والضراء بالفتح والمد وتخفيف الراء الاستخفاء والشجر الملتف في الوادي.

الظاهر ان ضمير اهله وولده يرجع الى الشيطان اي انكم تسرون امرأ والحال انكم بكل واقعكم تمشون للشيطان واهل الشيطان واولاده وهو كناية عمن يفعل افعال الشيطان من الناس ويحاول سترها بظاهر ديني وان فعلكم هذا وان كنتم لاتشعرون اصبحتم توقعون انفسكم في صعاب الامور والخسران المبين.

وان كان من المحتمل ان تريد من الاهل والولد أهل البيت ومن سعى سعيهم بمعنى انكم تخفون شيئاً وتظهرون السير لاهل البيت في سراءكم وضراءكم خديعة وكذباً. (محمد كاظم)

(ونصبر منكم على مثل حز المدى وخز السنان في الحشا)

الوالد (قده) (٢). . . . .

(٢) حز بفتح الحاء المهملة وتشديد الزاء المعجمة مصدر وهو بمعنى القطع والمدى جمع مدية وهي الشفرة والوخز هو الطعن والسنان رأس الرمح والحشا ما انضمت اليه الضلوع.

والمعنى واضح وهو تقريب المعقول بالمحسوس اي ان آلامنا ←

(وانتم الان تزعمون ان لا ارث لى)

ثم توجهت (ع) في خطابها الى ابكر والمهاجرين والانصار فقالت: انتم الان يا معاشر الانصار والمهاجرين أتزعمون ان لا ارث لي.

(افحكم الجاهلية تبغون)

فهل هذا العمل منكم رجوع الى احكام الجاهلية لانه عمل لايرجع الى مذهب من المذاهب الالهية لان كل مال لابد بعد الموروث ان يرجع الى الوارث.

(ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون)

فمن احسن حكماً من الله لقوم يؤمنون بالله ويوقنون بيوم المعاد ويعملون على طبق علمهم بما شرعه الله تعالى على لسان نبيه(ص)

(افلاتعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية انى ابنته)

افلاتعلمون، انكار منها عليهم وتوبيخ لهم حيث انه قد تجلى لهم ان فدكاً كانت نحلة من رسول الله(ص) لها عليها السلام، فهي ميراث ورثته من رسول الله وذلك كالشمس حينما تكون في وقت الضحى قد تجلى بها كل شيء وانعدم بها كل ظلام وانتم تعلمون جميعاً اني ابنته.

→

الروحية منكم كمن يصبر على قطع بدنه بالشفرة والطعن بالسنان في الحشا وهو اشارة الى شدة الالام التي اصبحت تتراكم على اهل البيت لما يشاهدون من تعريض جهود رسول الله (ص) الى الخطر باسم الله تعالى والدين. (محمد كاظم)

(ايها المسلمون، أ اغلب على ارثيه)

أمن الانصاف ان اغلب على ارثي بمرأى ومسمع منكم وانتم تعلمون بواقع الامر كالشمس في رابعة النهار.

(يا ابن ابى قحافة أفى كتاب الله ان ترث اباك ولاارث ابى؟ لقد جئت شيئاً فريا، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: وورث سليمان داوود، وقال فيما اقتص من خبر زكريا اذ قال: فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب، وقال: واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وقال: يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين، وقال: ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين، وزعمتم ان لاحظ ولاارث لى من أبى، أفخصكم الله بآية اخرج ابى منها)

ثم توجهت في خطابها الى ابي بكر حيث ادعى عن لسان رسول الله صلى الله عليه وآله انامعاشر الانبياء لانورث، ذاكرة هذه الايات لرد دعوى أبي بكر وكان على ابي بكر ان يقيم الدليل على تخصيص هذه العمومات.

(ام تقولون: ان اهل ملتين لايتوارثان؟ أو لست أنا وابى من أهل ملة واحدة؟ ام انتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابى وابن عمى؟)

ام تقولون ايتها المهاجرة والانصار بزعامة ابي بكر: اني وابى لسنا من أهل دين واحد؟ بل من ابناء دينين ولاتوارث بين الملتين، ام انتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابى محمد(ص) وابن عمي علي (ع).

(فدونكها) مخطومة مرحومة تلقاك يوم حشرك)

بعد كون الاعتراض والتوبيخ عاماً على المسلمين اخذت(ع) توجه الخطاب على رئيس القوم الغاصبين الجالسين في غير مواضعهم الالهية بهتاناً وزوراً قائلة: فدونك يا ابابكر هذه القضية التي لاتفنى على ممر العصور والاجيال واغتصابك لي ارثي وهي فدك، مخطومة كما يخطم الجمل بما يقوده، مرحومة قد هيىء سرجها لك على وجه ان تركب الناقة وعليها رحلها وسرجها وبيدك حبل خطامها سلسلة منقادة لك لمارأيت من موافقة المهاجرين والانصار لك طمعاً منهم للمال والجاه والسلطان وانما قام ابوبكر بهذا الاغتصاب المالى لفدك بعد اغتصابه للخلافة حذراً من ان يكون اهل فدك والزارعين انصاراً لعلي(ع) وفاطمة(ع) وعضداً للحق امام الباطل واعواناً للخليفة رسول الله الواقعي ضد المدعين ولذا رد شهادة الشهود الذين جاءت بهم وقد كان ذلك أيضاً عملا آخر يضاف الى اعمال ابي بكر التي تخطى فيها كتاب الله وسنة نبيه(ص)، فادعى حديثاً كذباً وبهتاناً في باب المواريث واتم الامر برد شهادة الشهود وهم علي عليه لسلام وامسلمة والحسنان عليهما السلام وخالف القاعدة في باب الملكية وهي قاعدة اليد، لان فاطمة(ع) كانت مستولية على فدك على عهد رسول الله (ص)

(فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولاينفعكم اذ تندمون ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)

فنعم الحكم والحاكم في كل قضية الله تعالى والزعيم والكفيل

محمد(ص) والموعد القيامة ليقتص فيه المظلوم من الظالم، فان الله لبالمرصاد يوم تقتص الجماء من القرناء.

(ثم رمت بطرفها نحو الانصار فقالت(ع) يا معاشر النقيبه وأعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه الغميزة فى حقى والسنة عن ظلامتى)

ثم وجهت بطرفها نحو الانصار وفي بعض النسخ رنت وهو وجه صحيح أيضاً وقالت(ع): يا معشر النقيبة والنقيب شاهد القوم وعريفهم وفي بعض النسخ يا معشر الفتية جمع فتى وهو الشاب الكريم والتقدير اخصكم يامعشر النقيبة والنقيبة هم الناس المنتجبين ويروى أيضاً يا معشر النقية والاول اولى وان كان الثاني صحيحاً أيضاً واعضاد الملة اي الاقوياء الذين هم كالعضد في البدن وحضنة الاسلام أي حفظته من الحضانة كما تحضن المرأة ولدها وما هذه الغميزة اي الضعف في الدفع عن حقي وعدم الاعتناء به، ويجوز ان تريد من الغميزة عن الحق الاغماض عنه وتركه والسنة عن الظالمين هو الفتور الذي يقرب من النوم وهي اوائل مراحل النوم اي ما اصابكم من عدم الاعتناء في حقي هو سنتكم وذهولكم عن الحق كذهول الاعضاء وفتورها عند سنة النوم وقولها(ع) عن ظلامتي أي عن ظلمي فهو مصدر يراد به المظلومية.

(اما كان رسول الله ابى يقول: المرء يحفظ فى ولده؟)

والحال انى ابنته وتعرفون مقامي من قوله(ص): فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني، وعن الصادق(ع) الله ليحفظ ولد المؤمن الى الف سنة وان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده

ويحفظه في دويرته ودويرات حوله وما يزالون في حفظ الله لكرامته على الله تعالى.

(سرعان ما احدثتم وعجلان ذا اهالة)

اسمان يراد بهما التعجب اي ما اسرعكم الى نقض العهد من خلافة على (ع) والمبادرة الى سد باب الامامة التى لاتتم النبوة ولا تستمر الا باستمرارها ويروى ايضاً سرعان ما اجدبتم والمعنى صحيح ايضاً بمعنى اصابة الجدب والقحط وسرعان ذا اهالة بمعنى المسارعة وهو مثل مضروب في النعجة التي تخرج رطوبتها من انفها، اي انتم اصبحتم بهذه الكيفية واريد من الاهالة التعجب من تعجيل الانصار ومبادرتهم الى احداث البدع وترك السنن ورفض الاحكام والتخاذل عن نصرة عترة سيد الانام مع قرب العهد به والقدرة على نصر الحق واخذه من ابى بكر و اعوانه.

(ولكم طاقة على ما احاول وقوة على ما اطلب وازاول)

اي والحال ان لكم الطاقة والقدرة على ما احاول من انفاذ حقي وما اقصد وازاول من ظلامتي.

(أتقولون مات محمد، فخطب جليل، استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه واظلمت الارض لغيبته وكسفت النجوم لمصيبته)

يا معشر المهاجرين والانصار، أتقولون: ان محمداً (ص) مات وانكم بعد موته لاترونه كلا فان الموت انتقال من دار الى دار، فستشاهدونه يوم القيامة والبرزخ وسيستوفى حقى منكم وظلامتى التى قدمتم عليها، فانتم بمرأى منه في البرزخ والقيامة، فخطب

جليل وامر عظيم اتسع وهنه اي اتسع ذلك غاية الاتساع، والرتق ضد الفتق واظلمت الارض لغيبة رسول الله (ص) وكسفت الشمس والنجوم لمصيبته.

(وأكدت الامال وخشعت الجبال)

إكد اي انقطع اي وأكدت الامال بمعنى لم يبق رجاءها وخيرها، فانقطع الرجاء وخشعت الجبال، إشارة الى ان فقده ألم حتى الجمادات فاصبحت خاضعة متألمة.

(واضيع الحريم وازيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة)

فاضيع الحريم وهو مايحميه الرجل ويقاتل عنه، وازيلت الحرمة وذهبت عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى الشديدة والداهية العاجلة.

(اعلن كتاب الله جل ثنائه في افنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة والحانا ولقبله ماحل بانبيائه ورسله حكم فصل وقضاء حتم).

اي بلهجة العرب قرأ القرآن وباحسن قراءة ولقبل هذا الرسول ما حل بأنبياءه ورسله من الحكم الفصل الذى لامرد له، القاطع بين الحق والباطل، والحق حكم فصل وقضاء حتم لاتتطرق اليه التبدلات.

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً

وسيجزى الله الشاكرين).

أشارت(ع) ان الناس ابناء الدنيا والقوة والقدرة وانهم لايلحظون الحق بما هوحق بل انما يلحظون الحاضر القوى المتسلط ويتناسون الغائب وان كان الغائب على الحق والحاضر على الباطل، فان العقول الضعيفة والنفوس المجبولة على حب الشهوات والميول والرغبات تدور حول منافعها الدنيوية.

فأشارت(ع) ان الله تعالى قد اعلمكم قبل وقوعكم في الفتن وقبل تماديكم في الغي باخباره اياكم بان محمداً (ص) ان مات او قتل تنقلبون على اعقابكم وتقعون في الجاهلية الاولى وتتركون النهج المستقيم وطريقة الانبياء وهذه المصيبة الكبرى في دينكم والنازلة التي لاحدث اعظم منها خطراً.

الى هنا تم ما وجدناه من شرح الخطبة لسماحة الوالد (قده) ولكن اتماماً للفائدة بقدر الامكان شرحت بقية الفقرات(محمدكاظم).

(ايهاً بنى قيلة)

ايهاً بمعنى بعد الامر وهيهات ان يكون الشيء وبنو قيلة هم الاوس والخزرج القائمة العظمى لجمع الانصار.

فأول ما خصت الانصار بالخطاب عبرت عنهم بمعشر النقيبة ثم اصبح الخطاب الثاني يا بنى قيلة، فوسمتهم اولا بعظيم من الوسام وهو وسام الذين يستحقون ان يكونوا مورداً للخطاب والعتاب اذا شوهدوا في غير ما هم عليه من المنزلة والمقام الرفيع ولكن من بعد ما يصبح السقوط والبعد عن منازل الكرام مقصوداً، بل واقع

النفس لافلتة صدرت يرجى تداركها لا يكون مستحقاً لذلك الوسام فلعل نسبتهم الى امهم في الخطاب الثاني اشارة منها الى انهم اصبحوا يجلسون مجالس النساء في الضعف وعدم الحزم كالمرأة التي لاارادة لها بأزاء الزوج المتخبط بها في الظلمات.

نعم ما كان هذا التنديد الشديد للمسلمين وبالاخص للانصار منهم الذين هم محل رجاء الخير لارض تغتصب من فاطمة (ع) بل كان تحذيراً للمخاطبين والاجيال كافة على طول تاريخ البشرية الى قيام الساعة من ان كل قانون مهما كان من الرفعة والعظمة اذا استظل بظل سلطان جائر وبالاخص اذا تلبس بلباس الصالحين فقد ركيزتين، الاولى التفسير الصحيح لاصوله وفروعه واذا فسر القانون طبقاً للاهواء والميول كان موتاً للعلم والكمال والشرف بأسم العلم والكمال والشرف قد يصل امر التفسير الى مرحلة من الهبوط يروى للامة الاسلامية رباً بقالب جسماني او رباً قاهراً للعباد على فعل القبيح، كما وان التفسير قد يأخذ بعظيم مقام النبوة الى مرحلة ارتكاب المعاصي واللهو والطرب لايقف نبي الانسانية عما هو عليه الا اذا سمع باقدام الخليفة الثاني تقرب منه فيرتعد قائلا: جاء من لا يحب الباطل.

والركيزة الثانية التي يفقدها القانون اذا استظل بظل امام جائر هو التطبيق الصحيح للكبريات على صغرياتها كقول القائل: يجب قتل فلان أو حبسه لانه خطر على الاسلام والمسلمين فيجب على المجتمع كافة بكل جهوده السعي لحفظ مصلحة الاسلام والمسلمين في حين ان المراد حفظ سلطة الجائرين فقد خاف فرعون من موسى (ع) ان يبدل دين الناس ويزيد من الحسين (ع)

ان يشق عصا المسلمين ويسعى في الارض فساداً و معاوية من حجر ابن عدي.

فالطامة الكبرى ليست هى انكار الفطرة والعقل والدين بل هي التفسير والتطبيق للكتاب والسنة طبقاً للشهوات والميول وهذا ما حصل منذ وفاة رسول الله (ص).

ومعلوم ان بسقوط هاتين الركيزتين لا يصبح الاسلام محققاً لتلك القيم والغايات السامية ولايكون ايضاً خطراً على الحكام الجائرين بل موجهاً لاعمالهم.

(أاهضم تراث ابى) وقيل ابيه.

اي أاظلم من حقى من ميراث ابي.

(وانتم بمرأى منى ومسمع ومنتدى ومجمع)

اي وانتم حاضرون ترون وتسمعون كلامي وظلامتى وعدوان القوم علي.

(تلبسكم الدعوة) اي تشملكم دعوة الحق وقد كنتم حملة الحق.

(وتشملكم الخبرة) اي ويشملكم الانذار والبيان وما قمت به من الاخبار بالحق والواقع فلا عذر لكم بعد اليوم.

(وانتم ذوو العدد والعدة) تقصد الانصار وتخاطبهم بانكم قادرون على احقاق الحق لكثرة عددكم وما لديكم من القوة والقابلية.

(والاداة والقوة) وانتم الوسيلة ذات القدرة والقوة في المجتمع الاسلامي.

(وعندكم السلاح والجنة) اي وعندكم السلاح لاحقاق الحق وعندكم الوسيلة للتترس والتحصن من عدوان المعتدين.

(توافيكم الدعوة فلا تجيبون) اي تبلغكم دعوة الحق فلا تنتصرون لها.

(وتأتيكم الصرخة فلا تعينون) اي يصلكم نداء المظلومين الذين لاتترددون في ظلامتهم فلا تعينون.

(وانتم موصوفون بالكفاح) اي موصوفون بالشجاعة والبسالة.

(معروفون بالخير والصلاح)

لعله عطف تفسير ولعله اشارة الى معروفيتهم بالخير العقائدى والصلاح العملى.

(والنخبة التى انتخبت)

لان الرسول (ص) اختارهم لحمل الرسالة والدفاع عنها.

(قاتلتم العرب) اي قاتلتم العرب من اجل الدين.

(وتحملتم الكد والتعب) اشارة الى مواقفهم وثباتهم في الحروب بكل جد في عهد رسول‌الله (ص).

(وناطحتم الامم) من اليهود والنصارى.

(وكافحتم البهم) اي جاهدتم الفرسان والابطال.

(لانبرح او تبرحون نأمركم فتأتمرون)

اشارة الى ما كان عليه الانصار في عهد رسول الله من الاستمرار والدوام على امتثال اوامر الرسول(ص) واهل البيت عليهم السلام.

(حتى اذا دارت بنارحى الاسلام) اي الى ان تم بواسطتنا امر الاسلام ونظامه.

(ودرحلب الايام) كناية عن الخيرات التي اعقبت نصر الاسلام من الفتوحات والغنائم وبسط الدعوة واقتطاف ثمرات الحق والعدل.

(وخضعت ثغرة الشرك) كناية عما حصل للمشركين من ذل واستسلام لقوة الفتح الاسلامي.

(وسكنت فورة الافك وخمدت نيران الكفر)

اي كما اخرس نداء الايمان نعرة الشرك اسكت اصوات الكذب والافتراء والمكر واخمد نيران الكفر التي كانوا يوقدونها في كل حين وآخر ضد الاسلام والمسلمين.

(وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين)

وسكتت الدعوة الى الباطل واصبح الدين مستحكم النظام لان باستحكام نظام العدل موت الباطل والهرج، ولايمكن اماتة الباطل ونهاية التطاحن والحقد والحسد والجهل الحاكم على عالمنا الفعلي

الا بواقع الاسلام لا بالاسماء والحريات المزيفة والمؤتمرات والمجالس المخدرة لروح الوعى والانتفاضة العالمية ضد الظلم والطغيان.

(فأنى حرتم بعد الايمان) فكيف بعد عرفانكم للحق وثباتكم من أجل تحقيقه اصبحتم حائرين مترددين في امركم.

(وأسررتم بعد الاعلان) وكيف اصبحتم تخفون ما تعلمون من الحق بعد ماكنتم معلنين بالحق لا تترددون في نصرته.

(ونكصتم بعد الاقدام)

اي تراجعتم الى الوراء بعد الاقدام والثبات من أجل الحق.

(واشركتم بعد الايمان)

للشرك مفهوم خاص وهو عبادة الاصنام وليس بمراد ههنا وله مفهوم عام وهو اطاعة غير الله تعالى، فمن تبع الشهوات وتنازل عن القيم الحقة من اجل ارضاء الحكام كان مشركاً، لان ذاك يعبد صنماً وهذا يعبد حاكماً أو مالا أو جاهاً وهكذا.

(الاتقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة، أتخشونهم، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين)

وقع الخلاف في شأن نزول هذه الاية هل انها نزلت في مشركي قريش ام في اليهود الذين نقضوا العهد مع رسول الله(ص) واعانوا الاحزاب في حرب الخندق وهموا باخراج الرسول(ص) من المدينة. فتكون (ع) قد جاءت بهذه الاية لمناسبة الحكم والموضوع لان جمع

المشركين او اليهود نقضوا العهد وهموا باخراج الرسول وجمع المنقلبين على اعقابهم نقضوا العهد فارتدوا عن واقع الاسلام علماً وعملا وهموا باخراج الرسالة بأسم الرسالة عن كل قيمها لان الرسالة اذا فقدت التفسير والتأويل الصحيح وكان التطبيق كذلك على طبق الميول والاغراض لم تكن رسالة الاسلام، فعليكم ايها الانصار ان تقفوا امام هؤلاء أتخشونهم وهم بدءوكم اول مرة بنقض ما عاهدوا الله ورسوله عليه، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين.

بل نقول: كل آية وان كان لها شأن نزول ولكنه لايكون قيداً لها بل هو احد مصاديقها الا ان يدل دليل عقلا أو لفظاً على التقييد فتقول عليها السلام للانصار: الاتقاتلون قوماً انقلبوا على اعقابهم فنكثوا ايمانهم التي عاهدوا الله والرسول عليها يوم بيعة الغدير وهموا باخراج رسول شرح الرسالة وبيانها و كيفية تطبيقها عن مقامه الذي عينه الله تعالى له وقد تقمصوا امر الخلافة وهم بدءوكم اول مرة بالانقلاب ونقض العهد، أتخشونهم، فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين.

(الا: قد أرى ان قد اخلدتم الى الخفض)

فاني اراكم بدلا من القيام بالحق الذي كنتم تقومون به وبعد ما تحملتم من الكد والتعب من اجله اصبحتم محبين للراحة وترك القيام بالحق.

(وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض)

اشارة الى من هو احق بالقيام بتطبيق القانون العارف بموارد القبض والبسط الواضع للامور في مواضعها علماً وعملا وهو الامام علي (ع) وصي رسول الله (ص).

(وخلوتم بالدعة ونجوتم من الضيق بالسعة)

وانفردتم بالراحة وفررتم من ثقل التكليف بمافيه من الصعوبات والمتاعب الى السعة وعدم تحمل المسؤولية، لان علياً(ع) لاطبقية عنده في مال ولا امارة عنده لشرف الرجال بل هو عون المظلوم ولو كان عبداً حبشياً وعدو الظالم ولوكان سيداً قرشياً، فلامصانعة ولا مداهنة ولاهوادة في تطبيق قانون العدل عند على (ع) وليس عنده(ع) شراء ضمائر الرجال لتوطيد الحكم ولذا استوحش من حكم علي (ع) المارقون والقاسطون والناكثون.

(فمججتم ماوعيتم)

مج الرجل الماء من فيه اى رماه الى الخارج والقاه اذا كره ذلك الماء وما وعيتم اي ما حفظتم وجمعتم.

وهو من تقريب المعقول بالمحسوس اي ماء الحياة وهوالدين الاسلامي الذى حفظتموه واجتمعتم تحت رايته بالعدل والاحسان والاخاء والحنان فترة من الزمن ثم رميتموه وأصبحتم لاتستذوقونه حينما استجبتم لنداء الشيطان.

(ودسعتم الذى تسوغتم)

الدسع هو الدفع والقي، والمراد من التسويغ شرب الشراب بسهولة ولذة. وهذا ايضاً من تقريب المعقول بالمحسوس والمراد انكم تسوغتم شرب ماء الحياة وهو كناية عن استسلامهم لمنهج الحق حينما اجابوا داعى الله بكل واقعهم ولكنهم لما ركنوا الى هدير الشيطان أصبحوا يتقيون ما كان مستقراً في ضمائرهم من تأييد الحق.

(فان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعاً فان الله لغنى حميد)

استشهاد بالاية الكريمة لالفات نظر البشرية ان الله تعالى انما شرع الاديان ليأخذ بأيدى البشر الى غاية الكمال لطفاً منه تعالى، وليس هنالك من حكم شرعه الله تعالى يرجع نفعه اليه لانه هوالغنى الحميد، فكل ما شرعه من حكم انما هو عبادة نظرية أو عملية لتأخذ بالانسان الى مدارج الكمال حتى مثل الصلاة فانها اداة علم يتمكن بواسطتها الانسان من تطهير نفسه من العجب والكبر المانع من مشاهدة الواقع كما هو عليه ومن شاهد الواقع عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه، أو ومن عرف نفسه فقد عرف ربه قبل ذلك ومن عرف ربه عرف واقع الكمال ولا نهاية الوجود ومن عرف الكمال حقاً عشقه ومن عشق الكمال سار بكل واقعه بجوانحه وجوارحه اليه تعالى ومن ظن العرفان من نفسه ولم يسر اليه فللتأمل في عرفانه مجال واسع لان الكمال مطلوب ولذا تشاهد العارفين يعيشون ود الوصال. وفي كلامها عليها السلام صراحة بان من لم يعرف الدين من باب مدينة علم النبيين وراح يطلب الشرح والتطبيق من ابواب الظالمين كان حقاً من الكافرين وان اكتفى الاسلام بالشهادتين، لان لقبول الحق مراتب، فأول مراتبه القول بكلمة لا اله الا الله، محمد رسول الله، الذى به يصح اطلاق الاسم على الانسان فيصبح مسلماً، ثم يأتي دور عالم المسمى وهوالاستسلام لروح السلام الذي لايعقل تحققه في النفوس الا بواسطة متابعة هدى الانبياء والاوصياء.

وليس من العجيب ان تنتصر راية الانبياء دائماً ثم تصاب بالتمرد والطغيان حينما تقع بايدي الاوصياء لان نداء الفطرة والعقل والسلام والعدل والدفاع عن المظلوم تستذوقه العامة

وتندفع ملبية له جماهير الشعوب المضطهدة لكن بعد انتصار اصل دعوة الحق تأتى مرحلة جعل الكمال والعدل والسلام روح الامة وواقعها الخارجي فهنا تظهر رواسب الاختصاص فيأخذ بالظلم والعدوان من كانوا بالامس من المظلومين والصارخين ضد الطغيان وتنشق الصفوف التي كانت بالامس صرخة واحدة ضد الظلم فتتحقق مرة ثانية اقلية تعيش الحكم والسلطان واكثرية تعيش الاضطهاد والحرمان.

وبالجملة لايقاس الكفاح في ميادين الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالسيف ضد الطغيان الذي قد تحمل راياته العديد من المظلومين على اختلاف مراتب ايمانهم والجهاد الاكبر وهو جهاد النفس حتى تصبح عين السلام الذي ما حملت راياته الا النوادر من البشر ليكونوا حجة على الخلائق عند المفزع الاكبر.

فلم يكن الانتكاص على العقب في ميادين الجهاد الاكبر مختصاً بالماضين وان كان لهم وسام أئمة المنقلبين على الاعقاب!.

(الا وقد قلت ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم)

الاحرف تنبيه وقد حرف تحقيق جاءت بهما للتحذير الشديد، مشيرة (ع) الى علمها السابق اما من باب علم عالم العصمة اوله ولفراسة روح الايمان من انها انما جاءت لتقيم الحجة على الرغم من علمها بالخذلة التي خالطت نفوسهم.

(والغدرة التى استشعرت بها قلوبكم)

ومشيرة (ع) ايضاً الى ما تعلم من ملاصقة الغدر وارتباطه

المشديد بقلوبهم من بعد ما خضعوا لهدير الشيطان حتى اصبح الغدر شعاراً لتلك القلوب.

(ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وخور القنا وبثة الصدر وتقدمة الحجة)

اي ان كل ما قلت في خطابي هذا ماكان لرجاء النصرة بعد معرفتي بنفوسكم ولكن كان ذلك تعبيراً عن ألم اصبح يتجاوز حد الصبر والفيض هو الاباحة والبيان لما في الصدر من الهموم والالام كما يفيض الاناء اذا امتلا والفيضان تجاوز الماء عن حده وطغيانه وهنا اشارة الى تجاوز الهموم عن حدها وطغيانها عن مرحلة امكان الكتمان.

ونفثة الغيظ: اظهار ما في النفس من الغضب، وخور القنا: اشارة الى ما تضعف النفس عن تحمله، وبثة الصدر: اشارة الى شدة الهموم التي لا يمكن كتمانها ولو كتمت لظهرت ايضاً على قسمات الوجه والبث هو النشر، وتقدمة الحجة: إشارة الى ان كلامها (عليها السلام) معهم ما كان لرجاء النصرة ولكن لاقامة الحجة عليهم ليوم الحساب ولمن اراد ايضاً معرفة الحق لنفسه وليحتج به على الاخرين لانها (ع) ما ابقت شيئاً من شؤون الرسالة الا بينته بالدليل والبرهان.

(فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقبة الخف باقية العار موسومة بغضب الله وشنار الابد، موصولة بنار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة).

الحقب بمعنى احتبس الشيء أو انقطع فلم يوجد فيه شيء أو الامر فسد أو الاثم جمعه وخلفه الانسان وراءه أو الحزام الذي يلى

حقـو البعير والحقاب ما تشد المرأة على وسطها تعلق بـه الحلي، فبعض هذه المعاني يمكن ان تكون مرادة ههنا.

فقد شبهت (ع) الخلافة بالناقة حينما تستظل بظل سلطان جائر فقالت: خذوها واغتصبوها ما دمتم قـد ابيتم السير على المحجة البيضاء واركبوا عليها أو وشدوا عليها حقائبكم تهيئة للركوب عليها أو احتبسوها وانقطعوا بها حين كـون هـذه الناقة مقروحة الظهر وهو اشارة الى انها خلافة تحمل لهم الالام والجروح دنيا وآخره ونقبة الخف: اشارة الى رقة اخفافها والمراد انهـا اضافة على ظهرها المقروح ضعيفة الاقدام متزلزلتها، تحمل لهم العار ومن علائمها انها موسومة بغضب الله والعار الدائم، متصلـة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة.

(فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون وانا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديـد) اي ومـا تصنعـون وتفعلـون مشاهد ومنكشف لله تعالى ظاهراً وباطناً فهو تعالى عالم بضمائركم وستعلمون الى اي منقلب من غضب الله تعالى ترجعون وتذكرهم (ع) بما جاء به الرسول (ص) من التبشير والانذار من عذاب الله الشديد للمتخلف عن منهج الرسالة اتماماً للحجة.

(فاعملوا انا عاملون وانتظروا انا منتظرون)

اي فاعملوا ما هو شأن الظلم والعدوان، فانا عاملون ما هو شأن الصبر وبيان الحقائق والثبات لاقامة الحجة مهما كلف ذلك من صعاب الامور والتضحيات، وانتظروا نتائج الظلم والخروج عن منهج الحق دنيا وآخره، فانا منتظرون نتائج الصبر والثبات والرحمة الالهية دنيا وآخره.

(جواب ابى بكر)

قال يا ابنة رسول الله: لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً رؤوفاً رحيماً على الكافرين عذاباً اليماً وعقاباً عظيماً ان عزوناه وجدناه اباك دون النساء واخا الفك دون الاخلاء آثره على كل حميم وساعده في كل امر جسيم لايحبكم الا كل سعيد ولا يبغضكم الا كل شقى، فأنتم عترة رسول الله الطيبون والخيرة المنتجبون على الخير ادلتنا والى الجنة مسالكنا وانت يا خيرة النساء وابنة خير الانبياء صادقة في قولك سابقة في وفور عقلك غير مردودة عن حقك ولا مصدودة عن صدقك والله ما عدوت رأي رسول الله ولا عملت الا باذنه وان الرائد لايكذب اهله وأني اشهد الله وكفى به شهيداً أنى سمعت رسول الله (ص) يقول نحن معاشر الانبياء لانورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولاعقاراً وانما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلوالى الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه وقد جعلنا ماحاولته في الكراع والسلاح يقاتل به المسلمون ويجاهدون الكفار ويجالدون المردة الفجار وذلك باجماع من المسلمين لم انفرد به وحدى ولم استبد بما كان الرأى فيه عندي وهذه حالي ومالى هي لك وبين يديك لاتزوى عنك ولاتدخر دونك انت سيدة

امة ابيك والشجرة الطيبة لبنيك لايدفع مالك من فضلك ولايوضع في فرعك واصلك حكمك نافذ فيماملكت يداى فهل ترين اناخالف في ذلك اباك (ص).

العقل وضع الاشياء في مواضعها من أجل بلوغ الغاية الحقيقية التي كان الخلق والايجاد من أجلها وهي طى مدارج الكمال للحصول على القرب الالهى والامن في جواره تعالى تحت ظل رحمته وفضله كما ارشد إليه علي (ع) بقوله: **العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان.**

وقد يكون العقل وضع الاشياء في مواضعها بلحاظ بلوغ غايات خاصة كما هو المتحقق من كثير من الساسة الذين اثبتوا القدرات على ارضاء العامة ومن جملة ذلك ما قاله ابوبكر في قوله: (لقدكان ابوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤفاً رحيما، على الكافرين عذاباً اليما، وعقاباً عظيما) فان كلامه هذا من ابلغ الكلام الذي يحمل عند السذج من خلق الله تعالى على المدح والتكريم لبنة الرسالة التي يناط غضبها بغضب الجبار، وعندالعرفاء والخاصة على التعريض والذم من انه كان ينبغى لها كما كان ابوها (ص) رحمة للعالمين ان تكون كذلك لا ان تدعى اموال المسلمين وتريد اختصاصها بنفسها.

ثم حذراً من التفات العامة لروح التعريض والذم وعملا بمنهج الاعتراف بالمسلمات لتهيئة النفوس لقبول ماهو محل النزاع راح قائلا (ان عزوناه وجدناه) اي الرسول(ص) (أباك دون النساء واخا الفك) وهو علي بن ابيطالب (ع) (دون الاخلاء) مظهراً بذلك عدم الخلاف لها (ع) فيما تطرقت اليه في خطبتها.

ثم اخذ ايضاً بأثبات المسلمات الاخر التي تطرقت لها (ع) في

خطبتها إثباتاً لروح السلام والود لال بيت رسول الله (ص) الكرام واستعطافاً لروح من احتمل فيهم التألم والخلاف ولو تألماً عاطفياً حينما تكلمت (ع) تلك الخطبة البليغة لفظاً ومعنى وكذلك توطيداً لبناء قاعدة ركيزة يتمكن من خلالها القيام بضرب كلما ابدته من عظيم البرهان فقال (آثره على كل امر جسيم لايحبكم الا كل سعيد ولا يبغضكم الا كل شقي، فانتم عترة رسول الله الطيبون والخيرة المنتجبون، على الخير ادلتنا و الى الجنة مسالكنا، وانت يا خيرة النساء صادقة في قولك) فان هذه الجمل وبالاخص هذه الجملة الاخيرة عبارة ايهام وتخدير لفورة المجلس واثبات حق فيما ليس محلا للنزاع ليسهل الرد على ماهو المتنازع فيه من حصول الانقلاب بعد الرسول (ص) عن واقع الرسالة واغتصاب الامامة من اهلها وتصدير اموال فاطمه(ع) ولو بالقاء الشبهة من انها (ع) وان كان حاشاها من الكذب ولكن قد اخطأت في المصداق فظنت الرسول(ص) كبقية الناس في حكم المواريث، ثم استمر قائلا (سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك ولا مصدودة عن صدقك) فكانت هذه الكلمات لتحريف الاذهان عن الانقلاب الذى حصل عن الرسالة واغتصاب الامامة التي تطرقت لها (ع) ليصب الخطاب على النزاع المالى ثم يأخذ بتحقيق سبك الرد بانظار العامة على بنت رسول الله(ص) من انه لم يتهمها بالكذب بل ارشدها الى خطأ في المصداق قائلا (والله ما عدوت رأى رسول الله ولا عملت الا باذنه وان الرائد لايكذب اهله، انى سمعت رسول الله يقول نحن معاشر الانبياء لانورث ذهباً ولافضة ولا داراً ولا عقاراً وانما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة) والرائد هو الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث وهو اشارة الى ان المؤتمن لايخون، ليجعل ما ادعى على

النبى (ص) من الاحاديث مقبولا ولولدى السذج الذين هم القائمة العظمى في اغلب المجتمعات البشرية وما كان هذا الخبر لولا التذييل بقوله (ما كان لناطعمة فلوالي الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه) مفيداً لما ادعاه لان صدر الحديث لايثبت اخراج الانبياء عن حكم المواريث بل انما يثبت ما هو شأن الانبياء وجلالة قدرهم في حياتهم الدنيا وان كان هذا الكلام منه ايضاً على خلاف قواعد باب القضاء من صيرورة الخصم قاضياً وكونه غير محتاج الى دليل وبينة فيما ادعى من عدم توريث الانبياء بعدكونه مخالفاً لعموم القرآن ونصوصه وثالثاً لوكان الامر كما يدعى من كون عدم التوريث لمعاشر الانبياء حكما الهياً لما احتاج الى تحقيق الاجماع من المسلمين واستعطاف قلوبهم بانه قد جعل ماحاولته في الكراع والسلاح لمصلحة العامة وان مثل هذه التوجيهات لاغتصاب الاموال والحقوق قد اعتادها اغلب الحكام عند ما يطمعون في مال خاص او يرون مصلحة الحكم في ذلك.

ثم جاء بأحسن كلمة ايهام وتخدير قائلا (انت سيدة أمة ابيك والشجرة الطيبة لبنيك) فلست ادرى كيف تكون سيدة نساء العالمين وهي تطمع في اموال المسلمين أو لا تعرف احكام الرسالة كما زعم الخليفة ذلك (والشجرة الطيبة لبنيك لايدفع مالك من فضلك ولا يرفع من فرعك واصلك) والمراد من الفرع والاصل، الاولاد والاجداد (حكمك نافذ فيما ملكت يداى) جاء بمثل هذه الكلمات ليهيىء الارضية المناسبة لصيرورة ما ادعاه عين المسلمات التى لاتردد فيها وانها (ع) مخالفة لنهج الاسلام الذي جاء به ابوها (ص) ليقول (فهل ترين إن أخالف في ذلك اباك).

جواب الصديقه (ع) لابى بكر

فقالت عليها السلام: سبحان الله ما كان رسول الله (ص) عن كتاب الله صادفاً ولا لاحكامه مخالفاً، بل كان يتبع اثره ويقفو سورة افتجمعون الى الغدر اعتلالا عليه بالزور وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلا و ناطقاً فصلا يقول يرثني ويرث من آل يعقوب وورث سليمان داوود فبين عزوجل فيما وزع عليه من الاقساط وشرع من الفرائض والميراث واباح من حظ الذكران والاناث ما ازاح علة المبطلين وازال التظنى والشبهات في الغابرين كلا بل سولت لكم انفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

التسبيح هو التنزيه والتقديس عن النقائص والعيوب للاشارة الى الصفات السلبية وصادفاً، اي معرضا والغدر خلاف الوفاء واعتلالا بمعنى تجعلون هذه الكلمات وسيلة للاعتذار عما ارتكبتم من العدوان والظلم، والزور هو الكذب، ووزع من التوزيع وهو

التقسيم، والاقساط هو النصيب والفرائض كل ما كتبه الله وأن اطلق في الغالب على الواجبات ويقفوا اي يتبع.

فتقول من باب التعجب سبحان الله تنزيهاً لساحة رسول الله (ص) من مثل هذه الادعاءات التي نسبها اليه ابوبكر المستوجبة لكونه صلى الله عليه وآله معرضاً عن كتاب الله فيما حكم به من عموم حكم المواريث أو كون المراد ان تلك النسب مستوجبة لكونه (ص) متساهلا ومعرضاً عن توضيح وشرح الرسالة للمسلمين حتى بالنسبة الى من هم اقرب الناس منه كعلي وفاطمة عليهما السلام الى مرحلة بلغ الامر بالرسالة ان لايدرى بها الا شخص واحد كابى بكر الذي لا يتردد متردد انه لايقاس بعلي (ع) علماً.

- ثم قالت(ع) لهم اماكفاكم الغدر بالرسالة والامامة واغتصاب الاموال حتى اخذتم تضيفون الى ذلك الغدر لتوجيه اعمالكم الاكاذيب والافتراءات ثم اشارت الى ان هذه الغوائل والحوادث لم تكن حديثة عهد بالرسالة والرسول بل هي تشبه تلك التي كانت تجرى في عهد الرسول (ص) ثم اشارت مرة ثانية من باب اتمام الحجة والتأكيد على ادلة المواريث، ثم قالت ان هذا ليس مجهولا لدى القوم ولكن سولت لهم انفسهم امرا نستعين عليه بالصبر من الله تعالى.

(جواب ابى بكر ايضاً)

فقال صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة وركن الدين وعين الحجة لا ابعد صوابك ولا انكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم اخذت ما اخذت غير مكابر ولامستبد ولامستأثر وهم بذلك شهود.

من بعد ماسدت عليها السلام جميع الابواب على ابى بكر في كل ما زعم من الادعاءات وعرف الخليفة انه ما من شيء الا وقد اصبح واضحاً لدى العموم ولكنه مع ذلك لايزال يستند الى قاعدة شعبية ذاقت طعم الدنيا فنظرت الى يد المخلوق، اسرع مخلفاً وراءه ذلك الحصن الذي كان متترساً به لرد هجمات معدن العلم وبقية النبوة تلك الهجمات التي اخذت تترى عليه كشئابيب المطر مبادراً الى حصن حصين اسكت في دار الدنيا ابلغ الخطباء البارعين واخذ بالانبياء والاوصياء والصلحاء فترة من الزمن الى عيش الانزواء والخوف والاضطهاد قائلا بعد اليأس من نجاح خطى المداهنة والمصانعة والايهام (هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلدوني ما تقلدت وباتفاق منهم اخذت ما اخذت غير مكابر ولامستبد ولا مستأثر وهم بذلك شهود) نعم ههنا يكون الجواب بفم المدفع لا لصدق الله والرسول وصدق ابنة الرسالة وركن الدين وموطن الهدى والرحمة وعين الحجة التي هي عين الصواب ونداء السلام.

(خطاب الصديقة (ع) مع الناس)

فالتفتت فاطمة (ع) الى الناس وقالت، معاشر الناس المسرعة الى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر أفلا تتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من اعمالكم فاخذ بسمعكم وابصاركم ولبئس ماتأولتم وساء ما به أشرتم وشر منه ما اعتضتم لتجدن والله محمله ثقيلا وغبه وبيلا اذا كشف لكم الغطاء وبان ماورائه الضراء وبدالكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون وخسر هنا لك المبطلون.

المغضية اي الساكتة عنه والراضية به، وران بمعنى غلب على الطبع والفطرة وغطاها، واعتضتم من الاعتياض وهو اخذالعوض، وغبه اي عاقبته، ووبيلا من الوبال وهي الشدة والثقل الشديد.

فلعل التعبير بكلمة القيل للاشارة الى ان مالا واقع له من القول بحكم المجهول والسند المتزلزل بازاء ماهو الحق من القولالمسند الى الله تعالى واوليائه المعلوم صلاحه ظاهراً وباطناً، الحسن انتسابه الى اهله دنيا وآخرة.

ثم عطفت على قبر النبى وقالت.

قد كان بعدك انباء وهنبثة | لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها | واختل قومك فاشهدهم لقد نكبوا
وكل اهل له قربى ومنزلة | عند الاله على الادنين مقترب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم | لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا | لما فقدت وكل الارض مغتصب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به | عليك تنزل من ذى العزة الكتب
وكان جبرئيل بالايات يؤنسنا | فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا | لما مضيت وحالت دونك الكتب
انا رزئنا بما لمريرز ذوشجن | من البرية لا عجم ولاعرب

عن امالى المفيد:

سيعلم المتولى ظلم حامتنا | يوم القيامة انى سوف ينقلب
وسوف نبكيك ماعشنا ومابقيت | له العيون بتهمال لها سكب
وقد رزئنا به محضاً خليفته | صافى الضرائب والاعراق والنسب
فانت خير عباد الله كلهم | واصدق الناس حين الصدق والكذب
وكان جبرئيل روح القدس زائرنا | فغاب عنا فكل الخير محتجب
ضافت علي بلاد ما رحبت | وسيم سبطاك خسفاً فيه لى نصب
فانت والله خير الخلق كلهم | واصدق الناس حيث الصدق والكذب

خطاب ابى بكر بعد خروج الصديقة (ع) من مسجد الرسول (ص)

وعلى ما حكى عن ابن ابى الحديد في شرحه على نهج البلاغة لامام المتقين علي عليه السلام. انه لما سمع ابوبكر همهمة بين الانصار وخاف على حكمه من اتساع رقعة الامر صعد المنبر فقال: ايها الناس، ما هذه الرعة الى كل قاله؟ أين كانت هذه الاماني في عهد رسول الله؟ من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم، انما هو ثعالة شهيده ذنبه، مرب لكل فتنة هو الذى يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت يستعينون بالضفة ويستنصرون بالنساء، كأم طحال احب اهلها اليها البغي، الا: انى لو اشاء لقلت ولو قلت لبحت، اني ساكت ما تركت.

ثم التفت الى الانصار فقال: يا معشر الانصار قد بلغني مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله انتم، فقد جاءكم فآويتم، الا: اني لست باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحق ذلك منا، ثم نزل.

ثم قال ابن ابى الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن زيد البصرى وقلت له: بمن يتعترض؟ فقال بل يصرح قلت: لو صرح لم أسئلك، فضحك، فقال: لعلي بن ابيطالب!!!

قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟ قال: نعم انه الملك يابنى! قلت: فما مقالة الانصار؟ قال: هتفوا بقول على، فخاف من اضطراب الامر عليه، فنهاهم، انتهى.

اقول: نقلت هذا الحديث المؤلم الحزين ليرسم للقراء مدى صنع حب الدنيا بالانسان ولست بصدد شرحه ومن هو المقصود في المطابقة والصراحة فيه لان شرف القلم والانسانية والاسلام يمنعني عن ذلك.

خطاب الصديقة مع امير المؤمنين (ع)

ثم انكفأت وامير المؤمنين (ع) يتوقع رجوعها اليه ويتطلع طلوعها عليه فلما استقرت بها الدار: قالت لامير المؤمنين (ع) يا ابن ابيطالب اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الاجدل فخاتك ريش الاعزل، هذا ابن ابي قحافة يبتزني نحيلة ابى وبليغة ابني لقد اجهر في خصامي والفيته الالد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها وغضت الجماعة دوني طرفها فلا دافع ولامانع خرجت كاظمة وعدت راغمة اضرعت خدك يوم اضعت حدك، افترست الذئاب وافترشت التراب ماكففت قائلا ولااغنيت باطلا ولا خيار لي ليتني مت قبل هينتي ودون ذلتي، عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً ويلاي في كل شارق مات العمد ووهن العضد شكواي الى ابي وعدواي الى ربي، اللهم انت اشدقوة وحولا وأحد بأساً وتنكيلا.

فقال امير المؤمنين عليه السلام لاويل عليك، بل الويل لشانئيك نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة فما ونيت عن ديني ولا اخطات مقدوري، فان كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون وكفيلك مأمون، وما أعد لك افضل مما قطع عنك فاحتسبي الله فقالت حسبي الله وامسكت.

كلام العلمين بعد اقامة الحجة

(ثم انكفأت) اي رجعت فاطمة (ع) من مسجد الرسول (ص) الى بيتها (وامير المؤمنين) على عليه السلام (يتوقع) اي ينتظر (رجوعها) وهو للاشارة الى كون الخروج كان لاقامة الحجة بامر من على (ع) (ويتطلع طلوعها عليه) وانتظار الطلوع كناية عن ظهور الشيء من علو وهو للاشارة الى ان برجوعها كان تمام البيان والحجة كالشمس التي بطلوعها تتجلى صور الاشياء.

(فلما استقرت بها الدار) اي سكنت بها الدار أو لما سكنت الدار واهلها بمجيء فاطمة وهو على سبيل الكناية.

(قالت: لامير المؤمنين (ع) يابن ابى طالب) تغيير لهجة الخطاب عن مجراه الطبيعى من يا ابن العم او يا اباالحسن أو يا علي الى يابن ابي طالب يحكى اروع منازل العارفين المستسلمين لواقع الامر حينما تتبدل الازمنة والامكنة طبقاً للظروف الخاصة.

أجل كان جري الخطاب قبل اليوم يروى تبادل الكلمات بين الزوجين المثاليين في جميع القيم المثالية بأعذب كلمات الود والحنان، لكن حينما تختلف المواقف فيصبح احد الزوجين يحمل على عاتقه اعباء حمل تكليف يخرج الخطاب عن كون احد الزوجين

يتكلم بما هو شأن الزوجية الى ما هو شأن الجندى بإزاء الآمر، وأي جندي هو اطوع من جندى السلام لقادة الايمان.

فجاءت فاطمة (ع) لتربي الاجيال بالخلق الكريم ليميز الناس الخطاب عند اختلاف المقامات، فمثلا الولد الذي يخاطب اباه بيا ابت في الظروف العادية يكون من الواجب عليه اذا اصبح جندياً في ساحات النضال والاب آمراً ان يخاطبه كبقية افراد الجيش بيا مولاى أو يا سيدى أو يا امير ولا يعطى نفسه في مقام الانقياد خصوصية على الاخرين، وكذلك الزوجة قد تعيش مع زوجها في البيت ارق الكلمات واعذبها ولكن يجب عليها ان لاتمزج بين حياة الزوجية والحياة العامة الاجتماعية، فاذا كان الزوج ملكا او ذا مسؤولية خاصة كان من الواجب عليها ايضاً ان تخاطبه بما يجب خطابه به عند الظروف الاجتماعية الخاصة.

وههنا فاطمة (ع) التي اصبحت في مثل هذه اللحظات تعيش حياة المسؤولية وحمل التكليف بامر من على (ع) جاءت لترسم للاجيال اختلاف موارد الخطاب بين الزوجة والزوج وبين المأمور والآمر وما ينبغي من اختلاف الكلمات في المقامين، فلذا اصبح الخطاب بيا بن ابيطالب لترسم مدى الانقياد عند الاحساس بالمسؤولية وليس كما ظن الكثير من الاجلة انها (ع) بهذا الخطاب رسمت تألماً من موقف علي (ع) بأزاء ما حصل من الانقلاب عقيب رحيل الرسول الاعظم (ص)، بل كان خطابها هذا يرسم الخضوع الاشد والاستسلام التام من بعد ما نزلت نفسها (ع) منزلة بقية الناس فهو خطاب خضوع لا خطاب تألم وعتاب.

نعم ليس كمثل فاطمة العلم والايمان من لا يعرف مواقع الامور وموارد القبض والبسط فهى المستنيرة بنور النبوة والامامة، فلا

تجاوز عن الحدود ولا غضب الا لله تعالى وعليه فليس في خطابها بدءاً وختاماً ما فيه عتب على ساحة مجد الايمان وجبل الرحمن وهي تستمد نور الحكمتين النظرية والعملية منه عليه السلام فلم تخرجها عواصف الايام عن حد الميزان ولو في جوانبه الكمالية والخلق الرفيع، كما وانه ليس كمثل علي(ع) من يخطأ موارد المقدور، اضف الى ذلك انه ليس هناك من حجاب بين بقية النبوة عليها السلام ومشعل استمرار الشريعة بياناً وتطبيقاً وهو الامام عليه السلام حتى تفاجىء فاطمة (ع) بماجرى من الانقلاب على الاعقاب بعد وفاة الرسول وهي العارفة بخصوصيات الكتاب الكريم فكيف يعقل في حقها (ع) ان تتوقع ثباتاً واقداماً من علي (ع) اكثر مما هو عليه والحال ان العرفاء يعلمون دائماً ان القادة الحقيقيين هم المتقدمون في جميع ساحات الشرف على غيرهم وانهم امام الصف الاول قبضاً وبسطاً فهي اذن تتطلع جواز الاقدام على قدر ما يرسمه لها علي (ع)، فمثلا الصمود في شعب ابى طالب كان عين الثبات في ميادين الشرف، والقيام بالسيف آنذاك لايكون الا انتحاراً وقس على ذلك، وان المتأمل في خطبة الصديقة بدءاً وختاماً يلمس بوضوح انها (ع) انما خرجت بامر علي (ع) لترسم الاسلام للمسلمين وتنذر مغبة الانقلاب على الاعقاب وتقيم الحجة لتهلك النفوس او تحيى عن بينة، في حين انها كانت تعلم ما تخامرهم من الخذلة.

وبالجملة ما كانت بقية النبوة (ع) الا كجندى عارف مستسلم يتطلع قدر البسط والقبض لنور الرسالة من مظهر الشريعة وميزان تطبيقها قائد الغر الميامين علي بن ابى طالب عليه السلام وماكان كلامها يحث علياً (ع) على الثبات اكثر مما كان عليه ولم يحمل في

طياته العتاب أو اللوم بعد عرفانها بحقائق الامور، بل انما جاء كلامها ليرسم للاجيال مدى اعتقاد فاطمة (ع) بمنزلة علي(ع) عند شدائد الامور ولتستفهم من علي(ع) ايضاً هل انها قامت بوظيفتها من حين خروجها الى المسجد الى زمن عودها الى البيت بكل ما تتطلب الرسالة من بيان وشرح لعلل التشريع وتوبيخ للمنقلبين على الاعقاب وكشف هوياتهم وبيان اغتصابهم للزعامة الدينية وعدوانهم على الاموال والقيم الرسالية باسم الدين ام لا؟

وتمهيداً لشرح الفقرات للخطبة اقول: قد تقدم ان وظيفة الاوصياء بعد الانبياء هو شرح الرسالة بكل بطونها ورسم كيفية تطبيق كبرياتها على الصغريات سواء ابى ذلك الناس والحكام ام رضوا به، وليس من وظيفتهم كما احتمل بعض الاجله بيان الرسالة من بعض جوانبها كالعبادات والمعاملات والطهارة والنجاسة مثلا وترك بقية جوانب الرسالة التي هي كسلسلة واحدة مترابطة، كما وانه ليس من وظيفة الاوصياء اذا لم تطلب منهم الامة التطبيق القيام لقبض ازمة الامور، نعم لو جاءت الناس تريد حياة السلام لوجب على المعصوم (ع) حينما يجد انصاراً على اقامة الحق ان يقيمه ويبيد فلول الشرك والنفاق.

ولما كان لميادين الجهاد ابواب قد تسد بعضها او لا تشرع بالنسبة لانسان خاص وكان عدم التشريع لبعض الابواب لا يروى عدم تشريعها بنحو الاطلاق بل قد يكون من لم تشرع في حقه بعض الابواب كالجهاد بالسيف هو احدى القوائم لبناء الرسالة كفاطمة عليها السلام في دورها الجهادى في ميادين البيان واقامة الحجة بعد اصل التشريع الذي لم يتردد متردد بتماميته في عهد الرسول(ص)

قامت (ع) بهذا الموقف العظيم.

فيالله كم هانت دنيا الظلمات والاوهام على ربها حتى شوهد فيها مثل هذه الطامة الكبرى التي كانت نتيجة انقلاب على الاعقاب بعد الرسول (ص) وهي جعل الاسماع تمج نداء السلام والايمان من علي وفاطمة (ع) وتسرع ملبية لنداء الباطل باسم الحق حينما دعى اليه في وقعة الجمل والنهروان وصفين، فنقول بعد هذا التمهيد.

(اشتملت شملت الجنين) اشتمل بالثوب اذا اداره الشخص على جسده كله، والشملة بكسر الشين وسكون اللام هيئة الاشتمال من شملهم الامر اي عمهم وبالفتح ما يشتمل به والمقصود هنا مشيمة الجنين وهي محل الولد في الرحم وتطلق عليه لانه مستور في البطن والجنين يطلق على المقبور وفسرت الشملة بمطلق الكساء الذي يشتمل به.

الله اكبر الله اكبر ياله من مدح عظيم من سيدة نساء العالمين العارفة بمقام الامامة لمثال البطولة والثبات والشرف في ساحات الجهاد والنضال ومثال كف النفس عن دنيا الاوهام وزخارفها بطلقات ثلاث لارجعة بعدها، اجل العظماء يعرفهم العظماء، فقد رجعت (ع) بعد اداء الوظيفة وهي تحمل كل الاجلال والاكبار لعلي عليه السلام مخاطبة اياها لتخفف عنه من اثقال الامامة كما كانت تصنع ذلك بالنسبة الى رسول الله (ص) لتخفف عنه ألم ثقل النبوة فقالت (اشتملت شملة الجنين) اي ان من يتحمل الاذى لمرضاة الله تعالى ويشتمل شملة الجنين لايكون الا بانظار الناس جالساً حجرة الظنين، فهذا نتيجة ما اخترته لنفسك يابن ابي طالب لتكون عين الفناء في ذات الله اي اشتملت شملة الجنين للاشارة الى انه اشتمل بهذا الثوب بارادة واختيار منه لالقصور أو تقصير وهو ثوب الوقاية عن الدنيا

وزخارفها بما في ذلك حب الزعامة والسلطة وانه القادر على تصدى الامور ووضع الذئاب والثعالب والذباب في مجالسها كما كان من ذى قبل حينما كانت الوظيفة هي الاقدام لضرب اوتاد الدعوة على وجه الارض ولكنك الان يابن ابى طالب تتحمل بكل ارادة واختيار ان تكون بانظار القاصرين والمقصرين جالساً حجرة الظنين، لم تأخذك في الله لومة لائم حينما اصبح الثبات بالصبر وتجمل الاذى والعدوان لحفظ الرسالة ولفسح المجال امام البشرية طبقاً للحكمة الالهية لتسير البشرية حياة الاختيار والاختبار وان ظنت لواقع جهلها انها تسبق الاقدار ولانه ليس من وظيفتك اليوم الاقدام لقبض ازمة الامور ان لم تطلب منك الناس ذلك فلذا ظن هؤلاء المتقمصون للخلافة وجميع الانتهازيين انه لدهاء منهم سبقوك والحال انك بنفسك اشتملت شملة الجنين، نعم لقد قالت: يابن ابى طالب، يابن الشرف والمجد والثبات اشتملت بثوب الابتعاد عن زعامة الدنيا ومطامعها لتعيش نزيهاً طاهراً عن كل فعلة تخدم المصالح الشخصية، فشبهته (ع) بمن هو في بطن امه لم يذق طعم الدنيا ليرغب فيها، فلم يفكر فيها طرفة عين فضلا عن كونه مندفعاً مخططاً لقبض ازمة امورها، فيكون مضمون الخطاب انك يا ابن ابى طالب وان كنت فى الدنيا لكنك كمن لم يدخلها أو شبهته بالمقبور الذى قد انتقل عن الدنيا فأصبح لايفكر الا فى الرحمة والقرب الالهى، فأذن على الفرضين سواء ارادت مشيمة الجنين أو المقبور انما هو كناية عن مدى عمق انقطاع علي (ع) عن الدنيا و ما فيها بنظر فاطمة (ع) سواء كان هذا الانقطاع عن الدنيا يجلب له المدح بان يقال في حقه انه شجاع مقدام أو كان يجلب عليه الذم بانظار القاصرين

والمقصرين بان يقال انه أصبح جالساً حجرة الظنين وهذا معنى محض الفناء في ذات الله لنفس لم تأخذها في الله لومة لائم، فلايغريها مدح المادحين ولا يضعفها ذم الذامين، فاذن لم يكن هذا الكلام منها عليها السلام عتاباً ولاتحريضاً على اقدام، فيصبح معنى كلامها انك يابن ابى طالب كمن لم يدخل الدنيا أو كمن خرج عنها وهذا هو غاية المدح لانسان.

(وقعدت حجرة الظنين) اي وقعدت يابن الشرف والاباء لمرضاة الله تعالى منازل المتهمين بانظار هؤلاء الجاهلين والانتهازيين، راضياً في جنب الله ان ينسب اليك الضعف وعدم اللياقة في امور الدنيا.

(نقضت قادمة الاجدل) القادمة واحدة القوادم وهي مقاديم ريش الطائر وهي عشرة في كل جناح على ما قيل والاجدل الصقر الذي يكسر الطيور وهو من الجدل بمعنى القوة والاستحكام والنقض ضد الابرام والاحكام.

تقول له: يابن الشرف والثبات، يا من ابرم يوم الابرام ونقض يوم النقض لمرضاة الله تعالى لابد ان تنتظر خيانة العامة حينما نقضت القوة التي اذللت بها الذئاب والثعالب.

(فخانك ريش الاعزال) وقيل فخاتك

فخانك من الخيانة وخاتك اى انتقض عليك أو خاتك من خات البازى اذا انقض على فريسته والاعزل من لاسلاح معه من العزلة بمعنى الانقطاع عن الخلق والاعتزال عن معركة القتال وقيل الاعزل اراذل الناس وهو من باب الكناية.

تقول(ع)، من نقض السلاح والقوة كان من النتائج المسلمة ان تخونه عامة الناس، لان العامة ما اعتادت في طول تاريخها الا تأييد القوى محقاً كان أو مبطلا.

وبتعبير آخر انك يابن ابى طالب لما نقضت قادمة الاجدل من القوة والسلاح لمرضاة الله تعالى تحقيقاً للنظام الاحسن وجرياً مع روح الاختيار والاختبار وحفاظاً على الاسلام والمسلمين ولكون التخطيط لقبض ازمة الامور ليس وظيفة الامانة كان الظهور بهذا الضعف لمرضاة الله تعالى يستلزم خيانة العامة التي لاتؤيد الا القوى.

اي ان من نقض قادمة الاجدل لمرضاة الله لابد ان ينتظر انتقاض العامة والاراذل من الناس عليه، فأذن هذه كلمات مواساة و تسلية في يوم الشدة من فاطمة العصمة لعلي الثبات.

(هذا ابن ابى قحافة) جعل المقارنة بين ابن ابى طالب وابن ابي قحافة وكذا بين ابى طالب وابى قحافة يعرف لدى العارفين بالتاريخ ومسيرة الرسالة، فكأنها(ع) تشير الى تغيير القيم حتى بلحاظ شرف الآباء عند رحيل رسول الله (ص) فضلا عن تغييرها بلحاظ القيم الرسالية.

فجعل المقارنة من باب التعجب من انه كيف يصبح ابن ابى طالب صاحب النسب الرفيع والقيم الرسالية في هذا المحل من الدنيا وابن ابى قحافة ابن خادم عبدالله بن جذعان ومن كان بالامس يمر عليه علي(ع) وهو فار من المعركة فيقول علي (ع) في حقه وحق الفارين والله ما انتم باحق من هؤلاء بالقتل، في هذا المحل الاخر في الدنيا والمراد من هؤلاء هم المشركون.

(يبتزني نحلة أبي) الابتزاز هو الاستلاب واخذ الشيء بقهر وغلبة والنحلة بكسر النون العطية والهبة.

وهذا يشير الى ان فاطمة(ع) كانت مالكة لفدك في عهد رسول الله نحلة منه(ص) وانما تطور مجرى النزاع الى الميراث بعد انكار ابى بكر النحلة من رسول الله (ص) لفاطمة، فأذن ابو بكر انكر النحلة

اولا لصاحب اليد وبعد اقامة البينة على النحلة راح ينكر الميراث لمعاشر الانبياء وبعد تفنيد دليله من قبل فاطمة(ع) على انكار التوارث بين الانبياء وذريتهم استند الى ما استند اليه الحكام على طول التاريخ وهو (وآية السيف تمحو آية القلم).

(وبلغة ابني) البلغة ما يتبلغ به من العيش ولايفضل والمراد من ابني الحسن والحسين عليهما السلام.

والمعنى ان هذا ابن ابى قحافة يسلبني شيئاً وهبني اياه رسول الله صلى الله عليه وآله ليكون لولدي الحسن والحسين يبلغان به الغاية، وغاية العظماء هي الكمال وخدمة الشريعة بجميع الوسائل المؤدية الى تلك الغاية ومن جملة الوسائل بذل المال في سبل الخير والرشاد ليتوصل به المؤمنون الى غاياتهم.

فكانت فدك والعوالي من جملة الارصدة المالية التي جعلها رسول الله (ص) لال البيت المعصومين عليهم السلام ليبلغوا بها غاية المراد لتحقيق مباني الرسالة وماكان همهم ليستعيشوا بها، فهم اغنى واجل من ذلك ومما يؤيد كون المراد بلوغ غاية الكمال بتلك النحلة هو جعلها للامامين الحسن والحسين والا لكانت بلغة لجميع ذرية فاطمة (ع).

(لقد اجهر فى خصامى) وقيل اجهد.

اجهر اي اظهر واعلن واجهد اى بالغ في العداوة والخصام من المخاصمة واللجاج والمعنى ان ابابكر اعلن أو بالغ في مخالفتي وعداوتي واظهر جميع مكنون سره الذي كان يخفيه طيلة حياة الرسول (ص) من العداوة لال البيت وسحق كل القيم والموازين تحت قدميه.

ومن الواضح لدى التأمل ان هذه الكلمات منها(ع) تقرير وبيان لماجرى في المسجد بحضرة الامام علي(ع) بعد القيام بتلك المهمة بامر منه(ع) وليس فيها عتاب أو تحريض على القيام كماتقدم.

(وألفيته الالد فى كلامى) وقيل فى ظلامتى.

الفيته اي وجدته والالد شديد الخصومة وليس فعلا ماضياً والمعنى وجدته شديد الخصومة والعناد في كل ما أقول من الحق أو وجدته شديد الخصومة في ظلامتي.

(حتى حبستنى قيلة نصرها والمهاجرة وصلها)

المحبس هو المنع وقيلة هي ام الانصار والمراد ابناء قيلة وهم الاوس والخزرج فتوقع النصر من الانصار والوصل من المهاجرين للاشارة الى ان المتوقع من الانصار لماكانوا عليه من الدين ان ينصروا الحق ولكنهم ما قاموا بوظيفتهم الدينية واما المهاجرون فكان المتوقع منهم مع غض النظر عن الدين ان يقوموا بصلة الرحم لدفع ظلامتي فهم ما ادوا هذا الحق كذلك، فبينت تخلف كل من الطائفتين عما كان يجب عليهما القيام به.

(وغضت الجماعة دونى طرفها)

الغض كناية عن الاعراض وعدم الاعتناء ولعل المراد من الجماعة غير المهاجرين والانصار ممن كانوا في المسجد ويحتمل ان المراد هي نفس جماعة المهاجرين والانصار وهو الاقرب وذلك للاشارة منها(ع) الى ان الجماعة في بداية الامر ارضاء للسلطات امتنعوا من النصرة وصلة الرحم لكنهم لما رأوا شدة مخاصمة ابى بكر

واصراره على العناد تجاوزوا الحد حتى بلغ بهم الامر الى مرحلة اظهار عدم الاعتناء ليحصلوا على رضا الخليفة لان الناس على دين ملوكهم (والدين لعق على ألسنتهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون).

(فلادافع ولامانع)

اجمالا وتلخيصاً بعد التفصيل والبيان تؤديه الصديقة الطاهرة أمام الامام علي(ع) تشرح فيه نتائج خطبتها ومدى تأثيرها في نفوس القوم مشيرة الى ان الجماعة قد استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله العظيم، فلادافع يدافع عن الحق والقيم الرسالية الحقة ولامانع يمنع سطوة المعتدين.

(خرجت كاظمة وعدت راغمة)

واستمراراً لشرح نتائج المهمة التي قامت بها عليها السلام تقول: خرجت من البيت الى محل بث نداء الاسلام وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وانا كاظمة للغيظ، صابرة على شدة الالم، متجرعة له واذا بي ارجع من هذا المحل العظيم الذي احتلته قوى الانقلاب على الاعقاب مقهورة مغلوبة على حقي، فيالله اين يلتجيء المسلمون والمظلومون اذا كانت بيوت الله تعالى محلا للظلم والعدوان ومنطلقاً للافتراء والبهتان.

(اضرعت خدك يوم اضعت حدك) وقيل جدك

ضرع الرجل اي خضع وذل وتضرع الى الله اى ابتهل اليه وحد الرجل قدره وخطره وشأنه وبمعنى البأس والشدة والبطش والفضل يأتي أيضاً ويأتي بمعنى الفاصل بين الشيئين ومنتهى

الشيء، وحدك بمعنى الاجتهاد واستناد الضراعة الى الخد لان اظهر افرادها وضع الخد على التراب أو لان الخضوع والذل يظهران غالباً على الوجه. فتقول: يابن ابي طالب اذللت نفسك بانظار ابناء الدنيا يوم اضعت منزلتك الاجتماعية بنقض القوة يوم كان النقض عين الرضا الالهي أو يوم اضعت جدك واجتهادك في قبض ازمة الامور لمرضاة الله ومن صنع ذلك في جنب الله تعالى لابد أن ينتظر هذه التعديات من الجبناء وعدم الاعتناء من عامة الناس، اللهم نعوذ بك من سلطة الجبان.

أو تقول (ع) يابن ابي طالب اذللت نفسك في جنب الله تعالى ونقضت القوة حينما كان نقض القوة عين الصلاح فضاع حدك ومنزلتك عند العامة والجهال لان الحد والمنزلة والقدر لكل انسان بانظار العامة بقدر ما للانسان من القدرة والقوة والجاه والمقام بانظار ابناء الدنيا، فيالك من عظيم لايرى الذل في ذات الله تعالى الاتمام العز والكرامة والشرف.

فقد كان هذا منها تسلية ومواساة مع علي(ع) وبلحاظ آخر تعظيماً وتجليلا له(ع).

(افترست الذئاب وافترشت التراب)

للاشارة الى ان ابن ابي طالب(ع) الاسد الذي كانت ابطال العرب وأسودها كالذئاب يفترسها فلايرى لها عزة ولاقدرة وافتراش التراب للاشارة الى ماكان عليه علي(ع) من الذل والخضوع والتواضع في جنب الله تعالى فهو بازاء المبطلين اسد وبازاء الحق تعالى تمام الفناء والذل.

فتقول(ع) يالك من عظيم جعل الاسود ذئاباً لمرضاة الله وجعل

النفس في منتهى التواضع والخضوع والذل في جنب الله تعالى أيضاً.

نعم هكذا هم العظماء (عظم الخالق في انفسهم فصغر مادونه في اعينهم) فأنت يابن ابى طالب المفترس الذئاب والمفترش التراب في آن واحد كل ذلك لمرضاة الله، فلم تسبق من الذئاب لقصور أو تقصير وانما اصبحت الذئاب أسوداً حينما علمت منك الموقف وعدم التصدي للخلافة لمرضاة الله تعالى ومن يصنع هذا لابد ان ينتظر تعدى المعتدين.

(ماكففت قائلا ولااغنيت باطلا) وقيل لا اغنيت طائلا.

الضمير هنا يرجع للمتكلم وعليه فالمراد شرح نتائج المهمة التي قامت بها لعلي(ع).

فتقول(ع): يا ابن ابى طالب اني في خروجي هذا ما تمكنت من كف ومنع قائل عن قوله ولاعن صرف مبطل عن باطله وبناء على (ولا أغنيت طائلا) اي ماتمكنت بصيغة المتكلم أيضاً من فعل مايؤول بالنفع والمراد من النفع ايقاف القائل والمبطل عن عدوانه وبطلانه والا فكل كلامها نفع واقامة حجة.

(ولاخيار لى)

واعتذاراً من علي(ع) تقول(ع) له وعدم كف القائل والمبطل كان لعدم القدرة على ذلك لالقصور أو تقصير مني حين تنفيذ هذه المهمة والتكليف الذي قمت به بامر منك يابن ابى طالب، أو تقول له معتذرة اني لاخيار لي لقبض ازمة الامور والا لولا الحدود الالهية والانوار التي استضيئى بها من نور الامامة لكان هؤلاء اقل قدراً من ان يفعلوا مافعلوه.

(ليتنى مت قبل هينتى ودون ذلتى)

الهينة بالفتح الرفق والسكون وامش على هينتك اي على رسلك وقد يراد منها هنا المهانة.

والمعنى ليتني مت قبل هذا اليوم الذي اصبحت فيه مجبورة على السكوت والصبر على ما يفعل هؤلاء من العدوان وتغيير موازين الشريعة ونهب تراثها الذي اشاده الرسول (ص) ويااليتني مت قبل هذا الذل والهوان الذي ارى فيه سحق القيم بأسم القيم.

(عذيرى الله منه عادياً ومنك محامياً) وقيل منك عادياً ومنك حاميا.

العذير بمعنى العاذر، والعذر ما يدفع به اللوم.

فههنا احتمالات: الاول وهو الاقرب ان الله تعالى هو العالم بعذري فيما كنت تكلمت به من كلام شديد وتوبيخ بالنسبة الى ابن ابى‌قحافة لما ارتكب من العدوان وان كنت بانظار العامة لست معذورة في مثل هذا الخطاب، كماوان الله تعالى ليعلم‌عذرى‌بالنسبة الى من هو المدافع والمحامي عني وهو انت يابن ابى‌طالب، لانه تعالى هو العالم بما بذلت من الجهد في تنفيذ ما امرتني به‌فلاتلمنى فانى لم اقصر في القيام بالتكليف وهو تعالى الشاهد على ما اقول وهو القابل معذرة الصادقين.

الثاني: ان الله تعالى يعرف عذري بالنسبة اليك حال كونك بعيداً عن‌نصرتي‌وحال‌كونك‌محامياً مدافعاً عني، لانى‌ماكنت‌بالنسبة اليك يابن ابى‌طالب الاتمام الرضا في الحالين لما اعلم من الواقع.

الثالث: ان الله تعالى هو العالم بعذر الصادقين، فانك معذور يابن ابى‌طالب حال كونك منصرفاً عن نصرتي وحال كونك محامياً عني‌لان انصرافك عن نصرتي ودفاعك عني هوعين الحق والصواب

لاختلاف المقامات والموارد، فنقضك وابرامك عين الثبات والسلام.

الرابع: ان يكون المراد ان الله تعالى هو العالم بالعذر بالنسبة الى خطابي الشديد الذي وجهته اليك يا ابن ابي قحافة حال كونك لم تنصر الحق بتركك النصر اياي وكذا حال كونك اظهرت نفسك خداعاً بزي المؤيدين والمناصرين لي فانك يابن ابي قحافة ظلمت أو تظاهرت بالدفاع عنى ماكنت الا ظالماً اياي في واقع الامر، وعليه فالله تعالى هو العالم بعذري وما هو المسوغ لي ان اخاطبك يابن ابي قحافة بهذا الخطاب الشديد لانه ماكان الا كشفاً لنفس الامر والواقع.

(ويلاى فى كل شارق) وقيل وويلاى فى كل غارب

الويل كلمة تستعمل لاظهار شدة الالم والحزن، فويلاى لعله جمع فيه بين الف الندبة وياء المتكلم او اتى به بصيغة التثنية فيكون تكريراً للويل.

والمعنى ألمي شديد في كل شروق وغروب وهو للاشارة الى انه برحيل الرسول (ص) لابد ان ننتظر ما يفعل هؤلاء من فعلة ولانأمل الا توالي الشدائد وحدوث البدع باسم الدين في كل صباح ومساء.

(مات العمد ووهن العضد)

عبارات تروى حال آل البيت عليهم السلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله والعمد هو الرسول (ص) ووهن العضد كناية عن شدة الضعف بعده (ص).

(شكواى الى ابى وعدواى الى ربى، اللهم انك اشد قوة وحولا واشد بأساً وتنكيلا)

اشكو ظلامتي وألمي وحزني الى ابي لانك انت يابن ابي طالب اشد

مني ظلامة وحزناً ولان الحق أصبح لاناصر له من المهاجرين والانصار واما من يريد نصره فلا قدرة له على ذلك فلذا اطلب النصر للحق الذي لاناصر له من الله تعالى، فاللهم انك اشد قوة وحولا واشد بأساً وتنكيلا للقوم الظالمين.

(فقال اميرالمؤمنين: لاويل عليك بل الويل لشانئك)

هذا جواب لقولها(ع) ويلاي، فأشار اميرالمؤمنين (ع) ان الويل ليس لمن تحمل حزن الدنيا الفانية، بل الحزن والالم لمن باع آخرته بدنياه فاشترى حزن الخلود وغضب الجبار وهم اعداؤك يا فاطمة.

(نهنهي عن وجدك يا بنة الصفوة)

اى كفي نفسك عن الغضب والحزن وعيشي الهدوء والراحة وخذي بالتجلد والصبر، تأسياً برسول الله (ص) فهذا كان منه(ع) خطاب تسلية لها وطلباً لتحمل المشاق.

ثم اخذ (ع) ببيان ما هو الواجب عليه من الموقف بأزاء الاحداث الجارية باسم الدين بعد رحيل الرسول(ص) وانه قد قام بكل ماكان عليه من التكليف كما هي عليها السلام تعلم بذلك، فقال(ع) **(فماونيت عن ديني ولااخطأت مقدوري)** ونيت اي ضعفت وفترت، فيقول لها من باب تأكيد ما هي عالمة به ومن باب فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ولاجل التسلية من انه يعيش كما هي تعيش في ازاء هذه الاحداث، قائلا: اني لم اضعف او اتهاون في وظيفتي الدينية ولم أخطأ في موارد القدرة للقيام بالحق.

(فان كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون) اي ان كنت تريدن التوصل الى اقامة الحق بواسطة هذه الاموال التي اغتصبت منك فان الله تعالى يعطى الناس على قدر نياتهم وقد ضمن للصلحاء وان سدت عليهم ابواب العمل الثواب العظيم لعلمه تعالى بصدق النية منهم لاقامة كل حق وابادة كل باطل.

(وكفيلك مأمون) وهو من يتكفل ارزاق العباد وهوالله فيقول لها ان كفيل الثواب والعطاء مأمون لايتطرق اليه خلف الوعد وكل هذا أيضاً من باب عيش التذكر ولاظهار المواساة معها والتسلية لها لامن باب انها لم تعش عرفان هذا الواقع.

(وما اعدلك افضل مما قطع عنك) اي وما اعد الله لك من الرزق الابدى الذى لايعد افضل مما قطع عنك هؤلاء واغتصبوه منك من تلك النحلة التي ماكنت تريدين بها الا اقامة الحق ودعم مسيرة السلام.

(فاحتسبى الله) اي اصبرى على هذا الظلم والعدوان (فقالت **حسبى الله وامسكت)**

فلعل هذا الحزن والتألم الشديد منها انما حصل لما شاهدت من انقلاب الامة عن منهج الحق وضياع التراث الذى بذل الرسول (ص) كل الجهد لتحقيقه ومن باب (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً) اى تألماً وعطفاً عليهم أيضاً كيف اصبحوا ضالين بعد الهداية.

(تقديم شكر)

لست اعلم بأي لسان و تعبير اتقدم بالشكر لفضيلة الاستاذ الجليل الحاج كاظم عبدالرزاق صاحب الخلق الرفيع على ماقام به من ارشادات وملاحظات استمرت من بداية هذا الكتاب الى نهايته، فله على ذلك المزيد من الشكر والامتنان، وان كنت قاصراً عن مبادلة الاحسان بالاحسان لكنه يكفيه شرفاً ما هو عليه من خدمة الرسول(ص) واهل بيته الكرام (ع)، حشرنا الله تعالى واياه جميعاً يوم الفزع الاكبر تحت راية سيد الكائنات وسقانا من كأسه الاوفر الذي لاضميء بعده انه ولي التوفيق.

وفي الختام اعود قائلا: اني لماوجدت شرح الوالد (قده) للخطبة الشريفة منتهياً الى قولها عليها السلام (ايهاً بني قيلة أ اهضم تراث ابي) اتممت ذلك الشرح مع قلة البضاعة راجياً بذلك منه تعالى ان يكتبني من اقل خدمة آل البيت عليهم السلام وان يغض تعالى النظر عما اخطأت أو تكلمت به مما لايناسب شأنهم عليهم السلام انه ولي المغفرة.

محمد كاظم محمد طاهر آل شبير الخاقاني

دليل الكتاب

(تذكرة للقارئ العزيز)

سيصدر انشاء الله من منشورات انوار الهدى

كتاب المثل النورية فى نوادر الحكمة

لسماحة آية الله العظمى الشيخ محمد طاهر آل شبير الخاقانى (قده)

مع شرح و تعليق لسماحة نجله الشيخ محمد كاظم محمد طاهر

جدول الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٦	٣	الظمة	الظلمة
٨	١٠	لتعييد	لتعيد
٥٧	٨	لذى	الذى
٨٧	١	ميزن	ميزان
١٠١	١	لم ينحصره	لم ينحصر
١٠١	١١	ومن اعطى الحكمة	ومن يؤتى الحكمة
١١٣	١٨	كان ممكن	كان كل ممكن
١٣٤	١٤	اورعت	اودعت
١٤٧	٢	بالنبرة	بالنبوة
١٩٥	١٥	والتأخير	والتأثير
٢٦٠	٤	الامانة	الامامة